شعراؤنا

ديوان كثيّر عزّة

قدم له وشرحه
مجيد طراد

الناشر
دار الكتاب العربي

ترجمته

١ ـ اسمه ونسبه:

في اسم كثيّر ونسبه أكثر من رواية:

• كثيّر بن عبد الرحمن بن أبي جمعة بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخارف... بن ربيعة... بن يعرب بن قحطان(١).

• كثيّر بن عبد الرحمن الأسود... بن مُليح بن عمرو بن خزاعة بن الصّلت بن النّضر بن كنانة بن خزيمة... بن معدّ بن عدنان(٢).

• وقيل إنّه أزديّ من قحطان.

والمشهور في اسمه التّصغير «كثيّر»، (بالتشديد) غير أنّه ورد في شعره (بدون تشديد) حيث يقول:

وقال لي البُلاّغ ويحكَ إنّها ... بغيركَ حقّاً يا كثيرُ تهيمُ

وربّما كانت الضّرورة الشعريّة قد حملته على ذلك. والمرجّح أنّ أهله سمّوه كثيراً (دون تشديد)، فلما شبّ ورأى النّاس قصره وضآلة جثّته صغّروا اسمه. قال ابن خلّكان: «وإنما صغّر لأنّه كان حقيراً شديد القصر».(٣)

---

(١) الأغاني ط. مصر، ج٨، ص ٢٥ ـ ٢٦. ووفيات الأعيان لابن خلّكان. ط مصر، ج١ ص٤٤٣.

(٢) خزانة الأدب للبغدادي. ج٢، ص ٣٨١.

(٣) وفيات الأعيان ج٣ ص ٢٧٠ وجزانة الأدب. ج٢، ص ٣٨٢.

وإن لم يكن الأمر كذلك، فلعلَّ أهله سمّوه (مصغّراً) للتحبّب، ثم تحوّل التحبّب الى حقيقة على ألسنة النّاس. وهو خزاعي العم والخال: فأبوه عبد الرحمن بن الأسود من خزاعة، وأمّه جمعة بنت الأشيم خزاعيّة أيضاً. وكان الأشيم جدّه لأمّه يعرف بأبي جمعة، ولهذا يسمّى كثيّر في المصادر حيناً بالملحيّ وحيناً بابن أبي جمعة، كما يشار إليه بكنيته أيضاً وهي «أبو صخر» ولكنّ أشدّ التسميات دلالة عليه هي كثيّر عَزّة نسبة إلى حبيبته.

٢ ـ ديوانه:

كان كثيّر غزير الشّعر، قال فيه جامع شعره عبدالله بن أبي عبيدة: «من لم يجمع من شعر كثيّر ثلاثين لاميّة فلم يجمع شعره»[١] وفي هذا دلالة على كثرة شعره. وقال القالي في سرد الكتب التي حملها معه إلى الأندلس: «شعر كثيّر بن عبد الرحمن الخزاعي، تامّ، جزءان، قرأتهما على أبي بكر بن دريد»[٢]. وقد شرحه كلٌّ من محمّد بن حبيب وابن السكّيت. وعن هذين الشرحين ينقل البكري في «معجم ما استعجم» وياقوت الحموي في «معجم البلدان». لكنّ الدّيوان لم يصلنا ولا وصلنا شرح له حتّى يومنا هذا، ولم يذكره البغدادي في مقدمة «الخزانة» مع جملة الدّواوين التي ذكر أنّه اطّلع عليها.

وبسبب فقدان ديوانه، فقد عمد الدّارسون الى جمع أشعاره من المصادر المخطوطة والمطبوعة لوضعها بين يديّ القرّاء؛ وكان الشّيخ هنري پيريس أوّل من قام بهذه المهمّة، فجمع ما وجده من شعر كثيّر وشرحه في جزئين، نشرهما عامي ١٩٢٨ ـ ١٩٣٠ (بمطبعة جول كربونل في الجزائر) وقد ختم الجزء الثاني بقوله: «تمَ الجزء الثاني من ديوان كثيّر عزّة ويليه الجزء الثالث إن شاء

(١) الأغاني ٩/٥.
(٢) فهرسة ابن خير ص ٣٩٦.

الله » ولكنّ هذا الجزء لم يبصر النّور. وكان عمله هذا، في حدود ما تيسّر له من مصادر آنذاك، أمراً يستحقّ الثّناء والتّقدير لأنّه يعتبر حتّى اليوم مرجعاً مهمّاً في شعر كثيّر.

إنّ جمع شعر كثيّر من المصادر أمر لا يخلو من صعوبة ومغامرة وإن كان يحمل في طيّاته فائدة عظمى، والعمليَّة لا تخلو من عيوب، فالقصائد لا تلتئم أجزاؤها، بل تظلّ متناثرة وقد تتداخل الأبيات في القصيدة المشابهة وزناً ورويّاً. وقد فقدت قصائد بكاملها وأُخرى لم يبق إلا نتف منها، وحدّثنا ابن سلاّم أنّ الشّاعر مدح يزيد بن عبد الملك بسبع قصائد لا نملك منها إلا خمساً، وقيل: إنّ له ثلاثين لاميّة لم يتوفّر لدينا منها إلا ستّ وعشرون. وتظلّ هذه النواقص هاجساً لدينا حتّى يتاح لأحد أن يعثر على نسخة من نسخ الديوان، ويحقّق بذلك إحدى الأمنيات الغالية.

٣ ـ نشأته:

لم تذكر المصادر السّنة التي ولد فيها الشّاعر، لكنّها متّفقة على أن وفاته كانت سنة ١٠٥ هـ في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك أو أوّل خلافة هشام؛ ويقول المرزباني: « إنّه زاد واحدة أو اثنتين على ثمانين سنة »[١] ممّا يجعل تاريخ ولادته سنة ٢٣ أو ٢٤ هـ أي في أواخر خلافة عمر أو أوائل خلافة عثمان. غير أنّ مشاركته في الحياة العامة على الصعيد الشّعري لم تحصل قبل سنة ٦٥ وقد بلغ الأربعين من عمره أو تجاوزها. وهي سنّ متأخّرة لشاعر من مستوى كثيّر بدأ نشاطه الشّعري في سنّ مبكّرة.

والذي يدعو إلى الاستغراب أنّنا لم نجد للشّاعر صلة بمعاوية بن أبي سفيان، أو ابنه يزيد أو مروان بن الحكم. فهل كان الشّاعر منحرفاً عن بني أميّة في بادىء الأمر، أو كان ميّالاً إلى الشّيعة مقيماً في بيئة الحجاز؟ الأصحّ أن

(١) معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٤٢.

يقال إنّ تقدير المرزباني لسنّه غير دقيق، فقد كانت عبقريّته الشّعريّة على أشدّها بين سنة ٦٥ ـ ١٠٥ هـ، وله مدائح في يزيد بن عبد الملك تدلّ على مقدرة وعلى قريحة فذّة. فلو كان المرزباني تنبّه إلى أنّه جعل ابن ثمانين عاماً يتردّد إلى الشّام من الحجاز ليقوم مادحاً بين يديّ الخليفة، لأعاد النّظر في سنة ولادة الشّاعر وجعلها في حدود ٤٠ هـ.

أمّا والد الشّاعر فقد توفّي في حداثة ولده، وعلى الرّغم من ذلك فقد كانت في الشّاعر حدّة يسمّيها الأقدمون عقوقاً. فقد أصابت أباه قرحة في إصبع من أصابع يده فقال له كثيّر: أتدري لم أصابتك هذه القرحة في إصبعك؟ قال: لا أدري. فقال كثيّر: ممّا ترفعها إلى الله في يمين كاذبة[١].

وكفله عمّه بعد وفاة أبيه، وكان رجلاً صالحاً، فاشترى له قطيعاً من الإبل حيث أمضى فترة لا بأس بها من حياته في خدمة عمّه؛ وفي إحدى المرّات كان يسوق غنماً إلى الجار، وهي منطقة على ساحل البحر الأحمر، فلمّا بلغ موضع الخبت وقف على نسوة من بني ضمرة، فسألهنّ عن أقرب ماء يورد إليه غنمه، وكانت فيهنّ فتاة صغيرة السّنّ أوّل ما كعب ثدياها تكفّلت بإرشاده إلى الماء، وكانت هي عزّة التي نشب حبّها في قلبه من يومئذٍ. وتضيف القصّة أنّه بينما كان يسقي غنمه جاءته عزّة بدراهم وقالت: يقلن لك النّسوة بعْنا بهذه الدراهم كبشاً من ضأنك، فدفع إليها كبشاً وقال: ردّي الدراهم وقولي لهنّ: إذا رحت بكنّ اقتضيت حقّي، فلمّا عاد أبى أن يستوفي الثّمن إلا من عزّة جاعلاً ذلك تعلّة كي يراها... فأبرزنها إليه وهي كارهة، ثمَّ أحبّته عزّة بعد ذلك أشدّ من حبّه لها[٢].

---

(١) الأغاني ٩/١٩.

(٢) الأغاني ٩/٢٥ ـ ٢٦.

٤ ـ قصّة حبّه:

كانت عزّة التي أحبَّها هي بنت حُميل بن حفص من بني حاجب بن غفار، فهي كنانيّة النّسب، ويكنّيها كثيّر بأمّ عمرو ويسميّها الضمريّة وابنة الضّمري ويطلق عليها الحاجبيّة نسبة إلى جدّها الأعلى. «والعزّة في اللغة بنت الظّبية وبها سمّيت». وقد وصفتها امرأة رأتها بأنّها «امرأة حلوة حميراء نظيفة»[1] وأنّها حين تحدّثت كانت «أبرع النّاس وأحلاهم حديثاً»، وتضيف المرأة التي وصفتها: «فما فارقناها إلاّ ولها علينا الفضل في أعيننا، وما نرى في الدّنيا امرأة تفوقها جمالاً وحسناً وحلاوة». ويقول الشّاعر أنّها نضجت باكراً، ولبست الدّرع باكراً واستكملت الفخامة ونالت حظّها الوفير من ضخامة الكفل والسّاقين والسّاعدين:

إلى أَنْ دعتْ بالدّرع قبل لداتها ... وعادتْ تُرى منهنّ أبهى وأفخما

ويزعم أنّه عرفها في سنّ باكرة:

وما زلتُ من ليلى لدن طرّ شاربي ... إلى اليوم أخفي حبّها وأُداجن

ويبدو أنّ تشهير كثيّر بعزّة قد حدا بأهلها إلى تزويجها بأوّل خاطب على عادة أهل البادية، فأمعن الشّاعر في غزله مدفوعاً بقوّة اليأس والتّحدّي معاً، حيث يقول بعد زواجها:

خليليّ هذا ربعُ عزّة فاعقِلا ... قلوصيكما ثمّ ابكيا حيث حلّتِ

ثم ازداد جوىً وصبابة بعد رحيل عزّة مع زوجها وقومها الى مصر. وقد ظلَّ يوم «الشّبا» وهو وادٍ «بالأثيل» قرب المدينة من الأيّام التي لا تنسى، حيث أدرك الشّاعر فيه صاحبته وهي ترحل إلى مصر، فوقف واجماً محاولاً

---

(١) الأغاني ٩/٢٨.

(٢) المصدر نفسه.

أن يثبت لها وجده على فراقها وهوِ معتصر القلب وقد جفَّت دموعه شاهدة على مشاعره الملتهبة:

فلم أدرِ أنّ العين قبل فراقها غداة الشّبا من لاعج الوجد تجمدُ
ولم أرَ مثل العينِ ضَنّتْ بمائها عليّ ولا مثلي على الدّمع يحسدُ

وهناك قصص متعدّدة ومتناقضة وضعها الرّواة لتفسير شعر كثير، يتّفق بعضها مع ما جاء في شعر الشّاعر، ويمعن بعضها الآخر في الخيال، نتوقّف عند إحداها التي ذكرت أنّ صديقاً اتّخذه كثيّر رسولاً إلى عزّة، فاجتمع الثّلاثة عند صخرات أبي عبيد، فلمّا قام الصّديق لينصرف أمره كثيّر بالبقاء، فقال الصّديق: «فجلست وهما يتحدّثان وإنّ بينهما لثمامةً عظيمة هي من ورائها جالسة حتّى أسحرنا، ثمّ قامت فانصرفت وقمت أنا وهو».[1]

ويتّفق الشعر والقصص في تصوير ما كان يجده زوج عزّة من حرج وغيرة إذا شاهد كثيّر يحوم حول الديّار، فيجبرها على شتمه فتنصاع مرغمة إلى أمره:

يكلّفها الغيران شتمي وما بها هواني ولكنْ للمليكِ استذلّتِ

ويذكر الشاعر في شعره أنّ عزّة كانت تواجهه بضروب من الدّلال، فإذا سلّم عليها لم تردّ السّلام إليه بل ردّته إلى جمله:

ليت التحيّة كانت لي فأشكرها مكانَ يا جملٌ حُيّيتَ يا رجلُ

وقد صوّر في شعره خلافاً حصل بينه وبينها قالت له على إثره: «إنّك قد شحبت وأصبحت جافياً:

جَفوتَ فما تهوى حديثَكَ أيّمٌ ولا تجتديكَ الآنساتُ الحواضنُ

فغضب واتّهمها بأنّ زوجها هوَ الذي حرّضها على هذا القول، فوصف زوجها

(١) الأغاني ٩/٣٠.

بأنّه « حوقل » أي كبير السّن عاجز عن معاشرة النّساء :

فقلت لها بل أنت حنّة حوقل جرى بالفرى بيني وبينكِ طابنُ

فاتّهامها له بالشيخوخة يعتمد على المشاهدة، ولا يكون اختلاقاً من عذول ماكر ويؤكّده ما قاله الشّاعر عن نفسه شاهداً على صحّة ما تدّعيه حبيبته :

رأت رجلاً أودى السّفار بوجهه فلم يبقَ إلا منظر وجناجن

ومن الحكايات المتضاربة أنّ الشّاعر لقي عزّة متنقّبة فلم يعرفها، وإنّما طلب وصالها فقالت له: وهل تركت عزّة فيك بقيّة لأحد؟ فقال لها: والله لو أنّ عزّة أمة لي لوهبتها لك. وهناك رواية تدّعي أنّ كثيّراً انصرف عن عزّة خلال السّنين الأولى من حبّه لها، إلى امرأة تدعى « ظلاّمة » وأخذ يزورها ويقيم عندها، ولكنّ الرّواية تذكر في الختام أنّ الشّاعر استطاع أن ينسى ظلاّمة ويصل عزّة من جديد، وتقول الرّواية أنّ عزّة أحبته بعد اللقاء الأوّل أشدّ من حبّها له في السابق، وهذه القصّة يصعب إثباتها لأنّ عزّة لم تتحدّث عن مشاعرها، ولم يصفها الشّاعر إلا متمنّعة بخيلة :

أراكم إذا ما زرتكم - وزيارتي قليل - يُرى فيكم إليّ قطوبُ

ولكنّه ظلّ يعاني الكثير من حبّ عزّة حتّى شاخ وهرم :

عجبتُ لبرئي منكِ يا عزّ بعدما عمرتُ زماناً منكِ غير صحيحِ

ولعلّه قال ذلك بعد وفاتها.

وتقول الرّوايات: إنّ عزّة كانت قد عجزت في أيّام عبد الملك بن مروان وإنّها دخلت على عبد الملك فسألها وقد تغيّرتْ: « ماذا كان أعجب كثيّراً منك؟ » فقالت له: « كلاًّ يا أمير المؤمنين، فوالله لقد كنت في عهده أحسن من النّار في الليلة القرّة ». وقد توفيت عزّة بمصر بحدود سنة ٨٠ هـ وكان

---

(١) الأغاني ٩/٢٦.

عبد العزيز ما يزال والياً عليها. لكنّ الرواة نسجوا قصّة خياليّة حول نهايتها حين زعموا أنّ عبد الملك عرض عليها الزواج من كثيّر بعد وفاة زوجها، فأجابته الى ما طلبه، فكتب الى كثيّر بأن يركب البريد مسرعاً، فذهب كثيّر ورأى في طريقه علامات تبعث على الطيّرة: طائراً ينتف ريشه، وغراباً على شجرة بان، فما كاد يصل دمشق حتّى طالعته جنازة عرف فيها جنازة عزّة، فخرّ مغشياً عليه، فلمّا أفاق ذهب الى قبرها، وتغنّى عنده بمرثية حزينة قال فيها:

فيا عزّ أنتِ البدر قد حال دونه رجيع التّراب والصّفيح المضرّحُ
وقد كنتُ أبكي من فراقك حيّة فأنتِ لعمري اليوم أنأى وأنزحُ

ومهما يكن من أمر فإن الشاعر تزوّج ورزق بنات وبنين بالرّغم من انشغال قلبه بعزّة، وقد ذكر محمّد بن الحنفيَّة أنّه سأل الشاعر عنهم ذات مرّة وفي ذلك يقول كثيّر:

وأثنى في هواي عليّ خيراً ويسأل عن بنيّ وكيف حالي

٥ ـ علاقته بجميل بثينة

من الصعب أن نفترض أنّ شابّاً قضى معظم شبابه الباكر وهو يرعى قطعان الإبل والشّاة يستطيع أن ينال ثقافة أدبيّة واسعة منظّمة. فشعر كثيّر يدلّ على قوّة موجّهة فطريّة، ولا يدلّ على ثقافة مكتسبة لأنّه يعتمد على إحساس مرهف وعبقرية شعريّة ظاهرة، شأنه في ذلك شأن كثير من شعراء عصره مثل جرير والفرزدق وجميل والأحوص. وكانت حياة الرّعي الأولى قد عرَّفته الى الطبيعة والحيوان، وعلّمته الأمكنة والمواضع في المدينة وفي المنطقة التي تمتدّ بينها وبين مكّة، والمساحات الممتدّة بين ينبع والجار وودّان في تلك الناحية من تهامة ومن الحجاز. وقد زادته عزّة معرفة بتلك الأماكن، فجعل يرصد تنقّلاتها بين مياه تلك المناطق ومراعيها حتّى غدا شعره سجلاًّ لأسماء تلك الأمكنة سواءً

أكان في رحلة واقعية أثناء حياة الرّعي، أم في رحلة خياليّة شعرية تعيده الى تلك الرّبوع التي انطبعت في ذهنه. ولكنّ صداقة الشاعر لجميل بثينة ومرافقته له في تنقّلاته، وروايته لقصائده، كانت أكبر عامل له في الاتّجاه الشّعري الذي سلكه؛ وكانت أشعار جميل في بثينة تصوّر ما تجيش به نفس كثيّر نحو عزّة. فهو يحفظها وينشدها بين النّاس وفي الوقت نفسه كانت هذه الأشعار تحثّه على تقليدها وتلهمه إلى محاكاتها واعتماد طريقتها. فقد جمعت حياة المدينة بين الشّاعرين على غير موعد، وأعجب كثيّر بجميل أشدّ الإعجاب، فرافقه يردّد أشعاره ويحفظها وكانت هذه إحدى طرق التخرّج في قول الشّعر يومذاك. وكان كثيّر آخر من اجتمع له الرّواية والشّعر إذ تخرّج شاعراً بعد أن كان راوية. وكان جميل بدوره راوية هدبة، وهدبة راوية الحطيئة، والحطيئة راوية زهير[1]. وقد أصبح كثيّر، فيما بعد، يقدّم جميلاً على نفسه ويتّخذه إماماً، ويشير الى فضله عليه وأنّه تعلّم منه حتّى كان يقول: «هل وطّأ لنا النّسيب إلاّ جميل؟»[2] ويتعاظم إعجاب كثيّر بجميل حتّى يجعله أشعر النّاس.

وقد تعددت القصص التي تربط بين كثيّر وجميل وتجعله يقوم بمهمّة الرّسول بين جميل وبثينة حين يقول له جميل: «لا بدّ من أن ترجع عودك على بدئك وتستجدّ لي موعداً من بثينة»[3]. وكثيّر يقول: «هل لك بأن آتي الحيّ فأنزع بأبيات من شعر أذكر فيها علامة اللّقاء السّابق بوادي الدّوم إن لم أقدر على الخلوة بها؟» ويستصوب جميل رأيه، فيذهب كثيّر فينشد قوله:

فقلت لها يا عزّ أرسل صاحبي ... إليك رسولاً والموكّل مرسَلُ
بأنْ تجعلي بيني وبينكِ موعداً ... وأنْ تأمريني بالذي فيه أفعلُ
وآخر عهدي فيكِ يوم لقيتني ... بأسفلِ وادي الدّوم والثّوب يُغسلُ

(١) الأغاني ٨/٩١.
(٢) المصدر نفسه ص ٩٧.
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٧.

وتعمد هذه القصص الى تصوير جميل وهو يؤدّي لكثيّر مهمّة مشابهة، فيأخذ موعداً من عزّة، فيحضر جميل وكثيّر معاً الى الموعد، ويتحادثان طويلاً حتّى تعجب عزّة بجميل، فيغضب كثيّر وتأخذه الغيرة، وكان جميل طويلاً وكثيّر دميماً.

وأحياناً كانت تلك القصص تصل بين بثينة وعزّة، وتقيم بينهما علاقة صداقة بحيث تتّفقان على أن تعبثا بكثيّر نفسه لنمتحنا مقدار صدقه في الحبّ؛ فقد قالت عزّة لبثينة ذات مرّة: تصدّي لكثيّر وأطمعيه في نفسك حتّى أسمع ما يجيبك به، فأقبلت إليه وعزّة تمشي وراءها متخفّية، فعرضت بثينة عليه الوصل فقاربها ثمّ قال:

رمتني على عمدٍ بثينة بعدما ... تولّى شبابي وارجحنّ شبابها

عندئذٍ كشفت عزّة عن وجهها، لمّا سمعت غزله في بثينة، فإذا هو يضيف قائلاً:

ولكنّما ترمين نفساً مريضة ... لعزّة منها صفْوها ولُبابُها

فضحكت وقالت: أولى لك قد نجوت، وانصرفتا تتضاحكان[1].

٦ ـ شعره:

أبرز ما يطالعنا في شعر كثيّر النّسيب والمدح، فإذا شئنا أن نحكم على شعره فيكفي أن نحكم عليهما ليصيب حكمنا شعره كلّه.

أ • النّسيب:

إذا تتبّعنا شعره في النّسيب نلاحظ فيه اعتدالاً ظاهراً، يجعله قريباً الى الواقع بعيداً عن الخيال، فهو حين يتحدّث عن حبيبته يصوّرها ببساطة وواقعيّة امرأة

(١) الأغاني ٩/٣٥.

كسائر النساء لا تتكلّف في الحبّ أكثر ممّا تطيق:

أريد الثّواء عندها وأظنّها إذا ما أطلنا عندها المكْثَ ملّتِ

وحين يتحدّث عن زوج عزّة يصوّره بكل صراحة وصدق رجلاً غيوراً على زوجته كسائر الرّجال:

يكلّفها الغيران شتمي وما بها هواني ولكنْ للمليك استذلّتِ

وحين يتحدّث عن حبّه يتحدّث بلغة العقل لا بلغة القلب، وينظر الى الحبّ نظرته الى سائر العلاقات البشريّة:

وقد علمت بالغيبِ أنْ لا أودّها إذا هيَ لم يكرم عليَّ كريمها
فإنْ وصلتْنا أمّ عمروٍ فإنّنا سنقبلُ منها الودّ أو لا نلومها

هذا ما يلفت نظر القارىء بشكل عام لدى قراءة أشعار كثيّر في النسيب. بيد أنّ الشّاعر لم ينجُ من فخّ المبالغة الذي وقع فيه معظم شعراء النّسيب، ففي بعض أشعاره نراه يصوّر وجده فتتقطّع نفسه حسرة ولوعة:

رهبان مَدْيَنَ والّذين عهدتهم يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعتُ حديثها خرّوا لعزّة ركّعاً وسُجودا

وهذه المبالغة التي تطالعنا أحياناً في شعره ربّما تعود إلى تأثّره بجميل وليست تعبيراً صادقاً عن مشاعره، وقد روّج في شعره لمبدأ المعاملة بالمثل أو التّكافوء في الحبّ حيث يقول:

ولست براضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليلٍ، ولا أرضى له بقليل

وهذا القول لا يعبّر عن تجربة عميقة في الحبّ لذلك انصرف عنه النّقاد قديماً وحديثاً كما انصرف عنه المتذوّقون ففضّلوا عليه قول عمر:

فعِدي نائلاً وإن لم تنيلي إنّما ينفع المحبَّ الرَّجاءُ

كما فضّلوا عليه قول جميل الذي كان يكتفي من بثينة بالحرمان، ويجد لذّة في الألم الذي يحدثه حبّها في نفسه حين يقول:

فما هو إلاّ أن أهيم بذكرها ويحظى بجدواها سوايَ ويجذلُ

ويخلط كثيّر بين الصّداقة والحبّ، وذلك يعود إلى أنّ الشّاعر لم تتعمّق تجربته في الحبّ الى مستوىً يجعل شعره تعبيراً عمّا تجيش به النّفس البشريّة خارج حدود العقلانيّة، أو القواعد الخلقيّة أو الاعتبارات الأخرى، يقول متحدّثاً الى عزّة:

ومن لا يغمّض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمتْ وهو عاتبُ
ومن يتتبّع جاهداً كلَّ عثرةٍ يجدْها ولا يسلمْ له الدّهرَ صاحبُ

وهذه العقلانيّة عنده جعلته ينظر إلى الدّين والأمانة على أنّهما صفتان تلازمان علاقة المحبّين، متجاوزاً كلّ ما جرى عليه الشّعر العربي من تصوير التضحية في الحبّ، والاعتذار من الحبيب إذا أخطأ، والتحبّب إليه ولو أخلّ في وعوده.

وحين قال كثيّر:

وأخلفنَ ميعادي وَخُنَّ أمانتي وليس لمنْ خان الأمانةَ دينُ

لامه ابن أبي عتيق وقال له: «يا ابن أبي جمعة، وعلى الدّيانة تبعتها؟»[١].

ولهذا كانت صورة الحبّ عنده مبنيّة على التّقاضي شأنها في ذلك شأن كلّ علاقة إنسانيّة اجتماعيّة:

قضى كلّ ذي دين فوفّى غريمه وعزّة ممطول معنّىً غريمها

إنّ هذه النظرة إلى الحبّ تجعل منه ظاهرة اجتماعيّة وتنزع عنه صفاته الإنسانيّة كما تنقله من مجال الخاصّ إلى العامّ. وقد تجسّدت هذه الصورة

(١) الموشّح ص ٢٣٨.

العقلانيّة في شعره بموازين خلقيّة صارمة جعلت غزله يقوم على عذريّة عفيفة ينظّمها مقياس خلقي صارم، لا يجب أن يختلّ، مبنيٌّ على قاعدة العدالة والمساواة، يجعل من العلاقة بين الحبيبين قاعدة أخلاقية توجّه الشاعر في حبّه كما توّجهه في علاقاته الاجتماعية كافّة، يقول:

وقد علمتْ بالغيب أنْ لا أودّها إذا هي لم يكرمْ عليَّ كريمُها

أو يقول:

وإنّي لأسمو بالوصال إلى التي يكون شفاءً ذكرُها وازديارُها
وإن خَفِيَتْ كانت لعينكَ قرّة وإن تبدُ يوماً لم يعمّك عارها

وهذا الاتّجاه في شعر النسّيب عند كثيّر جعل القدامى يقولون إنّ كثيّراً يتقوّل في حبّه، لأنّه يخلط بين الحبّ والصّداقة، وكأنّه لم يذق طعم الحبّ الصّحيح ليقول كما قال أستاذه جميل:

يقولون جاهد يا جميل بغزوةٍ وأي جهاد غيرهنّ أريدُ

أو كما قال مجنون ليلى:

أُصلي فما أدري إذا ما ذكرتها أثنتين صلّيت الضّحى أم ثمانيا

ولكنّه يحسن أن يقول:

فما أنصفتْ، أمّا النّساءُ فبغّضتْ إلينا وأمّا بالنّوال فضنّتِ

ومن غريب ما نصادفه عند كثيّر في نسيبه ما يقوله لصاحبته عزة، بعد أن صدّت عنه، مظهراً شماتته بها، راجياً أن تنقلب الأيّام وترمي بها في ظلّ زوج بائس، فينتقم القدر له:

فلا تأمنيه أنْ يُسِرَّ شماتةً فيظهرَها إنْ أعقبتْهُ العواقبُ

ولكنّ كثيّراً استطاع أن يتجاوز أحياناً مبدأ الاعتدال والتّكافؤ، فيصوّر

التّضحية في الحبّ والتّسامح بين المحبين على غير مبالغة ليقول:

أَسِيئـي بنـا أو أَحسِنـي لا ملـومـةً ... لــدينـا ولا مقليّــة إنْ تَقَلَّــتِ

أو يقول:

هنيئـاً مَـرِيئـاً غيـرَ داءٍ مخـامــرٍ ... لعزّة مِـنْ أعـراضنـا مـا استحلّـتِ

ب • المدح

إن الصّدق الذي تميّز به شعره في النسيب ظلَّ ميزة شعره في المديح، كذلك فإنّ نزوعه نحو الاعتدال والواقعية دفعاه، حين عمد إلى مدح والد عبد الملك بن مروان، إلى أن قال إنّ النّاس قد خضعوا إلى أمره «طوعاً وكرهاً»، فلم يحاول الكذب. وحين مدح عبد الملك نفسه قال عن الذين عادوا إلى طاعة بني أميّة بعد أن كانوا من أعدائهم:

فمـا رجعـوهـا عنـوة عـن مــودّةٍ ... ولكـنْ بحـدّ المشـرفـيّ استقـالهـا

وقد عابه النقّاد القدامى لأنّه، حين مدح عبد الملك، وصفه بأنّه يلبس درعاً حصينة جيّدة السّرد، ولم يقل كما قال الأعشى في ممدوحه بأنّه يخوض القتال دون أن يكون لابساً الدّرع. قال المرزباني: «رأيت أهل العلم بالشّعر يفضّلون قول الأعشى في هذا المعنى على قول كثيّر لأنّ المبالغة أحسن عندهم من الاقتصاد على الأمر الوسط»[1]. وهذا هو الرأي النقدي الذي تبنّته مدرسة القائلين بأنّ أعذب الشّعر أكذبه.

والذي يميّز شعره، أنّ القصيدة عنده تقوم على استرسال أفقي ينشغل بالمسطّح الجغرافي المكاني، متأثّراً بحياة الرّعي الأولى، حتّى غدا شعره سجلاً حافلاً بأسماء الأماكن الممتدّة بين مكّة والمدينة؛ فإذا كفّ عن الاسترسال في

---

(١) الموشّح ص ٢٣١.

ذكر الأمكنة أو وصف النّاقة أو وصف البرق والرّعد والسّيل، وعمد إلى وصف خلجات نفسه، وقع في التردّد والحيرة والتقديم والتأخير والتكرار، لأنّ هذه الخلجات لا تخضع للامتداد الأفقيّ أو العاموديّ، بل تحتاج إلى نظرة نافذة مجرّدة تحيط بالحقائق الإنسانيّة الشّاملة خارج حدود الزّمان والمكان.

وتمتاز القصيدة عند كثيّر بأنّها تنساب على مستوى واحد ليس فيه انخفاض بعد ارتفاع أو ارتفاع بعد انخفاض، لأنّ الشاعر قلّما يتوقّف ليثب وثبة عالية. وإذا كانت بعض أبياته قد دارت على ألسنة النّاس وغلب عليها جانب الحكمة فإنّها جاءت عفواً وعن غير قصد، وقوله:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ولكنْ لا حياة لمن تنادي

إنّما هو في رثاء صديقه خندق، ولم يكن في قصد كثيّر أنّ يجعل منه مثلاً سائراً، غير أنّ البيت إذا انتزع من موضعه، اتّجه لدى القارىء باتّجاه نفسيّته.

٧ ـ رأي النقّاد فيه

لكثيّر في الشعر منزلة عالية، فقد قال ابن سلاّم في طبقاته: «كان كثيّر شاعر أهل الحجاز وإنّهم ليقدّمونه على بعض من قدّمنا عليه (يعني الفرزدق وجريراً والأخطل والرّاعي والبعيث والقطامي) وهو شاعر فحل، ولكنّه منقوص الحظّ بالعراق. وكان ابن إسحق يقول: كان كثيّر أشعر أهل الإسلام. قال ابن سلاّم: ورأيت ابن أبي حفصة يعجبه مذهبه في المديح جدّاً، يقول، كان يستقصي المديح وكان فيه مع جودة شعره خَطَلٌ وعُجْبٌ وكانت له منزلة عند قريش. قال: وقدم، على عبد الملك بن مروان، الشّام فأنشده والأخطل عنده فقال عبد الملك: كيف ترى يا أبا مالك؟ قال: أرى شعراً حجازياً مقروراً لو ضغطه برد الشّام لاضمحلّ».

وكان خلف الأحمر يعدّه أشعر النّاس في قوله لعبد الملك:

أبوك الذي لمّا أتى مرج راهطٍ وقد ألّبوا للشّرّ فيمن تألّبا
تشنّأ للأعداء حتّى إذا انتهوا إلى أمره طوعاً وكرهاً تحبّبا

أمّا ابن رشيق فقد ذكر في كتابه «العمدة» عن عون بن محمّد الكندي أنّه قال: أمدح النّاس زهير والأعشى ثمّ الأخطل وكثيّر. وحكى الصّولى وغيره أنّ مروان بن أبي حفصة كان يقدّم كثيّراً في المدح على جرير والفرزدق.

إضافة إلى هذه الشّهادات لم ينج كثيّر من تهم متعدّدة وجّهت إلى شعره تتعلّق بسرقة أبيات من شعر الآخرين وإدخالها في شعره. فقد مرّ الرّبيع بن أبي جهمة الجندعي على كثيّر بالرّوحاء وهو ينشد:

وكنت كذي رجلين رجلٍ صحيحة ورجلٍ رمى فيها الزّمان فَشُلّتِ

فقال له: ويحك يا ابن جمعة، منذ متى قيل هذا الشّعر؟ قال: منذ زمان طويل. قال: فهذا يقوله صاحبنا أميّة بن الأسكر. قال: هو ذاك يا ابن أبي جهمة، أنا أحظى به منه[1].

كما أغار كثيّر على بيت جميل:

ولا يلبث الواشون أنْ يَصْدعوا العصا إذا هي لم يصْلُب على البري عودها

فأدخله في قصيدته التي مطلعها: «نظرت وأعلام الشّربّة دوننا». ووقف النقّاد القدامى عند بعض المعاني التي استمدّها كثيّر من جميل وذلك مثل قوله:

أريد لأنسى ذكرها فكأنّما تَمَثَّلُ لي ليلى بكلّ سبيل

فقد عرض له الفرزدق بأنّه مأخوذ من قول جميل:

أريد لأنسى ذكرها فكأنّما تَمَثَّلُ لي ليلى على كلّ مرقبِ

---

(١) الموشّح ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

والمسألة في ظاهرها أعظم من حقيقتها في الواقع لأنّ كثيّراً كان راوية جميل وعلى يديه تخرّج في الشعر، وكان الشّاعران يتناشدان الشّعر، فليس مستغرباً أن يتأثّر به، ويحاكيه، ويستمدّ منه المعاني دون حرج.

٨ ـ وفاته

إذا كانت المصادر لم تعيّن سنة ولادة كثيّر فإنّها اتّفقت على أنّ وفاته كانت سنة ١٠٥ هـ في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك، أو أوّل خلافة هشام. وكانت هذه الوفاة مع وفاة عكرمة مولى ابن عبّاس في يوم واحد، وصلّي عليهما بعد الظهر في موضع الجنائز وقال النّاس: مات اليوم أفقه النّاس وأشعر النّاس؛ قال شاهد عيان: فما علمت تخلّفت امرأة في المدينة ولا رجل عن جنازتيهما... وغلب النّساء على جنازة كثيّر يبكينه ويذكرن عزّة في ندبتهنّ له[١].

برحليون في ٢٠/٨/١٩٩٢
مجيد طراد

---

(١) الأغاني ٩/٣٦.

القِسمُ الثَاني

دِيوانُه

قافية الألف

— 1 —

وقال: [من الطويل]:

١ وراجَعْـتُ نَفْسِي واعْتَرَتْني صَبابَـةٌ وفاضَتْ دُموعي عَبْرَةً خَشْيَةَ النَّـوَى

٢ وقُلْتُ وَكَيـفَ المنتهـى دُونَ خُلَّـةٍ هيَ العَيْشُ في الدنيا وَهِيْ مُنْتَهَى المُنَى

— 2 —

وقال: [من الكامل]

١ ما بَالُ مـوْلـىً أنـتَ ضَـامِـنُ غيّـهِ فإذا رأيتَ الرُّشْدَ لـم يـرَ مـا تَـرَى

٢ وَتَـرى المَسـاعـي عِنـدَهُ مَطلـولَـةً كالجودِ يُمطِرُ مـا يُحَسُّ لـه ثَـرَى

٣ فـاللهُ يَجْـزي بَيْنَنـا أَعْمـالَنـا وضَميرَ أنْفُسِنا ويُوفـي مَـنْ جزى

---

(١) اعترتني: أصابتني. صبابة: شوق وحبّ. العبرة: الدّمعة. النوى: الفراق، والبعد.

(٢) الخُلّة: الصديقة، الخليلة.

---

(١) الغي: خلاف الرشد. المطلول: الدم الذي هُدر، يريد أنهم لا يبالون بمساعيهم.

(٢) الثّرى: التّراب النديّ المبلّل.

(٣) يجزي: يكافىء.

قافية الباء

— 3 —

وقال يمدح عبد الملك بن مروان: [من الطويل]

١ دَعِينا ابنةَ الكعبيِّ والمَجدَ والعُلى ... وَرَاعي صِوارًا بالمدينَةِ أحْسَبَا

★ ★ ★

٢ أبوكَ الذي لمّا أتى مَرْجَ راهِطٍ ... وقد ألَّبُوا للشّرّ فيمَنْ تألَّبا

٣ تَشَنّأ للأعداءِ حَتّى إذا انتهوا ... إلى أمرِهِ طَوْعًا وكَرْهًا تحبَّبَا

— 4 —

وقال في عبد الملك بن مروان: [من الوافر]

١ رأيتُ أبا الوليدِ غَدَاةَ جَمْعٍ ... به شَيْبٌ وما فقَدَ الشبّابا

---

(١) راعي: راقبي واهتمّي به. الصّوار: القطعة من المسك. الأحسب: الذي في لونه حُسْبة، وهي سواد يضرب إلى الحمرة.

(٢) ألّبوا: جمعوا، يعني الأعداء.

(٣) تشنّأ: أظهر البغض والشّناءة.

---

(١) قوله، غداة جمع: أي غداة مجلس. جمع: اسم للمزدلفة، سميت بذلك للجمع بين صلاتي المغرب والعشاء فيها.

٢ فقُلْتُ لهُ ولا أعْيا جوابًا إذا شابَتْ لِداتُ المَرْءِ شَابا
٣ ولكِنْ تَحْتَ ذَاكَ الشّيْبِ حزْمٌ إذا مَا ظَنَّ أمرَضَ أوْ أَصَابا

— 5 —

وقال أيضًا من قصيدة يمدح عمر بن عبد العزيز : [من الطويل]

١ فَكَمْ مِنْ يتامى بُوّسٍ قد جَبَرْتَها وألْبَسْتَهَا مِنْ بعدِ عُرْيٍ ثِيَابَها
٢ وأرملةٍ هَلْكَى ضَعافٍ وَصَلْتَها وأسرى عُناةٍ قد فَكَكْتَ رِقابَها
٣ فتىً سَادَ بالمعروفِ غيرَ مُدافَعٍ كُهُولَ قريشٍ كلِّها وشَبَابَها
٤ أراهُمْ مَنَارَاتِ الهُدى مستنيرةً وَوَافقَ منها رُشدَها وَصَوَابَها
٥ وَرَاضَ بِرِفقٍ ما أرادَ ولم تَزَلْ رِيَاضَتُهُ حتّى أذلَّ صِعَابَها

— 6 —

وقال كثير أيضًا : [من الطويل]

١ أشاقك بَرْقٌ آخرَ اللّيلَ واصِبُ تضمّنهُ فرْشُ الجَبَا فالمَسارِبُ

---

(٢) اللدات : الأقران والأتراب .
(٣) الحزم : ضبط الأمر . أمْرَضَ : قارب الصّواب في الرأي وإنْ لم يُصِبْ كلّ الصّواب .

---

(١) بُؤّس : جمع بائس .
(٢) ضَعاف : ضعيفة ، وهي صفة للأنثى . وصلتها : أعطيتها ، أحسنت معاملتها . عناة : مفردها ، العاني ، الأسير الذي طال وضعه في القيود .
(٣) مدافع : مزاحم .
(٤) الهدى : الصواب . الرشد : الاستقامة على طريق الحقّ .
(٥) راض : ذلّل . الرفق : اللين في المعاملة .

---

(١) الواصب : الدائم الدائب . تضمّنه : احتواه ، اشتمل عليه . فرش الجبا والمسارب : موضعان بين مكّة والمدينة .

٢ يَجُـرُّ وَيَسْتـأنـي نَشـاصـًا كـأنّـهُ   بغَيْقَةَ حادٍ جَلْجلَ الصَّوْتَ جـالـبُ
٣ تألَّقَ واحْمَـوْمـى وخيَّـم بـالـرُّبـى   أحَمُّ الذُّرى ذو هيـدبٍ مُتَـرَاكـبُ
٤ إذا حـرَّكتْـهُ الرّيـحُ أرْزَم جـانِـبٌ   بلا هـزَقٍ مِنـه وأوْمـضَ جـانِـبُ
٥ كما أومضَتْ بالعَيـنِ ثـمَّ تَبَسَّمَـتْ   خَريعٌ بـدا منهـا جبيـنٌ وحـاجِـبُ
٦ يمُجُّ النّدى لا يَذْكُـرُ السّيـرَ أهلُـهُ   ولا يَرْجع الماشي بهِ وَهْـوَ جَـادِبُ
٧ وَهبْـتُ لسُعـدى مَـاءهُ وَنَبـاتَـهُ   كما كُلُّ ذي وُدّ لِمَـنْ وَدَّ وَاهِـبُ
٨ لِتَروَى بِهِ سُعْـدى ويَـرْوى مَحَلُّهـا   وتُغْـدِقَ أعْـدادٌ بـهِ ومشـارِبُ
٩ تذكّـرْتُ سُعْـدى والمطـيُّ كـأنَّـهُ   بآكـامِ ذي رَيْـطٍ غَطـاطٌ قَـوارِبُ
١٠ فَقَـدْ فُتْـنَ مُلْتجّـاً كـأنَّ نئيجَـهُ   سُعالُ جَوٍ أعْيَـتْ عليـه الطَّبـائـبُ

---

(٢) يستأني: يبطيء. النّشاص: السّحاب المرتفع بعضه على بعض. غيقة: حساء على شاطىء البحر فوق العذيبة، بين مكّة والمدينة. حادٍ: حادي الإبل، الذي يسوقها بالغناء. الجالب: الذي يزجر النّاقة ويصيح بها من خلفها ويستحثها.

(٣) تألّق: لمع وأضاء. احمومى: صار أسود اللّون. خيّم: أقام. أحمّ الذّرى: أي أسود الذرى، والذرى جمع ذروة وهي أعلى الشّيء. الهيدب: السّحاب، ما تهدّب منه أي ذيله وأن تراه ينصب كأنه خيوط متّصلة.

(٤) أرزم: صوّت. الهزق: شدّة الصّوت الذي يحدثه الرعد. أومض: أضاء.

(٥) أومضت بالعين: أومأت، أو سارقت النظر وأشارت إشارة خفيّة. الخريع: المرأة الناعمة التي تميل ليناً، وقيل المرأة الفاجرة والمعنى الأوّل أصحّ.

(٦) يمجّ: يقذف. قوله، لا يذكر السير أهله: لا يفكرون في الرحيل لشدّة المطر. الماشي: أي الذي يستقري هذا البرق الماطر. جادب: عائب له، وقد يكون من الجدب بمعنى المحل أي لا يرجع صفر اليدين.

(٧) سعدى: حبيبة الشاعر.

(٨) تغدق: تغزر. الاعداد: جمع عدّ، وهو البئر القديمة التي لا تنتزح، وهو أيضاً مجتمع المياه.

(٩) آكام: مرتفعات. ذي ريط: اسم مكان. الغطاط: القطا أو ضرب منه. القوارب: التي ترد الماء، شبّه بها المطيّ وهي تسرع جماعات للورود.

(١٠) فتن: سبقن. الملتجّ: الذي عظمت لجّته أي إلحاحه. النئيج: الصوت. الجوي: المريض مرضاً باطناً. الطبائب: الأطبّاء.

١١ فقلتُ وَلَم أملِكْ سَوابِقَ عَبْرةٍ سقى أهل بَيْسانَ الدّجونُ الهواضِبُ
١٢ وإنّي ولو صَاحَ الوشاةُ وطَرَّبوا لَمُتَّخِذٌ سُعْدى شباباً فناسبُ
١٣ يقولون أجْمِعْ من عُزَيْزَةَ سَلْوَةً وكيفَ وَهَلْ يَسْلُو اللَّجوجُ المُطَالِبُ
١٤ أعزُّ أجَدَّ الركبُ أن يَتَزَحْزَحوا وَلَمْ يعتبِ الزَّاري عليكِ المعاتبُ
١٥ فأحيي هداكِ اللهُ مَنْ قَدْ قَتَلِهِ وعاصي كما يُعْصى لديه الأقاربُ
١٦ وإنَّ طِلابي عانسًا أمَّ ولدةٍ لممّا تُمَنّيني النُّفوسُ الكواذبُ
١٧ ألا ليتَ شِعري هَلْ تَغَيّرَ بعْدنا أراكٌ فصُرْما قادِمٍ فتُناضِبُ
١٨ فبُرقُ الجَبا أمْ لا فَهُنَّ كعَهْدنا تنزَّى على آرامِهِنَّ الثَّعالِبُ
١٩ تَقِي اللهَ فيه أمَّ عمروٍ ونَوّلي مَوَدَّتَهُ لا يَطْلُبَنَّكِ طَالِبُ
٢٠ ومن لا يُغَمِّضْ عينَهُ عن صَديقِهِ وَعَنْ بَعْضِ ما فيه يَمُتْ وَهْوَ عَاتِبُ
٢١ ومن يتَتَبَّعْ جاهِداً كلَّ عَثْرَةٍ يجدْها ولا يسْلَمْ له الدَّهرَ صَاحِبُ

---

(١١) العَبرة: الدمعة. بيسان: موضع في جهة خيبر من المدينة. الدجون: السّحب. الهواضب: التي تهضب أي تمطر مطراً شديداً.

(١٢) طرّبوا: صاحوا ساعة بعد ساعة. النّاسب: الذي يقول شعر النّسب أي الغزل الرقيق.

(١٣) عُزيزة: تصغير عَزّة حبيبة الشاعر. السلوة والسّلوّ: نسيان الحبيب. اللجوج: العاشق الملحّ.

(١٤) أعزّ: مرخّم يا عَزّة. أجدّ الأمر: حققه. تزحزحوا: ارتحلوا. الزاري: العائب والمعاتب.

(١٥) عاصي: خالفي.

(١٦) العانس: المرأة التي كبرت ولم تتزوّج، ولكنّ قوله «أمّ ولدة» يثير إشكالاً حول المعنى المألوف للفظة «عانس» ولعل الصّواب أنّ لفظة «العانس» هنا تعني المرأة المتزوّجة.

(١٧) أراك: اسم مكان وهو وادي الأراك قرب مكّة يتصل بغيقة. صرما قادم: (بضمّ الصّاد) هي موضع. تناضب: اسم مكان.

(١٨) برق: جمع برقة، وهي الأرض الغليظة التي اختلطت فيها الحجارة والرمال وغيرها، وقد أضافها إلى «الجبا» وهو اسم مكان مرّ التعريف به في البيت الأوّل من هذه القصيدة. تنزّى: تتوثّب. الآرام: جمع ريم.

(١٩) نوّلي: أعطي. لا يطلبنّك: لئلا يطلبك طالب، بمعنى يلومك لائم إذا أنتِ لم تبادليه المودّة.

(٢٠) يغمّض عينه: كناية عن التّغاضي عن عيوب الصديق.

(٢١) عثرة: سقطة، زلّة.

٢٢ فلا تـأمَنيـهِ أنْ يُسِـرَّ شَمـاتـةً   فَيُظْهِـرَهـا إنْ أعقبَتْـهُ العَـواقِـبُ
٢٣ كأنْ لَمْ أقُلْ والليـلُ نـاجٍ بـريـدُهُ   وقد غالَ أميالَ الفِجاجِ الرَّكـائِـبُ
٢٤ خليليَّ حُثّا العيسَ نُصْبِحْ وقد بَـدَتْ   لنا من جِبـالِ الرّامتيـنِ مَنـاكِـبُ
٢٥ فـوالله مـا أدري أآتٍ على قِلـىً   وبـادي هـوانٍ منكُـمُ وَمُغَـاضِـبُ
٢٦ سَأمْلُـكُ نفسـي عَنْكُـمْ إنْ ملكتُهَـا   وَهَلْ أغْلِبَـنْ إلاّ الذي أنـا غَـالِـبُ
٢٧ حَلِيلـةُ قَـذّافِ الدِّيـار كـأنّـهُ   إذا ما تدانينـا مـن الجيشِ هَـارِبُ
٢٨ إذا مـا رآنـي بـارزاً حَـالَ دُونَهَـا   بمَخْبَطَةٍ يا حُسْنَ مَنْ هُـوَ ضَـارِبُ
٢٩ ولو تَنْقَـبُ الأضْلاعُ ألْفِـيَ تَحْتَهَـا   لِسُعْدى بأوسـاطِ الفـؤادِ مَضـارِبُ
٣٠ بها نَعَمٌ من مَـائِـلِ الحـبِّ واضـحٌ   بمجتمـعِ الأشْـراجِ نـاءٍ وَقَـارِبُ
٣١ تَضَمَّـنَ داءً منـذ عِشْـريـنَ حِجّـةً   لَكُمْ ما تُسَلّيهِ السّنونَ الكواذبُ(★)

(٢٢) يسرّ: يكتم. أعقبته العواقب: تحوّلت به من شرّ إلى خير وعوّضته عمّا فاته.
(٢٣) ناج: سريع، شبّه الليل بخيل البريد في سرعتها. غالت أميال الفجاج: قطعت المسافات الطويلة من الصحراء. الركائب: المطايا.
(٢٤) العيس: الإبل البيض. الرامتين: اسم مكان.
(٢٥) القلى: البغض. الهوان: الذلّ.
(٢٧) حليلة: زوجة. قذّاف: بعيد، أي هي زوجة رجل يتحرّى الأماكن النائية خوفاً عليها، فكأنّه، إذا اقتربنا منه، هارب منا هروبه من الجيش.
(٢٨) بارزاً: ظاهراً. المخبطة: القضيب والعصا، يعني أنّ زوجها يردعها بالعصا.
(٢٩) تنقب: تفتح وتكشف.
(٣٠) الأشراج: العرى المتداخلة، يعني بها ملتقى شؤون الصدر. ناء وقارب: بعيد وقريب.
(٣١) الحجّة: السّنة. السّنون: الأعوام.
(★) وقد زاد جامع الديوان البيت الآتي:
فليـت معلاويـن لـم يـكُ فيهمـا   طـريـقٌ يعـدّيـه مـن النّـاس راكـب

— 7 —

وقال كثير(★): [من الطويل]

١ ألا طَرَقَتْ بعدَ العِشاءِ جَنوبُ ... وذَلكَ مِنْهَا إنْ عَجِبْتَ عَجِيبُ
٢ تسَدَّتْ وَمَرٌّ دوننا وأراكُهُ ... وَدُونانُ أمسى دُونَها ونَقيبُ
٣ ونَحنُ بِبَطْحَاءِ الحَجُون كأنّنا ... مِراضٌ لَهُمْ وَسْطَ الرّحالِ نَحيبُ
٤ فحيّتْ نِياماً لم يَرُدُّوا تحيّةً ... إليها، وفي بعضِ اللّمامِ شُغوبُ
٥ لقد طرَقَتْنا في التَّنائي وإنّها ... على القُرْبِ عِلْمي للسُّرى لهيُوبُ
٦ أُحِبّكِ ما حَنّتْ بغَوْرِ تهامَةٍ ... إلى البوّ مِقْلاتُ النّتاجِ سَلُوبُ
٧ وما سَجَعَتْ من بطنِ وادٍ حمامةٌ ... يجاوبُهَا صاتُ العَشِيِّ طَرُوبُ
٨ وإني لَيَثْنِيني الحياءُ فأنثني ... وأقعُدُ والمَمْشَى إليكِ قريبُ

(★) يمدح فيها بعد المقدمة الغزلية أبا حفص عمر ويقول له «أبوك أبو العاصي»، مما يؤكد أنّ الممدوح أمويّ، وأنّه موصوف بالتقوى، وكلّ ذلك ينصرف إلى عمر بن عبد العزيز، وقد تولّى الخلافة سنة ٩٩ هـ - ١٠١ هـ؛ فالأرجح أنها من قصائد هذه الفترة، لذكره الخلافة فيها «وما النّاس أعطوك الخلافة والتّقى».

(١) طرقت: زارت ليلاً، يعني طيفها. جنوب: اسم حبيبته.

(٢) تسدّت: علت، يعني أنّ طيفها علاه. مَرّ: اسم مكان يقع في بطن إضم بعد ذي المروة إلى المدينة. أراكه: شجر الأراك الذي ينبت في مرّ. دونان: اسم مكان ولعلّ اللفظة مصحّفة عن دوران. النقيب: موضع في إحدى طرق الذاهب من المدينة إلى تيماء.

(٣) البطحاء: بطن الوادي أو حصاه الليّن السّهل. الحجون: موضع بمكّة عند المحصّب.

(٤) اللّمام: الزيارة. شغوب: إثارة الشّرّ والفتنة بين القوم.

(٥) التنائي: البعد. علمي: حسب علمي. السّرى: السّير ليلاً. الهيوب: الهيّاب المتهيب.

(٦) البوّ: جلد ولد النّاقة يُحشى تبناً ويقدّم إلى أمّه، تحسبه ولدها فتحنّ عليه وتدرّ اللبن. المقلات: القليلة الولد أو التي لا يعيش ولدها. السّلوب: النّاقة التي تلد ولدها قبل موعد ولادته.

(٧) صات: شديد الصوت. قال ابن سيده: يجوز أن يكون صات فاعلاً ذهبت عينه (يعني أنّ أصله: صائتٌ).

(٨) ثناه عن الأمر: حرفه عنه.

٩ وآتي بيوتاً حَوْلَكُمْ لا أُحِبّها وأُكْثِرُ هَجْرَ البيتِ وهو جَنِيبُ
١٠ وأُغضِي على أشياءَ منكِ تَريبُني وأُدْعَى الى ما نَابَكُمْ فأُجيبُ
١١ وما زلتُ مِن ذِكْرَاكِ حتَّى كأنَّني أميمٌ بأكنافِ الدّيارِ سليبُ
١٢ وحتَّى كأنّي من جَوَى الحُبِّ منكُمُ سليبٌ بصحراءِ البُرَيْحِ غَريبُ
١٣ أَبُثّكِ ما ألقى وفي النَّفْسِ حَاجَةٌ لها بينَ جلدي والعِظامِ دَبيبُ
١٤ أراكُمْ إذا ما زُرْتُكُمْ ـ وزيارتي قليلٌ ـ يُرَى فيكم إليَّ قُطوبُ
١٥ أبِيني أتعويلٌ علينا بما أرَى مِنَ الحبِّ أمْ عندي إليك ذنوبُ
١٦ أبِيني: فإمّا مُسْتَحيرٌ بِعِلّةٍ عَلَيَّ، وإمَّا مُذْنِبٌ فأتوبُ
١٧ حلفتُ وما بالصّدقِ عيبٌ على امرئٍ يَرَاهُ، وبعضُ الحالفينَ كذوبُ
١٨ بربِّ المطايا السَّابحاتِ وما بَنَتْ قريشٌ، وأهْدَتْ غَافِقٌ وتُجيبُ
١٩ ومُلقى الولايا مِنْ مِنىً حيثُ حلَّقَتْ إيادٌ وَحَلّتْ غامدٌ وَعَتيبُ
٢٠ يمينَ امرئٍ لم يَغْشَ فيها أثيمةً صَدوقٍ وفَوْقَ الحالِفينَ رَقيبُ

---

(٩) جنيب: مجاور، قريب.

(١٠) أغضى: سكت وصبر على أخطاء صديقه. نابكم: حلّ بكم.

(١١) الأميم: المأموم الذي ضرب على أمّ رأسه فراح يهذي، ومنه الآمّة وهي الشّجّة التي تبلغ أمّ الدماغ. سليب: مسلوب العقل.

(١٢) سليب: مسلوب أُخذ ما معه من مال وثياب وسلاح. ولم نجد «البريح» في المعاجم المتداولة.

(١٣) الدبيب: المشي البطيء.

(١٤) قطوب: عبوس.

(١٥) التعويل: هنا الإدلال بدافع الحبّ.

(١٦) المستحير: المتحيّر، الواقع في الحيرة. اعتلّ عليه بعلّة: تجنّى عليه.

(١٨) أهدت: قدّمت الهديّ وهو ما يهدى إلى مكّة من النّعم لتنحر. غافق وتجيب: قبيلتان.

(١٩) الولايا: جمع وليّة، البرذعة، أي حيث تلقى عن تلك الإبل. حلّقت: قصّرت شعرها. حلّت: دخلت في الحِلّ بعد الإحرام. إياد، غامد، عتيب: أسماء قبائل.

٢١ لَنِعْمَ أبـو الأضيـافِ يغْشَـوْنَ نـارَهُ وَمُلْقى رِحَالِ العِيس وَهْـيَ لَغُـوبُ
٢٢ وَمُخْتَبَطُ الجـادي إذا مـا تتـابعَـتْ على النَّـاسِ مثْنـى قَـرَّةٍ وجُـدوبُ
٢٣ وحامي ذمارِ القومِ في ما يَنـوبُهُـمْ إذا ما اعترَتْ بعد الخطوبِ خُطُوبُ
٢٤ علـى كـلّ حـالٍ إنْ ألمّـتْ مُلِمّـةٌ بنـا عُمَـرٌ، والنَّـائبـاتُ تَنـوبُ
٢٥ فتىً صَمْتُهُ حِلْـمٌ، وفصْـلٌ مَقَـالـهُ وفي البأسِ محمودُ الثنـاءِ صَليـبُ
٢٦ خطيبٌ إذا ما قـال يـومـاً بحكمـةٍ من القولِ ، مغْشـيٌّ الرّواق مَهيـبُ
٢٧ كثيرُ النَّدى يأتي النَّدى حيثما أتـى وإنْ غابَ غابَ العُرْفُ حيثُ يَغِيـبُ
٢٨ كريمُ كِرَامٍ لا يُرى في ذوي النَّـدى له في النَّدى والمأثُـراتِ ضَـريـبُ
٢٩ أبيٌّ أبى أنْ يَعرفَ الضيـمَ، غـالـبٌ لأعـدائـه، شَهْـمُ الفـؤادِ أريـبُ
٣٠ يقلّبُ عَيْنَـيْ أزْرَقٍ فـوْقَ مـرْقَـبٍ يَفـاعٍ لـه دُونَ السَّمـاءِ لُصُـوبُ
٣١ غدا في غَـداةٍ قَـرَّةٍ فـانْتَحَـتْ لـه علـى إثْـرِ وُرّادِ الحَمَـامِ جَنـوبُ

---

(٢١) لغوب: ما يصيب المطايا من التعب والإعياء.

(٢٢) مختبَط: مكان طلب المعروف. الجادي: الذي يطلب الجدوى والمعروف. القرّة: شدّة البرد. الجدوب: القحط.

(٢٣) الذمار: كلّ ما يُدافع عنه ويُحمى. ينوبهم: يصيبهم. اعترى: أصاب.

(٢٤) الملمّة: المصيبة. عمر: هو عمر بن عبد العزيز.

(٢٥) صليب: شديد، قويّ.

(٢٦) مغشيّ الرّواق: كناية عن الكرم، أي مقصود الدّار.

(٢٧) العرف: المعروف.

(٢٨) المأثرات: المكرمات والمآثر لأنّها تُؤثر وتُذكر. ضريب: مثيل.

(٢٩) أريب: ذكيّ متبصّر.

(٣٠) الأزرق: صفة للنسر، يريد أنّه صافي العينين. المرقب: المكان المشرف الذي يتيح المراقبة. يفاع: مرتفع. اللصوب: جمع لصب وهو كلّ مضيق في الجبل، والضمير في «له» يعود الى «مرقب»، أي جبل ذو لصوب.

(٣١) قَرَّة: باردة. انتحى: مال إلى ناحية. ورّاد الحمام: القطا الذي يرد إلى الماء. الجنوب: الرياح الجنوبيّة.

٣٢ جنى لأبي حفصٍ ذُرَى المجدِ والدٌ بنى دونَهُ للبانِيَيْنِ صُعوبُ
٣٣ فهذا على بنيانِ هذاك يَبْتني بُناهُ، وكلٌّ مُنجبٌ ونجيبُ
٣٤ وجدٌّ أبيه قَدْ يُنافي على البُنا بُناهُ، وكلٌّ شبَّ وهو أديبُ
٣٥ فأنتَ على منهاجهمْ تقتدي بهم أمامَك ما سَدّوا وأنتَ عَقيبُ
٣٦ فأصبحتَ تحذُو مِنْ أبيكَ كما حَذا أبوكَ أباهُ فِعْلَهُ فَتُصيبُ
٣٧ وأمْسيتَ قلباً نابتاً في أرومةٍ كما في الأرومِ النابتاتِ قُلوبُ
٣٨ أبوكَ أبو العاصي فَمَنْ أنتَ جاعلٌ إليهِ، وبعضُ الوالدين نجيبُ
٣٩ وأنتَ المنقّى مِنْ هُنا ثمَّ مِنْ هُنا وَمِنْ هاهنا والسَّعدُ حينَ تؤوبُ
٤٠ أقمتَ بهلكى مالكٍ حين عَضَّهُمْ زَمَانٌ يَعُرُّ الواجدينَ عَصيبُ
٤١ وأنت المُرَجَّى، والمُفَدَّى، لِهالِكٍ وَأَنتَ حَلِيمٌ نافعٌ وَمُصيبُ
٤٢ وَلِيتَ فلم تُغْفِلْ صديقاً، ولم تدَعْ رَفيقاً، ولم يُحْرَمْ لديكَ غريبُ
٤٣ وأحييتَ مَنْ قَدْ كان مَوَّتَ مالَهُ فإن مُتَّ مَنْ يُدعى له فيجيبُ

---

(٣٢) الصّعوب: الصّعب.

(٣٣) البُنا: (بضمّ الباء) جمع بُنوة أو بِنوة.

(٣٤) ينافي: لعلّها «أناف»، تقول: أناف البناء فهو منيف أي مرتفع.

(٣٥) سدّوا: من سدّى الثوب إذا مدّ خيوطه طولاً، وسدّى بين القوم، أصلح بينهم. عقيب: تالٍ، لاحق.

(٣٦) تحذو: تفعل مثل فعله. فعله: بدل اشتمال من «أباه».

(٣٧) قلب النبتة: لبّها، والقلب (بفتح القاف وضمّها وكسرها) هو الخالص من كلّ شيء. الأرومة: الأصل.

(٣٩) تؤوب: ترجع إلى الأصل.

(٤٠) أقمت بهلكى مالكٍ: يريد، أصبحت سائساً للهالكين من بني مالك. يعرّ: يحطّ من شأنهم ويعيبهم. الواجدين: الذين يجدون ما ينفقون. عصيب: شديد، قاسٍ.

(٤١) لهالكٍ: هذه اللفظة ربّما كانت «لمالكٍ».

(٤٢) وليت: تولّيت الحكم.

٤٤ قَضَيتَ لسَوْراتِ العُلا فاحتَوَيْتَها وأنت لِسَورات العَلاء كَسُوبُ
٤٥ وَمَا النَّاس أعطَوْكَ الخِلافةَ والتُّقى ولا أنت، فاشْكُرْهُ يُثِبْكَ مُثيبُ
٤٦ ولكنّما أَعطاكَ ذلكَ عالمٌ بما فيكَ مُعْطٍ للجزيلِ وَهُوبُ

— 8 —

وقال يهجو بني ضمرة: [من الطويل]

١ لا بَأْسَ بالبَزْواءِ أرْضاً لَوانّها تُطَهَّرُ مِنْ آثارِهِمْ فتطيبُ
٢ إذا مَدَحَ البكْريَّ عِندَكَ نَفْسُهُ فقُلْ كَذَبَ البَكْرِيُّ وَهْوَ كَذُوبُ
٣ هو التّيس لؤماً وَهْوَ إنْ رَاءَ غَفْلَةً مِنَ الجارِ أو بعْضِ الصَّحَابَةِ ذيبُ

— 9 —

وقال يمدح سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان(★): [من البسيط]

١ اذكرْ سعيداً بِخِلاَّتٍ سَبَقْنَ لَه: ميراثُ والدِهِ والعِرْقُ مُنْتَسِبُ

---

(٤٤) سورة المجد: أثره وعلامته وارتفاعه. كسوب: كاسب.
(٤٥) الهاء في «فاشكره» تعود إلى «مثيب»، والمثيب: هنا هو الله.
(٤٦) الجزيل: الكثير من كلّ شيء. والمعطي الوهوب: هو الله.

---

(١) البزواء: قرب المدينة، بلدة مرتفعة من السّاحل بين الجار وودّان وغيقة، من أشدّ بلاد الله حرّاً، كان يسكنها بنو ضمرة من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة، رهط عَزَّة صاحبة الشّاعر.
(٢) البكريّ: المنسوب إلى بني بكر بن عبد مناة بن كنانة.
(٣) راء: رأى. ذيب: ذئب (وقد ترك همزه).

(★) أمّ الممدوح هي ابنة سعيد بن العاص، كان كثير المال إلاّ أنّه كان بخيلاً، وقد زوّج إحدى بناته لهشام، وتزوّج إحداهنّ الوليد بن يزيد وطلّقها قبل الخلافة ثم تزوّج أختاً لها وهو خليفة.
(١) خلاّت: خصال.

٢ يا ابنَ الأكارمِ والمحمودِ سَعْيُهُمُ	وابنَ الذي عُوقِبَتْ في قَتْلِهِ العَرَبُ

— 10 —

وقال كثير: [من الطويل]

١ عفا السَّفْحُ مِنْ أُمّ الوليدِ فَكَبْكَبُ	فنَعْمانُ وَحْشٌ فالرَّكيُّ المثقَّبُ
٢ خَلاءٌ إلى الأَحْوَاضِ عَافٍ وقد يُرى	سَوامٌ يُعَافيهِ مُراحٌ ومُعْزَبُ
٣ على أَنَّ بالأقوازِ أطلالَ دِمْنَةٍ	تُجِدُّ بها هُوجُ الرِّياحِ وَتَلْعَبُ
٤ لِعَزَّةَ إذْ حَبْلُ المَوَدَّةِ دائمٌ	وإذ أنتَ مَتْبُولٌ بِعزَّةَ مُعْجَبُ
٥ وإذْ لا تَرَى في النَّاسِ شَيْئاً يَفُوقُهَا	وَفِيهنَّ حُسْنٌ ـ لو تَأَمَّلْتَ ـ مَجْنَبُ
٦ هَضِيمُ الحَشَا رُودُ المَطا بَخْتَرِيّة	جَمِيلٌ عليها الأتْحميُّ المُنَشَّبُ
٧ هي الحُرَّةُ الدَّلُّ الحَصَانُ وَرَهْطُها	ـ إذا ذُكر الحيُّ ـ الصَّرِيحُ المهذَّبُ

---

(٢) الذي عوقبت في قتله العرب: يعني عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وكان بعضهم يعتقد أنّ كلّ ما أصاب أهل المدينة بعد مقتله، فإنّما حلّ بهم بسبب تخلّيهم عن عثمان، وكلّ فتنة وقعت بعد ذلك، فإنّها عقاب للعرب الذين تآمروا عليه وقتلوه.

---

(١) عفا: درس. كبكب: هو الجبل الأحمر الى شمال عرفات. نَعْمان: وادٍ ينحدر من جبل شدّاد ويقع جنوب عرفات. وحش: موحش. الركيّ المثقّب: اسم جنس للرّكيّة وهي البئر.
(٢) خلاء: خالية. يعافيه: يتردّد إليه. السّوام: الماشية. المراح: الماشية التي تعاد إلى مراحها بعد الرّعي. المعزب: الماشية التي تبيت بعيدة عن الحيّ.
(٣) الأقواز: جمع قوز وهو العالي من الرّمل كأنّه جبل.
(٤) متبول: من تبله الحبّ إذا أسقمه وذهب بعقله.
(٥) المجنب: الشيء الكثير.
(٦) هضيم الحشا: لطيفة الحشا. رود: ليّنة. المطا: التمطّي. بختريّة: متبخترة في مشيتها. الأتحميّ: ضرب من البرود وهو أحمر اللون، وقيل مخطّط بالصّفرة. المنشّب: البرد الموشّى على صورة النشّاب.
(٧) الدلّ: الدلال والغنج. الحصان: المرأة العفيفة. الرهط: القوم والجماعة.

٨ رأيْتُ وأَصْحابي بِأيلةَ موْهِناً وَقَدْ لاح نَجْمُ الفَرْقدِ المُتصوِّبُ
٩ لِعَزَّةَ ناراً مَا تَبُوخُ كأَنَّها إذا ما رَمقْناها مِنَ البُعْدِ كَوْكَبُ
١٠ تَعَجَّبَ أصْحابي لها حِينَ أُوقِدَتْ ولَلمُصْطَلُوها آخرَ اللّيلِ أعْجَبُ
١١ إذا ما خَبَتْ مِنْ آخرِ اللّيلِ خَبْوةً أُعِيدَ لها بالمَنْدليِّ فَتُثْقَبُ
١٢ وَقَفْنا فَشُبّتْ شَبّةً فَبَدَا لنا بأهضامِ واديها أَرَاكٌ وتَنْضُبُ
١٣ وَمِنْ دونَ حيثُ استُوقِدَتْ مِنْ مُجالِخٍ مَراحٌ ومغْدًى للمَطيّ وَسَبْسَبُ
١٤ أتَتْنا بِرَيَّاها وللعيسِ تَحْتَنا وَجِيفٌ بِصَحْرَاءِ الرُّسَيْسِ مُهذِّبُ
١٥ جنوبٌ تُسَامي أَوْجُهَ الرّكْبِ مَسُّها لذيذٌ، ومَسْراها منَ الأرضِ طَيّبُ
١٦ فيا طُولَ ما شَوْقي إذا حَالَ دُونَهَا بُصاقٌ ومن أعلامِ صِنْدِدَ مَنْكِبُ
١٧ كأنْ لَمْ يوافقْ حجَّ عزَّةَ حَجُّنا وَلَمْ يَلْقَ ركباً بالمحصَّبِ أركَبُ
١٨ حَلَفْتُ لها بالرَّاقصاتِ الى منىً تُغِذُّ السُّرى كَلْبٌ بهنَّ وَتغْلِبُ

---

(٨) أيلة: شعبة من جبل رضوى. موهناً: منتصف الليل. المتصوّب: المنحدر.
(٩) ما تبوخ: هنا ما تخمد.
(١١) خبت: خمدت، سكنت. المندليّ: عود ينسب إلى مندل في الهند، وهو طيّب الرائحة يُتبخّر به. تُثقب: يوقد حطبها فتتّقد.
(١٢) أهضام الوادي: بطنه. التنضب: شجر له شوك قصار تقطع منه العصيّ الجيّدة وأعمدة الأخبية، ينبت في الحجاز، عيدانه بيض وشوكه مثل شوك العوسج وله جنى مثل العنب الصغير.
(١٣) مجالخ: وادٍ من أودية تهامة. مراح ومغدى: مكان للرواح والغدو. السبسب: الأرض المستوية البعيدة.
(١٤) ريّاها: رائحتها. الوجيف: ضرب من السّير دون التقريب. الرُّسيس: واد قرب المدينة وقيل هو وادٍ بنجد. مهذّب: سريع.
(١٥) جنوب: رياح جنوبيّة.
(١٦) بصاق: جبل قرب أيلة فيه نقب. صندد: جبل بتهامة الحجاز.
(١٧) يوافق: يؤالف ويؤانس. المحصّب: موضع فيما بين مكّة ومنى وهو إلى منى أقرب.
(١٨) الراقصات: الإبل تهتزّ في سيرها. تُغِذّ: تسرع. كلب وتغلب: قبيلتان.

١٩ وَربِّ الجيادِ السّابحاتِ عَشِيّةً ‏ مع العصْرِ إذْ مرّتْ على الحَبْلِ تَلْحَبُ
٢٠ لَعزَّةُ هَمُّ النفسِ مِنْهُنَّ لو ترى ‏ إليها سبيلاً، أو تُلِمُّ فَتُصقِبُ
٢١ أُلامُ على أُمّ الوليدِ، وحبُّها ‏ جوىً داخلٌ تحت الشّراسيفِ مُلهَبُ
٢٢ ولو بذلَتْ أُمُّ الوليدِ حديثَها ‏ لعُصْمٍ برَضْوى أصبحَتْ تتقرَّبُ
٢٣ تَهَبّطْنَ مِن أكْنافِ ضَأْسٍ وأيلةٍ ‏ إليها ولَوْ أغْرى بهِنَّ المُكَلِّبُ
٢٤ تَلَعّبُ بالعِزْهاةِ لَمْ يَدْرِ ما الصِّبا ‏ وييأسُ مِنْ أُمّ الوليدِ المجرِّبُ
٢٥ ألا لَيْتنا يا عَزَّ كُنّا لِذِي غِنىً ‏ بعيرينِ نَرْعى في الخلاءِ ونعزُبُ
٢٦ كِلانا بهِ عَرٌّ فمَنْ يَرَنا يقُلْ ‏ عَلى حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدي وأجرَبُ
٢٧ إذا ما ورَدنا مَنْهلاً صَاحَ أهلُهُ ‏ علينا فما ننْفكُّ نُرْمَى ونُضرَبُ
٢٨ نكونُ بعيريْ ذِي غِنىً فيُضيعُنا ‏ فلا هُوَ يرْعانا ولا نَحْنُ نُطْلَبُ
٢٩ يُطَرِدُنا الرُّعيانُ عَنْ كُلِّ تلْعةٍ ‏ ويمنعُ مِنّا أنْ نُرى فيه نَشْربُ
٣٠ وددتُ وبَيْتِ الله أنّكِ بَكْرَةٌ ‏ هِجانٌ وأنّي مُصْعبٌ ثمَّ نهرُبُ

(١٩) السّابحات: المسرعات في جريهنّ. الحبل: هو جبل عرفة. تلحب: تقطع الطريق.

(٢٠) تلمّ: تأتي وتزور. تصقب: تصبح مجاورة.

(٢١) الجوى: الحرقة والوجد. الشراسيف: جمع شرسوف، وهو رأس الضلع مما يلي البطن.

(٢٢) العصم: جمع أعصم، وهو الوعل الذي في رجله بياض، يضرب به المثل في التأبّد والمكث في الجبال وعدم النزول الى السهول. رضوى: جبل ضخم من جبال تهامة.

(٢٣) ضأس: سفح من سفوح جبل رضوى. أيلة: شعبة من جبل رضوى (أنظر حاشية البيت الثامن من هذه القصيدة). المكلّب: صاحب الكلاب. أغرى بهنّ: حاول الإيقاع بهنّ.

(٢٤) تلعّب: تتلعّب. العزهاة: العزوف الصدوف عن شؤون الصّبا، أي هي من براعة الجمال والدّلّ بحيث تفتن حتّى من لم يكن مشغول الخاطر بالحبّ، كما أن المجرّب ييأس منها، لتمنّعها وإبائها.

(٢٥) نعزب: نبعد في المرعى عن الحيّ.

(٢٦) العَرّ: الجرب.

(٢٧) المنهل: مورد الماء.

(٢٩) التلعة: ما ارتفع من الأرض.

(٣٠) البكرة: الناقة الفتيّة. الهجان: الكريمة. المصعب: الفحل من الإبل.

قال مؤلف الزهرة (ص: ١٣) وبلغني أن بثينة وعزّة كانتا خاليتين تتحدثان إذ أقبل كثير فقالت بثينة لعزة: أتحبين أن أبين لك إن كان كثيّر فيما يظهره لك من المحبّة غيرَ صادق؟ قالت: نعم؛ قالت: ادخلي الخباء؛ فتوارت عزّة ودنا كثيّر حتى وقف على بثينة فسلّم عليها فقالت له: ما تركت عزّة فيك مستمتعاً لأحد، فقال كثيّر: والله لو أن عزّة أمة لوهبتها لك. قالت له بثينة :إن كنت صادقاً فاصنع في ذلك شعراً.

وفي الأغاني (٩: ٣٥) أن عزّة هي التي طلبت إلى بثينة أن تتصدى لكثيّر، فعرضت عليه الوصل فقاربها ثم قال(★): [من الطويل]

١ رَمَتْني على عَمْدٍ بُثينَة بَعْدما   تَوَلّى شَبَابي وارْجحَنَّ شَبَابُها
٢ بعينين نَجْلاوين لوْ رَقْرَقَتْهُمَا   لِنَوءِ الثُّريّا لاسْتَهَلَّ سَحَابُها
٣ ولكنّما تَرْمِينَ نفساً مَريضَةً   لِعَزَّة مِنْهَا صَفْوُهَا ولُبابُها(١)

(★) في الأغاني ما يدلّ على أنّ في القصيدة أبياتاً عدا هذه الثلاثة.
(١) ارجحنّ: اهتزّ ومال.
(٢) العين النجلاء: الواسعة الحسنة. النوء: المطر
(٣) اللُّباب: الخالص من كلّ شيء.

(١) وجاء على وزن الأبيات ورويها أيضاً:
وألقى على قَبْسٍ من النار جذوةً   شديداً عليَّ حرُّها والتهابها
وإنّي وتهيامي بعزّةَ بعدما   تولّى شبابي وارجحنّ شبابها
لكالمرتجي ماء بقفراء سبسب   يُغَرُّ به من حيث عنّ سرابها

— 12 —

وقال: [من الطويل]

١ عَفَتْ غيْقـةٌ مِـن أهلِهـا فَجُنُـوبُهـا   فـرَوْضَـةُ حَسْنَـا قـاعُهَـا فَكَثِيبُهـا

٢ منازِلُ مِن أسْماءَ لم يَعْـفُ رَسْمَهـا   رِيـاحُ الثّـرَيّـا خِلفَـةً فضَـريبُهـا

٣ تلُـوحُ بـأطْـرافِ البُضَيـعِ كـأَنَّهـا   كِتابُ زُبـورٍ خُـطَّ لـدْنـاً عَسِيبُهـا

★ ★ ★

٤ إذا لم تَكُونوا نَاصِري أهْـلِ حَقّهـا   ومُلْفَينَ عند النَّصـرِ ممّـن يُجِيبُهـا

٥ فسيـروا بُـراءً فـي تَفَـرُّقِ مـالـكٍ   بنُصْـحٍ وأرحـامٍ يَئِـطُّ قَـريبُهـا

٦ وهَـل مـالـكٌ إلاّ أُسُـودُ خفيّـةٍ   إذا لَـمْ تُعَـاطَ الحـقَّ بـادٍ نُيُـوبُهـا

٧ تلظّى النصالُ الزُّرقُ فوق خدورهـا   وتمضي أنـابيـبُ القنَـا وكُعُـوبُهـا

— 13 —

قال يمدح يزيد بن عبد الملك: [من الطويل]

١ أمِن آلِ سَلْمى دِمنَـةٌ بـالـذَّنـائـبِ   إلى الميثِ مِنْ رَيعانَ ذَاتِ المطارِبِ

---

(١) عفت: درست. غيقة: سهل يقابل بدراً بين مكّة والمدينة. حسنا: اسم موضع، وصوابها حسنى، وكتبت في الخارطة خطأ (حسنة).

(٢) خلفة: الرّياح تخلف بعضها بعضاً. الضّريب: الجليد.

(٣) البضيع: اسم موضع. اللدن: الرطب. العسيب: الجريدة من النخل يكتب عليها.

(٤) يخاطب قومه بني خزاعة. أهل حقها: لعلّه يعني بني مالك.

(٥) براء: أبرياء الصّدور. يئط: يتحرّك ويعطف.

(٦) لم تُعاطَ: لم تُعاملْ.

(٧) الأنابيب: الصّفوف.

---

(١) الذنائب: في أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكّة، والذنائب جمع ذنابة وهي طرف الوادي. الميث: جمع ميثاء وهي الأرض اللّينة أو الرملة السهلة. ريعان: موضع وهو جبل أو بلد. المطارب: الطرق الصغار.

٢ يَلُوح بأطْرَافِ الأَجِدَّةِ رَسْمُها بذي سَلَمٍ أطلالُها كالمذاهِبِ
٣ أقامَتْ بهِ حَتَّى إذا وَقَدَ الحَصَى وقَمّصَ صَيْدانُ الحَصَى بالجَنَادِبِ
٤ وهبّتْ رِيَاحُ الصَّيفِ يَرْمِينَ بالسَّفا بَلِيّةَ باقي قَرْمَلٍ بالمآثبِ

★ ★ ★

٥ طلَعْنَ عَلَينا بَيْنَ مُرْوَةَ فالصَّفَا يَمُرْنَ على البَطْحاءِ مَوْرَ السَّحائبِ
٦ فَكِدْنَ لَعَمْرُ اللهِ يُحْدِثْنَ فِتْنَةً لِمُخْتَشِعٍ من خَشْيَةِ اللهِ تائبِ
٧ وفي اليأسِ عَنْ سَلْمَى وفي الكِبَرِ الذي أصابَكَ شُغْلٌ للمُحبِّ المُطالِبِ
٨ فَدَعْ عَنْكَ سَلْمى إذ أتى النّأيُ دُونَهَا وَحَلّتْ بأكْنَافِ الخُبَيْتِ فَغَالِبِ
٩ سَقَى اللهُ حَيّاً بالمُوَقَّرِ دارُهُمْ إلى قَسْطَلِ البَلْقاءِ ذَاتِ المَحارِبِ
١٠ سَوَارِيَ تُنحِي كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ وصوْبَ غمامٍ باكِرَاتِ الجنائِبِ
١١ أناسٌ يَنَالُ الماءَ قبلَ شِفَاهِهِم لهُ وارِدَاتُ العرضِ شُمُّ الأَرَانبِ

---

(٢) الأجدّة: جمع جدد وجادّة وهو الطريق. ذو سلم: وادٍ ينحدر على الذنائب. المذاهب: جمع مُذْهَب وهي جلود مذهبة أو برود موشّاة.

(٣) قمّص: حرّك ونقّز. صيدان الحصى: صغارها، يريد أنّ الجنادب تنقز من حرّ الحجارة. الجنادب: جراد صغير.

(٤) السفا: التراب. ليّة: أرض من الطّائف. القرمل: شجر ضعيف لا شوك له من الحمض لا ذرى لها ولا سترة ولا ملجأ. المآثب: موضع. ويروى «تليّة» بدل «بليّة» والتليّة، بقيّة الشيء.

(٥) مروة والصفا: جبلان بمكّة. يمرن: يتحرّكن.

(٦) الفتنة: هنا الضلال والإثم والكفر.

(٨) النأي: البعد. الخبيت: ماء في العالية يشترك فيه أشجعُ وعَبْسُ. غالب: موضع بالحجاز.

(٩) الموقّر: موضع بنواحي البلقاء كان يزيد بن عبد الملك ينزله. قسطل: موضع قرب البلقاء من أرض دمشق في طريق المدينة. المحارب: جمع محراب وهو القصر وما يشبهه وهو أيضاً صدر المجلس أو أكرم مجالس الملوك.

(١٠) سواري: جمع سارية وهي السحابة السارية. تنحي: تصبّ مطرها. الصوب: المطر الذي لا يؤذي. الجنائب: جمع جنوب وهي الريح.

(١١) شمّ الأرانب: مرتفعو الأنوف.

١٢ يُحيّونَ بَسّامينَ طَوْراً وتارَةً يُحيّونَ عَبّاسينَ شوسَ الحَواجِبِ
١٣ من النّفَرِ البِيضِ الذينَ إذا انتجَوْا أقرّتْ لِنَجْوَاهُمْ لؤيُّ بنُ غالِبِ
١٤ إذا النّضْرُ وَافَتْها على الخَيلِ مَالِكٌ وعَبْدُ مَنافٍ والتقوا بالجَبَاجِبِ
١٥ إذا ضَرَبْوا يَوماً بها الآلَ زيّنوا مَسانِدَ أشراقٍ بها ومَغارِبِ

★ ★ ★

١٦ إلى الأبيضِ الجَعْد ابنِ عَاتِكَةَ الذي له فَضْلُ مُلْكٍ في البرِيّةِ غالِبِ
١٧ كَرِيمٌ يَؤُولُ الرّاغِبُونَ بِبابِهِ إلى وَاسعِ المَعْروفِ جَزْلِ المَوَاهِبِ
١٨ إمامُ هُدىً قَدْ سَدّدَ اللهُ رأيَهُ وَقَدْ أحْكَمَتْهُ مَاضِيَاتُ التَّجارِبِ
١٩ ولم يبلُغِ السّاعونَ في المجدِ سعيَهُ ولم يُفْضِلوا إفْضَالَهُ في الأقارِبِ
٢٠ جَزَتْكَ الجوازي عَن صديقِكَ نَضرَةً وقرَّبْتَ من مأوى طَريدٍ وَرَاغِبِ
٢١ وَصَاحِبِ قَوْمٍ مُعصَمٌ بِكَ حَقُّهُ وجارُ ابنِ ذِي قُرْبى وآخِرِ جانبِ
٢٢ رَأَيْتُكَ والمَعْرُوفُ مِنْكَ سَجِيّةٌ تَعُمُّ بخَيْرٍ كُلَّ جادٍ وَغَائِبِ
٢٣ أبُوكَ غَدَاةَ الجِزْعِ مِنْ أرْضِ مَسْكَنٍ يَؤُمُّ العِدا بالجَمْعِ بَعْدَ المَقَانِبِ

---

(١٢) شوس: جمع أشوس، وهو الذي يبدو الغضب في نظره كِبراً وأنَفَةً.
(١٣) انتحى: أطلع بعضهم بعضاً على العواطف والرغبات.
(١٤) النضر: هو النضر بن كنانة والنضر أبو قريش. مالك: هو مالك بن النضر. الجباجب: أسواق بمكّة أو مجمع النّاس من منىً.
(١٥) الآل: الخيام. بها: يعني «بالجباجب» التي ذكرت في البيت السابق. المسان: مواضع الصعود في الجبل. الأشراق والمغارب: جمع شرق وغرب.
(١٦) الجعد: من الأضداد، السخيّ الكريم وأكثر ما تقال في البخيل اللئيم.
(١٧) يؤول: يرجع إلى. جزل: كثير.
(١٨) أحكمته: أكسبته الحكمة.
(١٩) أفضَلَ: زاد وأكثر.
(٢٠) النَّضرة: التنعّم.
(٢١) مُعصم: محفوظ.
(٢٢) السجيّة: الطبع. الجاد: طالب الجدوى والمعروف.
(٢٣) الجزع: منعطف الوادي أو وسطه. المقانب: جماعة الخيول تجتمع للغارة.

وقال يمدح يزيد بن عبد الملك ويتشفع في آل المهلب(★) : [من الطويل]

١ تشَوَّفُ من صوتِ الصَّدَى كُلّما دَعَا ... تَشَوُّفَ جَيْداءِ المُقَلَّدِ مُغْيِبِ

٢ تُبَارِي حَراجيجاً عِتَاقاً كأنَّها ... شَرَائحُ مَعْطُوفٍ من القُضْبِ مُصْحَبِ

٣ إذا ما بَلَغْنا الجهْدَ منها تَوَعَّبَتْ ... وَضِيعُ زِمامٍ كالحُبابِ المسيَّبِ

٤ أضرَّ بِهَا علقُ السُّرَى كُلَّ ليلةٍ ... إليكَ فإسآدي ضُحىً كُلَّ صَيْهَبِ

★ ★ ★

٥ حَلِيمٌ إذا مَا نالَ عَاقبَ مُجمِلاً ... أشَدَّ العِقَابِ أوْ عَفا لم يُثرِّبِ

٦ فعَفْواً أَميرَ المؤمنينَ وَحِسْبَةً ... فما تكْتَسِبْ من صَالحٍ لَكَ يُكتَبِ

(★) لمّا قتل يزيد بن المهلّب في معركة العقر (١٠٢ هـ) انهزم المهالبة في آسيا فبلغ بعضهم السند، فلمّا ولي مسلمة بن عبد الملك العراق بعث هلال بن أحوز المازني لتعقبّهم فقتل المفضّل وخمسة من ولد المهلّب وأخذ كثيراً من الأسرى وأرسلهم إلى يزيد بن عبد الملك فقام كثيّر متشفّعاً فيهم فلم يشفعه يزيد ودفع كثيراً من الأسرى إلى القتل (العقد ٤ : ٤٤٢ - ٤٤٣).

(١) تشوّف: تتشوّف أي تتطلّع وتتلفّت كلّما سمعت صوت الصدى. جيداء المقلّد: طويلة العنق، والمقلّد، مكان وضع القلادة من العنق. مُغيب: المرأة التي غاب زوجها.

(٢) الحراجيج: جمع حرجوج وهي الناقة الجسيمة الطويلة. العتاق: الشريفة الأصل، النجيبة. شرائح: جمع شريح وهو العود الذي يشقّ منه قوسان فكل واحدة منها شريح. القضب: جمع قضيب. المصحب: هو العود الذي ترك لحاؤه ولم يُقْشَر.

(٣) وضيع زمام: أي أذلّها الزّمام. الحباب: الحيّة. المسيّب: المتروك. توعّبت: ركضت بأقصى ما عندها.

(٤) السّرى: السّير ليلاً. الإسآد: السّير طوال الليل. الصهيب: الأرض المستوية.

(٥) المُجمل: من أجملَ في الطلب إذا اتّأد فاعتدل ولم يفرط. لم يثرّب: لم يعيّر ولم يوبّخ.

(٦) الحسبة: الأجر.

٧ أساؤُوا فـإنْ تَغْفِـرْ فـإنَّـكَ أَهْلُـهُ   وأفضَلُ حِلْمٍ حِسْبَةً حِلْـمُ مُغضَـبِ
٨ نفَتْهُم قُـريشٌ عـن أبـاطِـحِ مَكّـةٍ   وَذِي يَمَنٍ بـالمَشْـرفـيِّ المُشَطَّـبِ

— 15 —

دخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال: يا أمير المؤمنين إن أرضاً لك يقال لها عرب ربما أتيتها وخرجت إليها بولدي وعيالي فأصبنا من رطبها وتمرها بشراء مرّة وطعمة مرّة؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يعمرنيها فعل، فقال له عبد الملك: ذلك لك. فنَدَّمه الناس وقالوا له: أنت شاعر الخليفة ولك عنده منزلة فهلا سألت الأرض قطيعة، فأتى الوليد فقال: إن لي إلى أمير المؤمنين حاجة، فأجلسني قريباً من البرذون؛ فلمّا استوى عليه عبد الملك قال له: إيه - وعلم أن له إليه حاجة - فقال كثير: [من الطويل]

١ جَزَتكَ الجَوازي عن صَدِيقكَ نضرَةً   وأدْنَاكَ ربّي فـي الرَّفيـقِ المُقـرَّبِ
٢ فـإنَّـكَ لا يُعطـي عليـكَ ظَلامَـةً   عـدُوٌّ، ولا تَنـأى عـنِ المُتقـرِّبِ
٣ وإنَّـكَ مَـا تمنَـعْ فـإنّـكَ مـانِـعٌ   بحـقٍّ، ومـا أعطَيْـتَ لـم تَتَعَقَّـبِ

★ ★ ★

٤ متى تَأْتِهِمْ يـومـاً مـن الدّهـرِ كُلّـهِ   تَجِدْهُمْ إلى فضْلٍ على النَّاس تُرتَبِ
٥ كأنّهُمُ مِـن وحْشِ جِـنٍّ صَـريمـةٌ   بِعَبْقَـرَ لمّـا وُجّهَـتْ لَـمْ تَغيّـبِ

---

(٨) نفتهم: يعني بني المهلّب. المشرفيّ: السيف. المشطّب: السيف ذو الطرائق.

---

(١) جزتك الجوازي: أي وجدت الجزاء الحسن على حسن أعمالك. النضرة: ما يعرف في وجوه المؤمنين من النعيم والبِشر.
(٢) تنأى: تبتعد.
(٣) تتعقّب: تتبّع.
(٤) الترتب: المقيم الثابت وهي نعت « فضلٍ ».
(٥) الصريمة: الرّمال ذات الشجر. عبقر: أرض الجنّ.

٦ إذا حُللُ العَصْبِ اليماني أجادها أكُفُّ أساتيذٍ على النَّسْجِ دُرَّب
٧ أتاهُمْ بها الجاني فراحُوا، عليهِمُ تَوَائِمُ مِن فضْفاضِهِنَّ المُكَعَّبِ
٨ لها طُرَرٌ تَحْتَ البَنَائقِ أُذنبَتْ إلى مُرْهَفاتِ الحَضْرَميِّ المُعقرَبِ

— 16 —

اجتمع جميل وكثيّر عند عزّة، فجعل كثيّر يرى عزّة تنظر إلى جميل، وكان جميلاً وكثيّر دميماً، فغضب كثيّر وغار وقال لجميل: انطلق بنا قبل أن نصبح فانطلقا وقال: [من الطويل]

١ رأيتُ ابنةَ الضَّمريِّ عَزَّةَ أَصْبحَتْ كمُحْتطِبٍ ما يَلْقَ باللّيلِ يَحْطِبِ
٢ وكانْت تُمَنّينا وتزْعُمُ أنّها كَبَيْضِ الأَنوقِ في الصَّفا المُتنصِّبِ
٣ رَجَعْتُ بِها عَنّي عشيّةَ بِرْمَةٍ شَمَاتَةَ أعداءٍ شُهُودٍ وَغُيَّبِ

---

(٦) العصب: برود من اليمن موشّاة. الأساتيذ: مدرّبون في الصناعة.

(٧) الجاني: الكاسب الذي يجني الربح. توائم: أي أثواب منسوجة على خيطين مكوّنة من طاقين كأنّها قوائم. الثوب المكعّب: الثوب المطويّ وقيل هو البرد الذي فيه وشي مربّع.

(٨) الطرر: جمع طرّة وهي جانب الثوب. البنيقة رقعة تخاط في أعلى القميص. أذنبت: جُعل لها فضلة مرخاة كالذنب. المرهف: الرقيق. الحضرمي: النعل. المعقرب: ذو عقربة وهي عقد الشراك من النعل أو سير من سيوره.

---

(١) المحتطب: الذي يجمع الحطب، وحاطب الليل هو الذي يجمع كلّ شيء ممّا يحتاج إليه وممّا لا يحتاج إليه فهو يجمع الحطب ولا يدري ما يجمع.

(٢) الأنوق: الرخمة، تضع بيضها بحيث لا ينال، ولذلك يقال في المثل: «أعزّ من بيض الأنوق». الصّفا: الصّخرة. المتنصب: السّامي المرتفع.

(٣) برمة: اسم موضع. الشماتة: الفرح ببليّة أحد.

قال أبو الفرج (٩ :٣٣): تعشقَ كثيّر امرأة من خزاعة يقال لها أم الحويرث فنسب بها وكرهت أن يسمّع بها ويفضحها كما سمع بعزّة، فقالت له: انك رجل فقير لا مالَ لك، فابتغِ مالاً يُعْفي عليك ثم تعال فاخطبني كما يخطب الكرام؛ قال: فاحلفي لي ووثقي أنك لا تتزوجين حتى أقدم عليك، فحلفت ووثقت له؛ فمدح عبد الرحمن بن إبريق الأزدي، فخرج اليه، فلقيته ظباء سوانح ولقي غراباً يفحص التراب بوجهه، فتطير من ذلك حتى قدم على حيّ من لهب، فقال: أيكم يزجر؟ فقالوا: كلنا، فمن تريد؟ فقال: أعلمكم بذاك. قالوا: ذاك الشيخ المنحني الصلب، فأتاه فقصّ عليه القصة، فكره ذلك له وقال له: قد توفيت أو تزوجت رجلاً من بني عمها.

وفي رواية أُخرى (٣٤) أنّه قصد ابن الأزرق ابن حفص بن المغيرة المخزومي الذي كان باليمن، وأنّه فعل ذلك بعد موت عزَّة.. ثم إنّه مدح الرجل الأزدي (أو المخزومي) وأصاب منه خيراً كثيراً ثمّ قدم على أم الحويرث فوجدها قد تزوجت رجلاً من كعب فأخذه الهلاس فكشح جنباه بالنار؛ وفي زجر اللهبي يقول: [من الطويل]

١ تَيَمَّمْتُ لَهْباً أبتغي العِلْم عِنْدَهُمْ وقد رُدَّ عِلمُ العَائفينَ إلى لَهَبِ
٢ تَيَمَّمْتُ شيخاً منهُمُ ذا بَجَالةٍ بصيراً بزَجْرِ الطّيرِ مُنحنيَ الصُّلْبِ
٣ فقُلْتُ لهُ ماذا تَرى في سَوَانِحٍ وَصَوتِ غُرابٍ يفحَصُ الوَجْهَ بالتُّرْبِ

(١) تيمّمت: قصدت. لهب: أي بنو لهب قبيلة من الأزد وهم مشهورون بالعيافة والزجر. العائف: الذي يزجر الطائر.
(٢) البجالة: العظم والنبل والجلالة. منحني الصلب: منحني الظهر بسبب الشيخوخة.
(٣) السوانح: جمع السانح وهو الطائر الذي يمرّ عن يسار المسافر. يفحص الوجه بالترب: يريد، يبحث بوجهه عن التراب أي بمنقاره.

٤ فَقَالَ جَـرَى الظَّبـيُ السَّنيـحُ ببيْنِهـا وقال غُرابٌ: جَدَّ مُنهمِـرُ السَّكْـبِ
٥ فإلاَّ تَكُنْ ماتَتْ فَقَـدْ حَـالَ دُونَهـا سِوَاكَ خَليلٌ باطنٌ من بَنـي كعـبِ

— 18 —

قال يرثي رجلاً يكنى أبا وهب: [من الطويل]

١ لتَبْكِ البَوَاكي المُبكياتُ أبا وَهْـبِ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِن رخاءٍ وَمِنْ كَرْبِ
٢ أَخَا السَّلْمِ لا يَعْيـا إذا هـيَ أقبَلَـتْ عَلَيهِ ولا يَجْـوي مُعـانَقَـةَ الحـرْبِ
٣ فـإن تَـكُ قـد وَدَّعتَنـا بعـدَ خُلّـةٍ فنِعْم الفَتَى في الحَيِّ كُنْتَ وَفِي الرَّكبِ
٤ سَقَى اللهُ وَجْهاً غادَرَ القـومُ رَسْمَـهُ مُقيماً ومَرُّوا غَافِلِيـنَ عَلَـى شَغْـبِ

— 19 —

وقال: [من الطويل]

١ إنَّ امـرءاً كَـانـتْ مَسَـاوِئُـهُ حُـبَّ النَّبـيِّ لَغَيْـرُ ذي عَتْـبِ
٢ وَبَنـي أَبِـي حَسَـنٍ وَوَالدِهِـمْ مَن طابَ فـي الأرْحـامِ والصُّلْـبِ

---

(٤) السنيح: هو السانح الذي يمرّ إلى اليسار. جدّ منهمر السكب: حان وقت البكاء أي أنّ فاجعة ستحلّ وستذرف معها الدموع الغزيرة.
(٥) الخليل الباطن: الصديق الخفي.

---

(١) الكرب: الحزن الشديد.
(٢) أخا السّلم: نعت لـ «أبا وهب»، السَّلم (بفتح السين) مؤنثة، وفي التنزيل ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾. يجوي: يكره.
(٣) الخلّة: الصداقة والبقاء على العهد. في الحي وفي الركب: في الإقامة وفي السفر.
(٤) شغب: قرية صغيرة فيها نخيلات في أعلى وادٍ يعرف بهذا الاسم.

---

(٢) طاب: كان طاهر النّسب. الأرحام والصلب: يريد بها الأمّهات والآباء.

٣ أتَــرَوْنَ ذنْبــاً أنْ نُحِبَّهُــمُ   بــلْ حُبُّهُــمْ كفّــارَةُ الذَّنْــبِ

— 20 —

وقال يمدح عبد العزيز بن مروان: [من الوافر]

١ فَلَـولا اللهُ ثُـمَّ نَـدَى ابـنِ لَيْلَـى   وأنّـي فـي نَـوَالِكَ ذُو ارْتغـابِ
٢ وَبَاقـي الوُدِّ مَـا قَطَعَـتْ قَلُـوصـي   مَهـامِـةَ بَيْـنَ مِصْـرَ إلـى غُـرابِ
٣ فلـم تقـرِضْ بَلاَكِـثَ عـن يَمـينٍ   وَلَـمْ تَمْـرُرْ عَلَـى سَهْـلِ العُنـابِ
٤ وكنـتُ عَتَبْـتُ مَعْتَبَـةً فَلَجَّـتْ   بِـيَ الغُلَـواءُ عَـنْ سُنَـنِ العِتـابِ
٥ وَمَـا زَالتْ رُقَـاكَ تَسُـلُّ ضِغْنـي   وتُخـرِجُ مِـن مَكَـامِنِها ضِبـابـي
٦ وَيَـرْقيني لَـكَ الحَـاوُونَ حَتَّـى   أجابَـك حَيَّـةٌ تحـتَ الحجـابِ
٧ سَأجـزِيـهِ بِهـا رَصَـداتِ شُكْـرٍ   عَلَـى عُـدوَاء دَاري واجتنـابـي

★ ★ ★

---

(٣) الكفّارة: ما يُغطّى به الذنب.

---

(١) الندى: الكرم والعطاء. النوال: العطاء.
(٢) باقي الودّ: لولا باقي الودّ. القلوص: الناقة الفتيّة. المهامه: الصحاري الواسعة التي لا ماء فيها. غراب: جبل في الشمال الغربي من المدينة.
(٣) تقرض: تقطع وتتجاوز. بلاكث: بين غزّة ومدين وقيل إنّها قرب برمة وهذه بين خيبر ووادي القرى. العناب: أراد العنابة وهي على مراحل من فيد إلى المدينة.
(٤) لجّ: ألحّ. الغلواء: أوّل الشّباب ونشاطه.
(٥) الرقى: جمع رقية وهي التميمة أو ما يستعان به من وسائل للشفاء من مرض أو إصابة عين أو غيره. الضغن: الحقد. الضِباب: الأحقاد.
(٦) الحاوون: الذين يحاولون السيطرة على الحيّة.
(٧) الرّصدات: هي المرّات من الرّصد، يقال: عندي لك رصدات خير وشرّ أي أكافئك أو أعاقبك بما يكون منك. عدواء الدار: بُعدها.

٨ وَنَازَعني إلى مَدْحِ ابنِ ليلى قَوافيهَا مُنازعَةَ الطِّرابِ
٩ فَلَيْسَ النّيلُ حِينَ عَلَتْ قَراهُ غَوالِبُهُ بأغلبَ ذي عُبابِ
١٠ بأفضلَ نائِلاً منهُ إذا مَا تَسَامَى الماءُ فانغَمَسَ الرَّوابي
١١ ويغمرُنا إذا نَحْنُ التَقينا بِطَامي الموجِ مُضطرِبِ الحبابِ
١٢ وَيَضْرِبُ مِنْ نَوالِكَ في بلادٍ مِنَ المعروفِ وَاسِعَةٍ رِحَابِ
١٣ وأنتَ دَعامَةٌ مِنْ عبدِ شَمْسٍ إذا انتُجِبُوا مِنَ السِّرِّ اللُّبابِ
١٤ مِنَ اللّائي يَعُودُ الحِلْمُ فيهمْ وَيُعطَونَ الجَزيلَ بِلا حِسَابِ
١٥ وَهُمْ حُكّام مُعْضِلَةٍ عَقَامٍ فَكَمْ بَعَثُوا بِهَا فَصْلَ الخِطَابِ
١٦ إذا قَرَعوا المنابرَ ثم خَطُّوا بأطْرافِ المَخَاصِرِ كالغِضَابِ
١٧ قضَوْا فيها ـ وَلَمْ يَتَوهَّمُوها ـ بِفَاصِلَةٍ مُبَيّنَةِ الصَّوابِ
١٨ وهُمْ أحْلَى إذا ما لم تُثِرْهُم على الأحْنَاكِ مِنْ عَذَقِ ابن طابِ
١٩ أبوكَ حَمَى أُميّةَ حِينَ زَالتْ دَعَائِمُهَا وأصْحرَ للضِّرابِ
٢٠ وَكَانَ المُلْكُ قَدْ وهَنَتْ قِواهُ فَرَدَّ المُلْكَ مِنها في النِّصابِ

(٨) نازعني: جعلني أشتاق. الطراب: الفرح.
(٩) القرا: الظَّهر، يريد أعلى الماء. الغوالب: الأمواج العالية. الأغلب: هنا الماء المرتفع.
(١٠) النائل: المعطي. تسامى: ارتفع.
(١١) طامي الموج: ماؤه الكثير.
(١٣) انتجبوا: من النّجابة أي الفضل والحسب. السّرّ: الخالص المحض.
(١٥) المعضلة: المشكلة المستعصية. العقام: الشّديدة.
(١٦) المخاصر: جمع مخصرة وهي عصا يحملها الخطيب وتعدّ من شعائر الخطابة عند العرب.
(١٧) قضوا بفاصلة: أي حكموا حكماً فاصلاً، أي قاطعاً ومبرماً، لا عودة عنه.
(١٨) عذق ابن طاب: تمر بالمدينة منسوب إلى رجل من أهلها، يضرب به المثل في الحلاوة.
(١٩) الضمير في «دعائمها» يعود للخلافة. أصحر: برز للمضاربة.
(٢٠) وهنت: ضعفت. ردّ المُلك في نصابه: جعله في أهله الذين يستحقّونه.

قافية التاء

— 21 —

وقال كثير يمدح عزة وكان يحبّها : [من الطويل]

١ خليلـيَّ هـذا ربْـعُ عَـزَّة فـاعقِلا قَلُوصَيْكما ثمَّ ابكِيَا حَيْثُ حَلَّـتِ

٢ ومُسَّا تراباً كَانَ قَدْ مَسَّ جِلـدهـا وبِيتاً وَظِلاًّ حَيْثُ بـاتـتْ وظلّـتِ

٣ ولا تيأسـا أَنْ يَمْحُـوَ الله عنكُمـا ذنوباً إذا صَلَّيْتمـا حَيْـثُ صلّـتِ

٤ وما كُنْتُ أدري قَبْلَ عَزَّةَ ما البُكـا ولا مُوجِعَاتِ القَلْبِ حتَّى تَـوَلَّـتِ

٥ وَمَا أنصَفَتْ أمّا النّسـاءُ فَبَغّضَـتْ إلينـا وأمَّـا بـالنَّـوال فَضَنّـتِ

٦ فَقَدْ حلَفَتْ جَهْداً بما نحـرَتْ لـه قرَيشٌ غَدَاةَ المـأزِمَيْـنِ وَصَلّـتِ

٧ أُناديكَ مَا حَجَّ الحَجِيجُ وكبَّـرَتْ بفيْفـاءِ آلٍ رُفقـةٌ وأهَلّـتِ

(١) الربع : الدار أو موضعها . أعقلا : شدّا واربطا . قلوصيكما : ناقتيكما الفتيّتين .

(٢) الضمير في « جلدها » يعود إلى عَزَّة .

(٣) رأى بعض الشارحين أنّه يعني المدينة المنوّرة أو منطقة قريبة منها .

(٤) تولّت : ذهبت .

(٥) النوال : العطاء . ضنّت : بخلت . النوال : العطاء .

(٦) جهداً : مبالغة . المأزمان : موضع بمكّة بين المشعر الحرام وعرفة .

(٧) أناديك : أجالسك ، ومنها النادي اي المجلس . كبّرت : قالت الله أكبر . فيفاء آل : هي موضع بمكّة حيث ينزل النّاس منها إلى الأبطح . أهلّت : عجّت بالتلبية رافعة أصواتها بالقبول .

٨ وَمَا كَبَّرَتْ مِن فَوْقِ رُكبةَ رُفقةٌ ... ومِن ذي غَزَالٍ أشعرَتْ واسْتَهَلّتِ
٩ وَكَانَتْ لِقَطْعِ الحبلِ بيْني وَبَيْنَها ... كنـاذِرةٍ نَـذْراً وَفَـتْ فـأحلّـتِ
١٠ فقُلْـتُ لهـا يـا عَـزَّ كُـلُّ مُصيبـةٍ ... إذا وُطّنَتْ يوماً لهـا النَّفسُ ذلّـتِ
١١ ولم يَلْقَ إنسانٌ مِـنَ الحُـبّ مَيعـةً ... تَعُـمُّ ولا عَميـاءَ إلاَّ تجلّـتِ
١٢ فإن سَأَلَ الوَاشُونَ فيـمَ صـرمْتَهـا ... فقُـل نفسُ حـرٍّ سُلّيـت فَتَسلَّـتِ
١٣ كأنّي أُنادِي صَخْرَةً حِينَ أعْرَضَتْ ... من الصُّمِّ لو تَمْشِي بها العُصْمُ زلّـتِ
١٤ صَفُـوحٌ فَمَـا تَلقَـاكَ إلاّ بخيلَـةً ... فَمَنْ مَلَّ منها ذَلك الوَصـلَ ملّـتِ
١٥ أباحتْ حِمًى لَمْ يرعَهَ النَّاسُ قَبْلَهَـا ... وَحَلَّتْ تِلاعاً لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلّـتِ
١٦ فَلَيتَ قَلُوصي عِنْـدَ عَـزَّةَ قُيِّـدَتْ ... بحبلٍ ضَعيفٍ غُـرَّ منهـا فضَلّـتِ
١٧ وَغُودِرَ في الحَيّ المُقيمينَ رَحْلُهَـا ... وَكَـانَ لَهَـا بـاغٍ سِـوَايَ فبلّـتِ
١٨ وَكُنْتُ كَذِي رِجْلَين رِجلٍ صحيحةٍ ... ورِجلٍ رَمى فيها الزَّمـانُ فشَلَّـتِ

---

(٨) رُكبة: وادٍ بين مكّة والطّائف وقيل جبل بالحجاز. ذو غزال: موضع قريب من مكّة. أشعرت: جعلت لنفسها شعاراً. استهلّت: رفعت الصوت بالإهلال.
(٩) أحلّت: خرجت من ميثاق كان عليها.
(١٠) وطّنت: من وطّن نفسه على الشيء وله إذا حملها عليه فتحمّلت وذلّت له.
(١١) ميعة كلّ شيء: أوّله. تعمّ: تشمل. العمياء: الجهالة والضلالة. تجلّت: انفرجت وتكشّفت وظهرت.
(١٢) صرمتها: هجرتها. سُلّيت وتسلّت: من السلوان بمعنى الصبر.
(١٣) أعرضت: صدّت والضمير يعود إلى حبيبته عَزَّة. العصم: جمع عصماء وأعصم وهو من الظباء والوعول ما في ذراعيه بياض وسائره أسود أو أحمر. زلّت: زلقت.
(١٤) الصفوح: المرأة المعرضة الصادّة الهاجرة.
(١٥) التلاع: جمع تلعة وهي الأرض المرتفعة الغليظة.
(١٦) القلوص: النّاقة الفتيّة. غرّ منها: عقد على غفلة فهو غير موثوق. ويروى «حزّ منها» أي قطع منها. وهو يريد بذلك أن يجد عذراً للبقاء عندها.
(١٧) غودر رحلها: تُرك. الباغي: الطالب. بلّت: هامت ضالّة على وجهها في القفار.
(١٨) كنت: بمعنى صرت. قال بعض الشارحين في تفسير هذا البيت: تمنّى أن يضيّع قلوصه =

١٩ وَكُنْتُ كَذَاتِ الظَّلعِ لمّا تَحَاملَتْ | على ظَلْعها بَعْدَ العثَارِ اسْتقلّتِ
٢٠ أُريدُ الثَّوَاءَ عِنْدَهَا وَأظُنّها | إذا ما أَطَلْنَا عِندَهَا المُكثَ ملّتِ
٢١ يُكلّفُهَا الخنزيرُ شَتْمِي وَمَا بِهَا | هَوَاني ولكنْ لِلْمَلِيكِ استذلَّتِ
٢٢ هَنيئاً مَرِيئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ | لِعَزَّة مِنْ أعراضِنَا ما اسْتحلَّتِ
٢٣ ووالله ما قاربْتُ إلاَّ تباعدتْ | بصرْمٍ ولا أكثرْتُ إلاَّ أقلّتِ
٢٤ ولي زَفراتٌ لو يَدُمْنَ قتَلْنني | توالي التي تأتي المُنى قَدْ تَولَّتِ
٢٥ وَكُنَّا سَلَكْنا في صَعودٍ مِنَ الهوى | فَلَمَّا تَوَافَيْنَا ثَبَتُّ وزلَّتِ
٢٦ وَكُنّا عقدنا عُقدةَ الوَصْلِ بيننا | فلمّا تَوَاثَقْنَا شَدَدتُ وَحَلَّتِ
٢٧ فإن تَكُنِ العُتْبى فأهلاً ومرحباً | وَحُقّتْ لها العُتبى لدينا وَقَلَّتِ
٢٨ وإن تكنِ الأُخْرَى فإنَّ وَراءَنَا | بِلاداً إذا كَلَّفْتُها العِيسَ كَلَّتِ
٢٩ خليليَّ إن الحاجِبيّةَ طَلَّحَتْ | قَلُوصَيكُما وَنَاقِتي قَدْ أكَلَّتِ

= فيبقى في حيّ عَزَّة فيكون ببقائه في حيّها كذي رجل صحيحة، ويكون في فقد قلوصه كذي رجل عليلة.

(١٩) الظلّع: العرج. تحاملت: تكلّفت المشي بمشقّة. العثار: من عثر إذا زلّ وكبا. استقلّت: ارتحلت.

(٢٠) الثواء: الإقامة. المكث: السكن والإقامة.

(٢١) الخنزير: كناية عن زوج عَزَّة. المليك: مالكها وسيّدها. استذلّت: خضعت واستكانت. والبيت فيما يروى يتصل بقصّة مجملها أنّ زوج عَزَّة مرّ بكثيّر فطلب من عَزَّة أن تشتمه ففعلت، نزولاً على إرادة زوجها.

(٢٢) المريء: ما ساغ من الطعام والشراب وكان محمود العاقبة. المخامر: المخالط.

(٢٣) الصرم: القطيعة.

(٢٤) زفرات: تنهّدات.

(٢٥) توافينا: هنا انطلقنا. زلّت: سقطت.

(٢٦) الوصل: تبادل الحبّ.

(٢٧) العتبى: الرّضى. قلّت: أي أنّه يستقلّ الرضى من جانبها.

(٢٨) الأخرى: عكس العتبى. العيس: الإبل البيض. كلّت: أعيت وتعبت من السّير.

(٢٩) الحاجبيّة: هي عزّة لأنّها من بني حاجب بن غفار وكثيراً ما كان يطلق عليها الحاجبيّة =

٣٠ فلا يَبْعُدَنْ وصلٌ لِعَزَّة أَصْبَحَتْ بِعَاقِبَةٍ أسبابُهُ قَدْ تَولَّتِ
٣١ أسيئي بِنا أو أَحْسِنِي لا مَلُومَةً لدينا ولا مَقْلِيّةً إن تَقَلَّتِ
٣٢ ولكنْ أنيلي واذكُري مِنْ مودةٍ لنا خُلّةً كَانَتْ لَدَيكُمْ فضلَّتِ
٣٣ وإنّي وإنْ صَدَّتْ لمُثنٍ وَصَادِقٌ علَيها بما كانتْ إلينا أزلَّتِ
٣٤ فما أنا بالدّاعي لِعَزَّةَ بالرَّدى ولا شامتٍ إن نَعْلُ عَزَّةَ زلَّتِ
٣٥ فلا يَحْسَبِ الواشُونَ أنَّ صَبَابتي بِعَزَّة كَانَتْ غَمْرَةً فَتَجَلَّتِ
٣٦ فأصْبَحْتُ قد أَبْلَلْتُ مِنْ دَنَفٍ بها كما أُدْنِفتْ هيماءُ ثمَّ اسْتَبلَّتِ
٣٧ فواللهِ ثمَّ اللهِ لا حَلَّ بعدها ولا قبلها مِن خُلَّةٍ حيثُ حلَّتِ
٣٨ وَمَا مرَّ مِن يومٍ عليَّ كيومِها وإن عَظُمَتْ أيامُ أُخرى وَجَلَّتِ
٣٩ وَحَلَّتْ بأعْلى شَاهِقٍ من فؤاده فلا القلبُ يَسْلاها ولا النَّفْسُ مَلَّتِ
٤٠ فَوَا عَجَباً للقلبِ كَيْفَ اعترَافُهُ وَلِلنّفسِ لمّا وُطِنّت فاطْمَأَنَّتِ

= نسبة إلى جدّها الأعلى. طلّحت وأكلّت: أتعبت. القلوص: النّاقة الفتية. والتقدير اتعبت قلوصيكما واتعبت ناقتي في طلبها.

(٣٠) العاقبة: آخر الأمر. الأسباب: الحبال.

(٣١) أسيئي: قولي ما أسوأه، والأمر هنا يتضمّن معنى الشرط. الملومة: اللوم. المقليّة: البغض. تقلّتِ: يريد بها تقلّيتِ أي أبغضْتِ.

(٣٢) الخُلّة: المودّة والصداقة. ضلّت: نسيت ومطلت.

(٣٣) مثن: من الثناء أي الشكر. أزلّت إلينا النعمة: أسْدتها إلينا.

(٣٤) الرّدى: الهلاك. زلّت به النعل: تعثّر وأخطأ.

(٣٥) الواشون: النمّامون. الصّبابة: شدة الوجد. الغمرة: شدّة الشيء.

(٣٦) أبللت: شفيت من المرض. الدنف: الداء الثقيل. الهيماء: الناقة وقد أصابها داء يجعلها تهيم في الأرض ولا ترعى. استبلّت: شفيت.

(٣٨) أخرى: امرأة أخرى. جلّت: عظمت.

(٣٩) يسلاها: ينساها. ملّت: سئمت.

(٤٠) اعترافه: صبوره، يقال نزلت به مصيبة فوجد عروفاً أي صبوراً، والعارف: الصابر.

٤١ وإنّي وتَهيامي بِعَزَّة بعْدما تخلّيتُ مِمّا بيْننا وتخلَّتِ

٤٢ لكالمُرتجي ظِلَّ الغمامةِ كُلّما تبوّأَ مِنْهَا للمَقِيل اضمَحَلَّتِ

٤٣ كأنّي وإياهَا سَحَابةُ مُمحِلٍ رَجَاها فَلَمّا جَاوَزَتْهُ استَهَلَّتِ[1]

— 22 —

وقال يرثي عبد العزيز بن مروان: [من الطويل].

١أأطلالَ دَارٍ بالنِّياعِ فَحُمَّتِ سألتُ فلمّا اسْتَعْجَمَتْ ثمَّ صُمّتِ

٢عَجِبْتُ لأنَّ النَّائحَاتِ وَقَدْ عَلَتْ مُصِيبَتُهُ قَهْراً فَعَمَّتْ وأَصْمَتِ

٣نَعَيْنَ وَلَوْ أَسْمَعْنَ أعلامَ صِنْدِدٍ وأَعْلامَ رَضْوَى ما يَقُلْنَ ادْرَهَمَّتِ

---

(٤١) التهيام: شدّة الهيام والشوق. تخلّيت: تركت.

(٤٢) تبوّأ المكان: أقام به ونزل. المقيل: وقت القيلولة من حرارة الشمس.

(٤٣) سحابة محمل: سحابة أرض ممحلة جدباء. استهلّت: أرسلت مطرها.

---

(١) وقد وردت أبيات نسبت لكثيرّ، ولم تدخل في هذه القصيدة، رأينا أن نثبتها هنا، وهذه الأبيات هي:

١ - يقر بعيني ما يقر بعينها وأجمل شيء ما به العين قرت

٢ - تمنيتها حتى إذا ما رأيتها رأيت المنايا شرعاً قد أظلت

٣ - أصاب الردى من كان يهوى لك الردى وجن اللواتي قلن عزة جنت

٤ - وما نطفة كانت سلالة بارق نمت عن طريق الناس ثم استقلت

٥ - بأطيب من أنياب عزة بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فولت

٦ - كما أبرقت يوماً عطاشاً غمامة فلما رأوها أقشعت وتجلت

٧ - تمنت سليمى أن تموت بحبها وأهون شيء عندنا ما تمنت

---

(١) النياع: موضع. حمت أو حمّة: قرية في صعيد مصر أو موضع آخر لأنّ الحمّات في بلاد العرب كثيرة. استعجمت: عجزت عن الجواب.

(٢) قهر: أسافل الحجاز ممّا يلي نجداً قبل الطائف، وقد تكون بمعنى القهر والإكراه.

(٣) صندد: جبل بتهامة. ادرهمّت: أظلمت.

٤ وَلِلأَرْضِ أَمَّا سُودُهَا فتجلّلَتْ بَياضاً وأمّا بِيضُهَا فـادْهـأَمَّتِ
٥ نَمَتْ لأَبِي بَكْرٍ لِسانٌ تتابعَتْ بِعَارِفَةٍ منهُ فَخَصَّتْ وَعَمَّتِ
٦ كأنَّ ابن لَيْلى حِينَ يَبْدو فتنْجلي سُجُوفُ الخِبَاء عَنْ مَهيبٍ مُشَمَّتِ
٧ إذا ما لَوَى صِنْعٌ بِهِ عربيّةً كَلَوْنِ الدِّهَانِ وَرْدَةً لم تَكَمَّتِ
٨ مُقَارِبُ خَطْوٍ لا يُغيّرُ نَعْلُهُ رَهِيفُ الشِّراكِ سَهْلَةُ المُتَسَمَّتِ
٩ إذا طُرِحَتْ لم تَطَّبِ الكَلْبَ رِيحُها وإن وُضِعَتْ في مَجْلِسِ القَومِ شُمّتِ
١٠ هُوَ المرءُ لا يُبدي أسًى عَنْ مصيبةٍ وَلا فرحاً يَوْماً إذا النَفْسُ سُرَّتِ
١١ قَلِيلُ الألايا حَافِظٌ لِيَمينِهِ فإن سَبقَتْ مِنهُ الأَلِيَّةُ بَرَّتِ
١٢ حَلِيمٌ كَرِيمٌ ذُو أَنَاةٍ وأُرْبَةٍ بَصِيرٌ إذا ما كفَّةُ الحَبْلِ جُرَّتِ
١٣ وَشَعْثَاءِ أمرٍ قَدْ نَزَتْ بَينَ غالبٍ تَلافيتَها قَبْلَ التَّنائي فَلُمّتِ
١٤ وأَبْرَأتَهَا لم يَجْرحِ الكَلْمُ عَظْمَها وَلَو غِبْتَ عَنْهَا رُبِّعَتْ ثمَّ أُمّتِ

---

(٤) اللام في «للأرض» متعلّقة بـ «عجبت» في البيت السابق.
ادهـأمّت: أصبحت دهماء أي سوداء اللون.

(٥) اللسان: هنا بمعنى الثناء. العارفة: عمل المعروف والخير.

(٦) السجوف: الأستار. المهيب المشمّت: الملك المحيّا.

(٧) الصنع: الخيّاط وقيل الثوب أو العمامة. عربية: صفة للعمامة أو غيرها التي يصنعها الخياط. لم تكمّت: من اللون الكميت وهو لون ليس بأشقر ولا أدهم.

(٨) مقاربة الخطو: التيه في المشي والخيلاء. رهيف: مرهف، دقيق. الشراك: سير النعل. سهلة المتسمّت: أي أنّ نعله رقيقة من مخصرها إلى طرفها، والعرب تمدح برقّة النّعال.

(٩) تطّب: تدعو وتستميل بسبب طيب رائحتها، يريد أنّ جلدها مدبوغ.

(١١) الألايا: جمع ألوة وهي اليمين وما يقسم به. الأليّة: القسم.

(١٢) الأناة: الصبر. الأربة: العقدة. الكفّة: كفّة الصائد وهو حبل يستعمله ليخدع صيده.

(١٣) الشعثاء: الأمور العظيمة. نزا الشرّ: تحرّك وانتشر. غالب: بنو غالب.

(١٤) الكلم: الجرح. ربّعت: شجّت الرأس شجّة مربّعة. أمّت: أصابت أمّ الدماغ. يقول إنّ الشرّ العظيم يُستدفع به.

١٥ غَمُـومٌ لِطيـرِ الزّاجـرِيهـــا أريبَـــةٌ — إذا حَاوَلَتْ ضُرّاً لِذِي الضِّغْنِ ضَرَّتِ
١٦ يَؤُوبُ أُولُو الحَاجَاتِ مِنْـهُ إذا بَـدا — إلى طَيِّبِ الأَثْـوَابِ غَيْـرِ مـؤمَّـتِ
١٧ تَـأَرَّضُ أَخْفَـافُ المُنـاخَـةِ مِنهُـمُ — مَكَانَ التي قـدْ بُعِّـدَتْ فـازْلأَمّـتِ
١٨ فَلَسْتُ طِوَالَ الدَّهرِ مَا عِشْتُ ناسِيـاً — عِظَامـاً ولا هَـامـاً لَـهُ قَـدْ أرَمّـتِ
١٩ جَرَى بينَ بابليونَ والهَضْـبِ دونَـهُ — ريـاحٌ أَسَفَّـتْ بـالنَّقَـا وأشَمَّـتِ
٢٠ سقَتْهـا الغَـوادِي والرَّوائِـحُ خِلفَـةً — تَـدَلّيْـنَ عُلْـواً والضّـريحـةَ لمّـتِ

---

(١٥) غموم: غامرة للزجر. أريبة: الذكيّة المتبصّرة. الضغن: الحقد. (وقد سقط بيت سابق جعل المعنى غامضاً).

(١٦) مؤمّت: من أمّت بالشرّ فهو مؤمّت، إذا اتّهم به وقرف.

(١٧) تأرض: تتأرض أي ترتاد منزلاً، وقيل تأرّض فلان بالمكان إذا أقام فيه ولبث وتمكّن. المناخة: المطايا التي تناخ. ازلأمّت: ذهبت فمضت.

(١٨) أرمّت العظام: أصبحت رميمة بالية.

(١٩) بابليون: اسم مصر عامّة أو هو اسم موضع الفسطاط. أسفّت وأشمّت: دنت واقتربت. والنّقا: القطعة من الرمال المحدودبة.

(٢٠) خلفة: واحدة في إثر الأخرى. الضريحة: القبر.

قافية الثاء

— 23 —

وقال أيضاً: [من المتقارب].

١ حِبَالُ سُجَيفَةَ أمْسَتْ رِثَاثا ... فَسَقْياً لَهَا جُدُداً أوْ رِمَاثا
٢ إذا حَلَّ أهْلِيَ بالأبرقَين ... أبرق ذِي جُدَدٍ أو دَءاثا
٣ وَحَلَّتْ سُجَيفَةُ مِن أرضِهَا ... رَوَابيَ يُنْبِتْنَ حِفْرَى دِماثا
٤ تُتَارِبُ بِيضاً إذا استَلعَبَتْ ... كَأُدْمِ الظِّبَاءِ تَرُفُّ الكَبَاثا
٥ كأنَّ حَدَائِجَ أظْعَانِها ... بِغَيْقَةَ لمّا هَبَطْنَ البِراثا

(١) سجيفة: اسم امرأة من جهينة وقد ولدت في قريش. رثاثا: بالية. جدداً: جديدة. رماث: جمع رَمَث وهو الخلق البالي.

(٢) الأبرقان: هما أبرق ذي جدد وأبرق دءاث بتهامة.

(٣) الحفرى: نبتة ذات ورق وشوك صغار لا تكون إلاّ في الأرض الغليظة ولها زهرة بيضاء وهي تكون مثل جثة الحمامة. الدماث: السهلة الليّنة وهي نعت « روابي »

(٤) تاربت الفتاة جارتها: إذا جعلتها في أترابها أي كانت في عمرها فصاحبتها ولعبت معها ولَهت. الأدم: السمراء. ترفّ الكباث: تأكل نضيج ثمر الأراك.

(٥) الحدائج: الأحمال. الأظعان: الهوادج. غيقة: سهل على ساحل البحر يقابل بدراً. البراث: جمع بـرث وهو الأرض الليّنة المستوية.

٦ نَــوَاعِــمُ عُــمٌّ عَلَــى مِيثَــبٍ عِظَامُ الجُذُوعِ أُحِلَّتْ بُعَاثَا

٧ كَـدُهْـمِ الرِّكَـابِ بِـأَثْقَـالِهَـا غَدَتْ من سَمَاهِيجَ أوْ مِن جُواثَا

٨ وَخُـوصٍ خَـوامِسَ أوْرَدتُهـا قُبَيلَ الكَـوَاكِـبِ وِرْداً مُلاثَا

٩ مِـنَ الرَّوْضتيـنِ فجَنْبَيْ رُكَيـحٍ كلَقْطِ المُضِلَّـةِ حَلْيـاً مُبَاثَا

١٠ تُـوَالي الزِّمَـامَ إذا مَـا دَنَـتْ رَكَـائِبُهَـا واخْتَنْشَـنَ اخْتِنَـاثَا

١١ وذِفرَى كَكَاهِـلِ ذِيـخِ الخَلِيـفِ أصـابَ فَـرِيقَـةَ لَيْـلٍ فَعَـاثَا

١٢ تَلَقَّطَهـا تَحْـتَ نَـوءِ السِّمَـاكِ وَقَـدْ سَمِنَـتْ سَـوْرَةً وانْتَجـاثَا

١٣ لَـوى ظِمْئَهـا تَحْـتَ حَـرِّ النُّجُـوم يحْبِسُهـا كَسَلاً أو عَبَـاثَا

١٤ فَلَمَّـا عَصَـاهُـنَّ خَـابَثْنَـهُ بِـرَوْضَـةِ آلِيـتَ قَصْـراً خِبَـاثَا

١٥ فـأَوْرَدهُـنَّ مِـنَ الدَّوْنَكَيْـنِ حَشَـارِجَ يَحْفِـرْنَ منهـا إرَاثَا

---

(٦) نواعم: جمع ناعمة وهي هنا النخلة الناعمة الورق الخضراء. العم: الطويلة. الميثب: الأرض السهلة. بعاث: موضع من نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج.

(٧) الدهم: السود. الركاب: الإبل تحمل السلع. سماهيج وجواثاء: قريتان في البحرين.

(٨) خوص: إبل خوص أي غائرة العيون. خامس: ترعى أربعة أيّام وترد الى الماء في اليوم الخامس. ملاثاً: من فعل ألاثَ بمعنى أبطأ.

(٩) الروضتان: موضع بالحجاز. ركيح: اسم موضع. المضلّة: التي فقدت حبّات عقدها حين تناثر. مباث: متفرّق مبدّد.

(١٠) الزمام: الرسن. اختنثن: تثنّينَ وتباطأْنَ.

(١١) الذفرى: أصل الأذن. الذيخ: الذئب الجريء وهو أيضاً الذّكر من الضباع الكثير الشعر. الخليف: الطريق بين جبلين أو الوادي بينهما. الفريقة: القطعة من الغنم. عاث: أي عاث فيها فأفسد وقتل.

(١٢) تلقّطها: يعني حمار الوحش تلقّط الأتن. السّماك: من نجوم المطر. السَّورة: تجمّع الشحم فيها. الانتجاث: الانتفاخ وظهور السمن.

(١٣) لوى: حبس. الظمء: ما بين الشربتين والوردين. العباث: العبث.

(١٤) خابثنه خباثاً: أفسدنه إفساداً. روضة آليت: موضع بالحجاز. قصراً: حبساً وقيل عشاء.

(١٥) الدونكان: واديان في بلاد بني سليم. الحشارج: جمع حشرج وهو الماء العذب. إراث: بقايا، مفردها إرث.

١٦ لَواصِبَ قـد أَصْبَحَـتْ وانْطَـوَتْ   وَقَـدْ أَطْـوَلَ الحَـيُّ عَنْهـا لِبَـاثـا
١٧ مُـدِلٌّ يَعَـضُّ إذا نَـالَهُـنَّ   مِـراراً ويُـدنِيـنَ فَـاهُ لِكـاثـا
١٨ وَصَفْـرَاءَ تَلْمـعُ بـالنّـابلِيـنَ   كلَمْـعِ الخَـرِيـعِ تَحلَّـتْ رِعَـاثـا
١٩ هَتُـوفـاً إذا ذَاقَهـا النَّـازِعُـون   سَمِعْـتَ لهـا بَعْـدَ حَبْـضٍ عِثـاثـا
٢٠ تَئِـنُّ إلـى العَجْـمِ والأَبْهَـرَيْـنِ   أنيـنَ المَـرِيـضِ تَشَكّـى المُغـاثـا

---

(١٦) لواصب: هي في شعر كثيّر الآبار الضيّقة البعيدة القعر. اللباث: اللبث والمكث والإقامة.

(١٧) المدلّ: المنبسط الواثق بنفسه. اللكاث: الضّرب.

(١٨) النّابلون: الحاذقون في رمي النبال. الخريع: المرأة الناعمة. الرعاث: هو ما تذبـذب مـن قـرط أو قلادة.

(١٩) الهتوف: المصوّتة. النّازعون: الذين يوتّرون القوس للرمي. الحبض: انطلاق السّهم. العثاث: رفع الصّوت والترنّم به.

(٢٠) إلى العجم: إلى موضع العجم حيث يذوقها النابل. الأبهران: كبدا القوس أي جانباها. المغاث: الحمّى.

قافية الجيم

— 24 —

وقال كثّير: [من الوافر].

١ أَلَمْ يَحْزُنْكَ يَوْمَ غدَتْ حُدُوجٌ ... لِعَزَّةَ إذْ أَجَدَّ بها الخُروجُ
٢ بِضَاحِي النَّقْبِ حِينَ خَرَجْنَ مِنهُ ... وخَلْفَ مُتُونِ سَاقَتِهَا الخَلِيجُ
٣ رأيتُ جِمَالَهَا تَعْلُو الثَّنَايَا ... كأنَّ ذُرَى هَوَادِجِها البُروجُ
٤ وقَد مرَّتْ عَلَى تُرَبانَ تحدى ... لها بالنَّعْفِ مِنْ مَللٍ وَسيجُ
٥ رأيتُ حُدوجَهَا فَظَلَلْتُ صبّاً ... تُهَيِّجني مَعَ الحَزَنِ الحُدوجُ
٦ إذا بَصُرَتْ بها العينانِ لَجَّتْ ... بِدَمْعِهِمَا مَعَ النَّظرِ اللَّجوجُ

(١) الحدوج: جمع حِدج، وهو هودج النّساء على ظهر الجمل. أجدّ بها: سار بها على جهد.

(٢) الضاحي: البارز للشمس. النقب: الطريق في الجبل. السّاقة: جمع سائق، ومنه ساقة الجيش وهي مؤخرته. الخليج: شعبة من شعب الوادي.

(٣) الثّنايا: الطرق في الجبال. ذرى: قمم.

(٤) تربان: واد بين ذات الجيش وملل والسيالة فيه مياه كثيرة مريّة. تحدى: تساق. النعف: ما انحدر عن السفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط. ملل: منزل على طريق المدينة إلى مكّة. الوسيج: ضرب سريع من سير الإبل.

(٥) الحدوج: الهوادج على ظهر الجمال.

(٦) لجّت: ألحّت. اللجوج: النفس وقد لجّ دمعها.

٧ وَبِالسَّرْحَاتِ مِنْ وَدّانَ رَاحَتْ ... عليها الرَّقْمُ كالبَلَقِ البهيجُ
٨ وهاجتني بِحَزْمِ عُفَارِيَاتٍ ... وَقَدْ يَهْتَاجُ ذو الطَّرَبِ المُهِيجُ
٩ على فُضُلِ الرّواعِ تَضَمَّنَتْها ... خَصِيبَاتُ المَعالِفِ والمُرُوجُ
١٠ يَشُجُّ بها ذؤابةَ كُلِّ حَزْنٍ ... سَبُوتٌ أو مُواكِبَةٌ دَرُوجُ
١١ وفي الأَحْدَاجِ حينَ دنَوْنَ قَصْراً ... بِحَزْنِ سُوَيْقَةٍ بَقَرٌ دُموجُ
١٢ حِسَانُ السَّيرِ لا مَتَوَاتِرَاتٌ ... ولا مِيلٌ هَوَادِجُها تَمُوجُ
١٣ فكِدتُ وقد تَغَيَّبَتِ التّوالي ... وَهُنَّ خواضِعُ الحَكَماتِ عُوجُ
١٤ بِذِي جَددٍ من الجَوْزَاءِ مُوفٍ ... كأَنَّ ضَبابَهُ القُطُنُ النَّسِيجُ
١٥ وَقَدْ جَاوَزْنَ هَضْبَ قُتائداتٍ ... وَعَنَّ لهُنَّ مِن ركَكٍ شُروجُ
١٦ أموتُ ضَمَانَةً وتَجَلَّلتْني ... وقد أتهَمْنَ مُرْدِمةٌ ثَلوجُ
١٧ كأنَّ دُمُوعَ عَيني يَوْمَ بَانَتْ ... دَلاةٌ بَلَّهَا فَرَطٌ مَهيجُ

---

(٧) السرحة: كلّ شجرة لا شوك فيها. ودّان: قرية بين مكّة والمدينة. الرقم: الخزّ الموشّى وهو أيضاً نوع من البرود. البلق: نوع من الحجارة شفّاف كالزجاج.
(٨) عفاريات: وادٍ بنواحي العقيق.
(٩) فضل: زيادة. الرُّواع: رُواع الفؤاد، شهامته وذكاؤه.
(١٠) يشجّ: يعلو. ذؤابة: رأس. الحَزن: ما غلظ من الأرض. السبوت: من الخيل الكثيرة العدو. مواكبة: تلزم المواكب.
(١١) قصراً: مساءً. الحزن: ما غلظ من الأرض. سويقة: قرية على مقربة من المدينة. دموج: داخلة في جوف الخدور مستترة.
(١٢) متواترات: متتابعات. ميل: مائلات.
(١٣) التّوالي: آخر المطايا. الحكمات: هي من اللجام ما أحاط بحنكي الدابّة. عوج: مائلة.
(١٤) الجدد: مفردها جادّة وهي الطريق المستوية. موفٍ من الجوزاء: بلغ في ارتفاعه علوّها.
(١٥) قتائدات: جبل بين المنصرف والرّوحاء وقيل هو نخيل. عنّ: ظهر، لاح. ركك: اسم ماء وأصلها ركّ (بإدغام الكاف). الشروج: مسايل الماء ومتّسعات الأودية.
(١٦) أتهمنَ: قصدن تهامة. مردمة: جبل أسود عظيم لبني أبي بكر بن كلاب، وقيل هي فاعل «تجلّلتني» أي دامت ولم تفارق. الثلوج: البارد كالثلج من حمّى أو غيرها.
(١٧) الدّلاة: الدّلو الصغيرة. الفرط: السابق إلى مورد الماء. المهيج: المسرع وقد استبدّ به الهياج.

١٨ يُـرِيـعُ بهــا غَــدَاةَ الوِرْدِ سَــاقٍ   سَـرِيـحُ المَتْـحِ بَكَـرَتُـهُ مَـريــجُ
١٩ فَلَـوْ أَبــديــتِ وُدَّكِ أُمَّ عَمْــرو   لــدى الإخــوانِ سَـاءَهُـمُ الوَلِيـجُ
٢٠ لَكَـانَ لِحُبِّــكِ المَكْتــومِ شَــأْنٌ   عَلَـى زَمَـنٍ وَنَحْـنُ بِــهِ نَعِيــجُ
٢١ تُــؤَمِّــلُ أَنْ تُلاقــيَ أُمَّ عمــرو   بِمَكَّـةَ حَيْـثُ يَجْتَمِـعُ الحَجِيــجُ

---

(١٨) يريع: يملأ. الورد: ورود الماء. سريح: سهل سريع. المتح: استخراج الماء من البئر. مريج: قلقة أو عوجاء.

(١٩) الوليج: لعلّها جمع وليجة، وهم بطانة الإنسان وما يتخّذه معتمداً من غير أهله.

(٢٠) نعيج به: نكترث له ونهتمّ به.

قافية الحاء

— 25 —

وقال كثّير: [من الطويل]

١ لعزَّةَ هَاجَ الشَّوْقَ فالـدَّمـعُ سَـافِـحُ   مَغانٍ ورَسْـمٌ قَـدْ تَقَـادَمَ مـاصِـحُ
٢ بذي المَرْخِ والمَسْرُوحِ غيّرَ رَسمَهـا   ضَروبُ النَّدى قَدْ أَعْتَقَتْها البَـوَارِحُ
٣ لِعينَيْـكَ مِنهـا يَـوْمَ حَـزْمِ مَبَـرَّةٍ   شَرِيجَانِ مِن دَمْعٍ: نَزِيعٌ وَسَـافِـحُ
٤ أتـيٌّ وَمَفْعـومٌ حَثيـثٌ كـأنَّـهُ   غُروبُ السَّوانِي أتْرعَتْها النـواضِـحُ
٥ إذا مَـا هَـرَقْـنَ المـاء ثُـمَّ استقينَـهُ   سَقَاهُنَّ جَـمٌّ مِـنْ سُمَيْحَـة طَـافِـحُ
٦ لَيـالـيَ مِنْهـا الواديـان مَظِنَّـةٌ   فبُرْقُ العُنَـابِ دَارُهَـا فـالأَبَـاطِـحُ

---

(١) سافح: منصبّ. المغاني: الديار. تقادم: قدم عهده. مـاصـح: دارس.

(٢) ذو المرخ: من الحوراء وهو في ساحل البحر قرب ينبع. المسروح: موضع قرب سويقة، وسويقة قريبة من المدينة. اعتقتها: جعلتها عتيقة. البوارح: الرياح الشديدة.

(٣) الحزم: ما غلظ من الأرض وكثرت حجارته. مبرّة: موضع. شريجان: مسيلان للدمع. النزيع: الذي نفد ماؤه أو قلّ. سافح: منهمر.

(٤) الأتيّ: الجدول أو السيل. المفعوم: الممتلىء. الحثيث: السريع. الغروب: جمع غرب وهو الدلو الكبيرة. السواني والنواضح: الأبل التي يستقى عليها.

(٥) الجمّ: الكثير. سميحة: بئر للأنصار في المدينة. طافح: ممتلىء.

(٦) مظنّة: أي يُظنّ أنّها في الواديين. برق: جمع برقة وهي الأرض الغليظة التي اختلطت فيها الرّمال والحجارة وغيرها. العناب: جبل في طريق مكّة.

٧ ليـالـيَ لا أسْمَـاءُ قـالٍ مـودّع ولا مُرْهِنٌ يوماً لـك البـذلَ جارِحُ
٨ صَـدِيـقٌ إذَا لاقَيْتَـهُ عـن جَنـابـةٍ أَلَـدُّ إذا نَـاشَـدْتَـهُ العَهـدَ بـائِـحُ
٩ وإذْ يُبرِىءُ القَرْحَى المِرَاضَ حَدِيثُها وَتَسْمُو بأَسْمَاءَ القُلُوبُ الصَّحَـائِـحُ
١٠ فأُقسِمُ لا أنْسَـى ولَـوْ حَـالَ دُونَهَـا مَعَ الصَّرْمِ عَرْضُ السَّبْسبِ المُتَنـازِحُ
١١ أمِنّي صَرَمْـتِ الحبـلَ لمَّـا رأيتني طَرِيدَ حُـرُوبٍ طـرَّحَتْـهُ الطَّـوَارِحُ
١٢ فـأسْحَـقَ بُـرداهُ وَمَـحَّ قميصـه فـأثـوابُـهُ لَيْسَـتْ لَهُـنَّ مَضَـارِحُ
١٣ فأعْرَضْتِ إنّ الغَـدْرَ منكـنّ شيمـةٌ وَفَجْعَ الأمين بغتـةً وَهْـوَ نَـاصِـحُ
١٤ فلا تَجْبَهِيـهِ وَيْـبَ غيـرِكِ إنَّـهُ فتًى عـن دَنِيّـاتِ الخَلائـقِ نَـازِحُ
١٥ هُوَ العَسَلُ الصَّـافـي مِـرَاراً وتـارةً هُوَ السُّـمُّ تَسْتَـدمِـي عَلَيـهِ الذَّرارِحُ
١٦ لعلّـكِ يـومـاً أن تَـرَيْـهِ بِغِبْطَـةٍ تَوَدِّينَ لَوْ يأتِيكُـمُ، وَهْـوَ صَـافِـحُ
١٧ يَـرُوقُ العُيُـونَ النَّـاظِـراتِ كـأنَّـه هِرْقليٌّ وَزْنٍ أَحْمَـرُ التِّبـرِ رَاجِـحُ
١٨ وآخِـرُ عَهْـدٍ مِنْـكِ يـا عَـزُّ إنَّـهُ بِذِي الرِّمثِ قَولٌ قُلْتِهِ وَهْوَ صَالِـحُ

(٧) قالٍ: هاجر مبغض. مرهن: من أرهن بالشّيء إذا أدامه وأثبته وغالى فيه.
(٨) عن جنابة: عن تجنّب وبُعد. ألدّ: شديد العداوة.
(٩) القرحى: الجرحى. تسمو: تعلو. بأسماء: بسبب أسماء. الصحائح: الصحيحة.
(١٠) السّبسب: الأرض الواسعة لا ماء فيها. المتنازح: البعيد.
(١١) صرم الحبل: قطعه. طرّحته الطوارح: قذفته القواذف هنا وهناك. وقد رويت «طوّحته الطوائح».
(١٢) أسحق: بلي وأخلق. محّ: بمعنى أسحق. المضارح: فضول الثوب سميت بذلك لأنّها تضرح الأرجل أي تلامسها وتدفعها.
(١٣) الفجع: إلحاق الأذى، وهي معطوفة على الغدر.
(١٤) جبه: ردّ بعنف، واجه. ويب: للدّعاء مثل ويل. نازح: بعيد.
(١٥) تستدمي: يسيل منها الدم. الذرارح: دويبة أعظم من الذباب شيئاً وهي سامّة.
(١٦) صافح: هنا مردود الحاجة، والإصفاح، ردّ الحاجة.
(١٧) يروق: يعجب. هرقلي: نسبة إلى هرقل الروماني، وهو يعني به الدينار الذي يأتي من بلاد الرّوم حتى عهد عبد الملك بن مروان. راجح: ثقيل الوزن.
(١٨) ذي الرمث: اسم موضع.

١٩ مُلاحُكِ بالبردِ اليَمَانـي وَقَـدْ بَـدَا | من الصَّرمِ أشراطٌ لـه وَهْـوَ رَائِـحُ
٢٠ ولـم أدْرِ أنَّ الوَصْـلَ منـكِ خَلابَـةٌ | كَجَارِي سَرَابِ رَقْرَقَتْهُ الصَّحَاصِحُ
٢١ أغـرّكِ مِنَّـا أنَّ دَلَّـكِ عنـدنـا | وإسْجَادَ عينيكِ الصَّيودَيْنِ رابِحُ
٢٢ وأنْ قَدْ أَصَبْتِ القَلْـبَ منّي بِغُلَّـةٍ | وَحَبٍّ لَهُ في أسْوَدِ القَلْبِ قَـادِحُ
٢٣ وَلَـوْ أَنَّ حبّـي أُمَّ ذِي الوَدْعِ كُلَّـهُ | لأهْلِكِ مـالٌ لـمْ تَسَعْـهُ المَسـارِحُ
٢٤ يَهيمُ إلى أَسْمَاءَ شَـوقـاً وَقَـدْ أَتَـى | لَهُ دونَ أسمـاءَ الشّغُـولُ السَّوانِـحُ
٢٥ وأقْصَرَ عن غَرْبِ الشَّبـابِ لِـدَاتُـهُ | بِعَـاقِبَـةٍ، وابْيَـضَّ مِنْـهُ المَسـائِـحُ
٢٦ ولكنّـهُ مِـنْ حُـبِّ عَـزَّةَ مُضْمِـرٌ | حَبَـاءً بِـهِ قَـدْ بُطِّنَتْـهُ الجَـوانِـحُ
٢٧ تُصَـرِّدُنـا أَسْمَـاءُ، دامَ جَمَـالُهـا | وَيَمْنَحُهـا منّـي المـودَّةَ مَـانِـحُ
٢٨ خَليليَّ هَـلْ أبصـرتُمـا يـومَ غَيقَـةٍ | لِعـزَّةَ أظعـانـاً لهـنَّ تَمـايـحُ
٢٩ ظَعَائِنُ كالسَّلوى التـي لا يحُـزْنهـا | أوِ المنّ، إذْ فَاحَتْ بِهِـنَّ الفَـوائِـحُ

(١٩) الملاح: ذو الملاحة والظرف. الأشراط: العلامات.
(٢٠) الصحاصح: جمع صحصح وهو الأرض المنبسطة.
(٢١) الدّلّ: الدّلال. الإسجاد: فتور النظر وغضّ الطّرف. الصيود: التي تصيد العاشق بسحرها.
(٢٢) الغلّة: الغليل أي شدّة العطش وحرارته. القادح: الاشتعال، من قدح النّار إذا أشعلها فاضطربت.
(٢٣) ذو الودع: هو الصبيّ الصغير الذي يقلّده أبواه قلادة من الودع، وهو الخرز الصغير. المال: هنا الأنعام والماشية.
(٢٤) الشّغول: جمع شغل. السّوانح: السّانحة أي العارضة.
(٢٥) غرب الشّباب: حدّته ونشاطه. لداته: أترابه، أقرانه. العاقبة: النهاية والآخرة. المسائح: الذوائب وهي شعر مقدّم الرأس.
(٢٦) حباءً به: حرصاً عليه وصوناً له. بطّنته الجوانح: أخفته الصّدور.
(٢٧) تصرّد: تقلّل من البذل والمودّة.
(٢٨) غيقة: موضع بين مكة والمدينة وقد ورد ذكره مراراً. تمايح: تمايل.
(٢٩) الظعائن: النّساء في الهودج. السلوى: كلّ ما يسلّي وهي عبارة ترد مع عبارة المنّ التي تحمل المعنى نفسه. فاحت بهنّ الفوائح: لعلّها «ماحت بهن الموائح» أي اهتزّت بهنّ الإبل عند تحرّكها، وهي تتّفق مع صدر البيت.

٣٠ كأنَّ قَنَا المرّانِ تَحْتَ خُدُورِهَا　ظباءُ الملا نِيطَتْ عليها الوَشَائِحُ
٣١ تَحَمَّلُ في نَجْرِ الظَّهِيرةِ بَعْدَما　تَوَقَّدَ من صَحْنِ السُّرَيْرِ الصَّرَادِحُ
٣٢ عَلَى كلّ عَيْهامٍ يَبُلُّ جَدِيلَهُ　يُجيلُ بذِفْراهُ، وباللِّيتِ قَامِحُ
٣٣ خَلِيليَّ رُوحَا وانْظُرا ذَا لُبانَةٍ　بِهِ بَاطِنٌ مِنْ حُبّ عَزَّةَ فَادِحُ
٣٤ سَبَتْني بعَيْنَيْ ظبيةٍ يَسْتَنِيمُهَا　أغنُّ البُغامِ أعْيَسُ اللَّونِ رَاشِحُ
٣٥ إلى أُرُكٍ بالجزع من بَطْنِ بيشَةٍ　عَلَيهِنَّ صَيَّفْنَ الحَمَامُ النَّوائِحُ
٣٦ كأنَّ القماريّ الهواتفَ بالضُّحَى　إذا أَظْهَرَتْ قيناتُ شَرْبٍ صَوَادِحُ
٣٧ وذي أُشُرٍ عَذْبِ الرُّضابِ كأنّهُ　- إذا غارَ أردافُ الثُّرَيّا السَّوابِحُ -
٣٨ مُجَاجَةُ نَحْلٍ فِي أبارِيقَ صُفِّقَتْ　بِصَفْقِ الغَوَادِي شَعْشَعَتْهُ المَجادِحُ

---

(٣٠) المرّان: نبات تؤخذ منه الرّماح والقسيّ، وسمّيت النّساء في الخدور بقنا المرّان لجمال قدودهن. الملا: اسم موضع بحمى ضرية، وشُبّهت النّساء بظباء الملا. نيطت: عُلّقت. الوشائح: جمع وشاح.

(٣١) النجر: شدّة العطش. السّرير: واد يقع من الجار على سبعة أميال. الصّرادح: جمع صردح وهي الأرض الملساء لا شيء فيها.

(٣٢) العيهام: الجمل السّريع. الجديل: الحبل المجدول. الذفرى: المكان الذي يعرق منه البعير خلف أذنيه. الليت: صفحة العنق. قامح: رافع رأسه عطشاً.

(٣٣) لبانة: حاجة. فادح: عظيم.

(٣٤) سبتني: سرقتني. يستنيمها: يستأنس إليها. الأغن: الصوت الذي يخرج من اللهاة والأنف. البغام: ولد الظبية. أعيس اللّون: أبيض. الرّاشح: ولد الظبية إذا أخذ يستجمع قوّته لينهض.

(٣٥) الارك: أشجار تتخذ عيدانها مساويك. الجزع: منعطف الوادي. بيشة: وادٍ من أودية تهامة. صيّفنَ: قضينَ فصل الصيف.

(٣٦) القماري: جمع قمريّة وهي الحمامة. الهواتف: السواجع. أظهرت: دخلت في الظهيرة. الشّرب: الشّاربون. صوادح: مغنّيات.

(٣٧) الأشر: تحزيز وحدّة في أطراف الأسنان وهي صفة مستحبّة. إذا غار أرداف الثّريّا: كناية عن بلوغ آخر الليل.

(٣٨) مجاجة النحل: ما يجنيه النحل من العسل شبّه به رضاب الحبيب. صفّقت: مزجت. المجادح: جمع مجدح وهي آلة لخلط الشّراب ومزجه.

٣٩ تَرُوقُ عُيُونَ اللائـي لا يَطْمَعُـونَهـا ويُرْوَى بِرَيَّاها الضَّجيعُ المُكَـافِـحُ
٤٠ وَغُـرٍّ يُغـادي ظَلْمَـهُ بِبَنَـانِهـا مع الفَجْرِ من نَعمانَ أَخْضَرُ مَـائِـحُ
٤١ قضى كـلَّ ذِي دَيـنٍ وعـزَّةُ خُلّـةٌ له لـم تُنِلْـهُ فَهْـوَ عَطْشانُ قَـامِـحُ
٤٢ وإني لأكْمي النَّـاسَ مـا تَعـدِينَنـي منَ البُخْلِ أن يَثْري بِذَلكَ كَـاشِـحُ
٤٣ وأرضى بِغَيـرِ البـذل مِنْهَـا لَعَلَّهـا تُفـارِقُنـا أَسْمَـاءُ والودُّ صَـالِـحُ
٤٤ وأصبحتُ وَدَّعْتُ الصِّبا غيـرَ أَنَّنـي لِعـزَّةَ مُصْـفٍ بـالمنـاسِـبِ مَـادِحُ
٤٥ أبـائِنَـةٌ يـا عـزُّ غَـدواً نَـواكُـمُ سقَتْـكِ الغـوادي خِلْفَـةً والرَّوائِـحُ
٤٦ من الشُمِّ مِشْـرَافٌ يُنيـفُ بقُـرْطها أَسِيلٌ إذا ما قُلِّدَ الحَلْـيَ وَاضِـحُ[١]

(٣٩) المكافح: من كفح المرأة وكافحها، إذا قبّلها غفلة.
(٤٠) الغرّ: هنا بمعنى الثغر. الظلم: ماء الأسنان وبريقها. نعمان: مكان ينبت فيه شجر الأراك الذي تؤخذ منه المساويك. المائح: المسواك.
(٤١) قامح: الذي ينفر من الماء لمرض أو لكراهة.
(٤٢) أكمي: أخفي وأستر ومنها الكمّ الذي يخفي اليد. تعدينني: تُبْغِضِينني. يثري: يفرح ويشمت. الكاشح: المبغض. أي أنّه يخفي عن النّاس بغضها حتّى لا يشمت به الشّامتون.
(٤٤) المناسب: أشعار النّسيب.
(٤٥) النوى: البعد. الغوادي: السّحاب الممطر غدوة. خلفة: مرّة بعد مرّة. الروائح: السّحاب الممطر عشيّة.
(٤٦) مشراف: طويلة مُشْرِفة. ينيف: يعلو ويرتفع. القرط: القلادة في العنق. الأسيل: الخدّ الطويل. واضح: نقيّ.

(١) وقد زيدت هذه الأبيات الأربعة على بعض نسخ الديوان:
١ رمتني بسهمٍ ريشُهُ الكحـلُ لـم يُصِـبْ ظواهرَ جلدي وهو فـي القلـبِ جـارحُ
٢ وجـدت بهـا وَجْـدَ المضلّ قلـوصَـهُ بمكّـةَ والركبـان غـادٍ ورائـح
٣ وجدتُ بهـا مـا لـم يجدْ ذو حـرارةٍ يمـارسُ جمّـاتِ الركـيّ النـوازح
٤ وجـدت بهـا مـا لـم تجـد أُمُّ واحـدٍ بـواحـدهـا تطـوى عليـه الصفـائـح

— 26 —

... ومضى حتى دنا من دمشق. فإذا بجنازة فاستعبر وقال: أسأل الله خير ما هو كائن؛ فسأل عن الميت فإذا هي عزّة، فخرَّ مغشياً عليه، فعرف وصب عليه الماء، فكان مجهوده أن بلغ القبر، فلما دفنت انكب على القبر وهو يقول: [من الطويل]

١ سِرَاجُ الدُّجَى صِفرُ الحَشَا مُنْتَهَى المُنَى   كَشَمْسِ الضُّحى نَوَّامَةٌ حِينَ تُصبحُ
٢ إذا مَا مَشَتْ بينَ البُيُوتِ تَخَزَّلَتْ   وَمَالَتْ كما مَالَ النّزيفُ المُرَنَّحُ
٣ تعلَّقْتُ عزّاً وهْيَ رُؤدٌ شَبَابُهَا   عَلاقَةَ حُبٍّ كَادَ بالقلْبِ يَرْجحُ
٤ أقولُ ونِضْوِي وَاقِفٌ عِنْدَ رَمْسِها   عَلَيكِ سَلاَمُ اللهِ والعَينُ تسفَحُ
٥ فَهَذا فِراقُ الحَقِّ لا أَنْ تُزِيرَني   بِلاَدَكِ فَتْلاءُ الذِّرَاعَينِ صَيْدحُ
٦ وَقَدْ كُنْتُ أبكي مِنْ فِراقِكِ حَيَّةً   وأنتِ لعَمْري اليومَ أَنْأى وأنْزَحُ
٧ فَيَا عَزَّ أنْتِ البَدْرُ قد حَالَ دُونَهُ   رَجِيعُ تُرابٍ والصَّفيحُ المضرَّحُ
٨ فَهَلاّ فَدَاكِ الموتَ مَنْ أَنْتِ زَيْنُهُ   ومَنْ هُوَ أَسْوَا مِنْكِ دَلاًّ وأقبحُ
٩ على أُمِّ بَكْرٍ رَحْمَةٌ وتحيّةٌ   لَهَا مِنْكَ والنّائي يَوَدُّ ويَنصَحُ

---

(١) صفر الحشا: ضامرة البطن لطيفة. النوّامة: الكثيرة النّوم.
(٢) تخزّلت: مشت متثاقلة. النزيف: السكران. المرنّح: الضعيف القوى، المائل.
(٣) الرؤد من النّساء: الشّابة الحَسَنة. يرجح بالقلب: يثقله.
(٤) نضوي: جملي المهزول. تسفح: تنصبّ.
(٥) فتلاء الذّراعين: صفة لموصوف محذوف تقديره ناقة قوية، ومفتولة الذّراعين. صيدح: تصيح بصوت مرتفع، وهي من فعل صدح إذا رفع صوته.
(٦) أنأى وأنزح: أبعد.
(٧) رجيع تراب: التراب الذي أُخرج من الحفرة ثمّ أُعيد إليها. الصفيح: جمع الصفيحة وهي الحجر العريض الرقيق تسقف به القبور وتبلّط به الدّور. المضرّح: المشقوق المعدّ للضريح وسط القبر.
(٨) من أنتِ زينه: أي الشاعر نفسه.
(٩) النائي: البعيد.

١٠ مُنعَّمــةٌ لــو يَــدْرُجُ الذَّرُّ بَيْنَهــا وَبَيْنَ حَوَاشِي بُرْدِهـا كَـادَ يجـرَحُ
١١ وما نَظَرَتْ عيني إلـى ذِي بَشَـاشـةٍ من النَّاسِ إلاّ أنتِ في العَينِ أمْلَـحُ
١٢ ألا لا أرى بَعْـدَ ابنَـةِ النَّضْـرِ لـذَّةً لِشَـيءٍ ولا مِلْحـاً لمَـنْ.يَتَمَلَّـحُ
١٣ فلا زَالَ رَمْسٌ ضَـمَّ عـزَّةَ سَـائِلاً بِـهِ نِعْمـةٌ مِـن رَحْمَـةِ الله تَسْفَـحُ
١٤ فإنَّ التي أَحْبَبْتُ قَـدْ حَـال دُونها طِوَالُ اللّيَالي والضَّـرِيـحُ المُصفَّـحُ
١٥ أَرَبَّ بعينــيَّ البُكَـا كُـلَّ لَيْلَـة فَقَدْ كَادَ مَجْرَى الدَّمعِ عَينيَّ يَقْـرَحُ
١٦ إذا لَمْ يكُن ما تَسْفَحُ العينُ لـي دمـاً وشـرُّ البُكـاءِ المُستعـارُ المُسيَّـحُ

— 27 —

وقال يصف سحاباً ويمدح رجلاً من بني خزاعة : [من الطويل]

١ وإنّك عَمْري هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَـارقٍ عَريضِ السَّنا ذي هَيْدَبٍ مُتَزَحْـزِحِ
٢ قَعَـدْتُ لـهُ ذَاتَ العِشَـاءِ أشِيمُـهُ بِمَـرٍّ وأَصْحَـابـي بجُبّـةِ أذْرُحِ
٣ وَمِنْـهُ بـذي دَوْرَانَ لَمْـعٌ كَـأنّـهُ بُعيدَ الكَرَى كَفَّا مُفِيضٍ بـأقـدُحِ
٤ فقُلْـتُ لهُـمْ لمَّـا رأيْـتُ وَمِيضَـهُ لِيُرْوَوْا بِهِ أَهْلَ الهِجَـانِ المُكشَّـحِ

(١٠) يدرج : يمشي ويدبّ . الذّر : صغار النمل .
(١١) البشاشة : الحسن .
(١٢) الملح : الملاحة . يتملّح : يتكلّف الملاحة . ابنة النضر : عَزّة .
(١٣) تسفح : تنصبّ وتسيل .
(١٤) المصفّح : المبلّط بالحجارة .

(١) بارق : سحاب بارق . متزحزح : متنحٍّ ، متباعد .
(٢) مرّ : موضع على مرحلة من مكّة . جبّة أذرح : موضع بـالشّـام . أشيمـه : أنظـر إليـه لأرى أيـن يمطر .
(٣) ذو دوران : ما بين قديد والجحفة . الكرى : النوم الخفيف . المفيض بالقداح : الضّارب بسهام الميسر .
(٤) الهجان : الخيار والخالص من الإبل . المكشّح : المكويّ بالنّار في كشحه .

٥ قبائلَ من كَعْبِ بنِ عَمْـروٍ كـأَنَّهُـمْ   إذا اجْتَمعُوا يَوماً هِضَابُ المُضَيَّـحِ
٦ تَحُـلُّ أَدانِيهـمْ بِـوَدَّانَ فَـالشَّبَـا   وَمَسْكِنُ أقصاهُـمْ بِشُهْـدٍ فَمِنصَـحِ

— 28 —

قال كثيّر يتغزّل: [من الطويل]

١ عَجِبْتُ لِبُرْئي مِنْكَ يَا عَزَّ بَعْـدَمَـا   عَمِرْتُ زَمَاناً مِنْـكِ غيـرَ صَحيـحِ
٢ فإنْ كَانَ بُرءُ النّفسِ لي مِنْكِ رَاحَـةً   فَقَدْ بَرِئَتْ إنْ كَـانَ ذَاكَ مُـرِيحـي
٣ تَجَلّى غِطَاءُ الرَّأسِ عَنّي وَلَمْ يَكَـدْ   غِطَـاءُ فُـؤَادي يَنْجَلـي لِسَـرِيـحِ
٤ سَلا القَلْبُ عَنْ كبْرَاهُمَا بَعْدَ حِقْبَـةٍ   وَلُقِّيتُ مِنْ صُغْرَاهُمَا ابْنَ بَـرِيـحِ
٥ فَلاَ تَـذْكُـرا عِنْـدِي عُقَيْبَـةَ إنّنـي   تَبِيـنُ إذا بَـانَـتْ عُقَيْبَـةُ رُوحـي

(٥) كعب بن عمرو: بنو خزاعة. المضيّح: اسم موضع.
(٦) ودّان والشّبا: موضعان. شهد: ماء لبني المصطلق من خزاعة. منصح: وادٍ بتهامة وراء مكّة.

(١) عمرت: عشت.
(٣) غطاء الرأس: أراد به سواد الشعر. السريح: الأمر السهل.
(٤) ابن بريح: اسم للغراب.
(٥) عقيبة: اسم امرأة.

قافية الدال

— 29 —

قال أبو الفرج (٩ :٢٣) إن كثيّراً شبّ في حجر عمّ له صالح،فلما بلغ الحلم أشفق عليه أن يسفه، وكان غير جيد الرأي ولا حسن النظر في عواقب الأمور فاشترى له عمّه قطيعاً من الإبل وأنزله فرش ملل، فكان به، ثم ارتفع فنزل فرع المسور بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف من جبل جهينة الأصغر، وكان قبل المسور لبني مالك بن أفصى، فضيقوا على كثيّر وأساؤوا جواره فانتقل عنهم وقال [من الطويل]؛ ويقال هو أول شعر قاله:

١ أبَتْ إبلي مَاءَ الرِّداهِ وشَفَّها ... بنو العَمِّ يَحْمُونَ النَّضِيحَ المبرَّدا

٢ وَمَا يَمْنَعُون الماءَ إلاَّ ضَنانةً ... بأصْلاب عُسْرَى شَوْكُهَا قد تَخَدّدا

٣ فَعادَتْ فَلَمْ تَجْهَدْ عَلى فَضْلِ مائهِ ... رِياحاً ولا سَقْيا ٱبْنَ طَلْقِ بْنِ أسعَدا

٤ إذَا وَرَدَتْ رَغْباءَ في يومِ وِرْدِهَا ... قَلُوصِي دَعَا إعْطَاشَهُ وتَبَلَّدا

---

(١) الرداه: جمع ردهة وهي النقرة في الجبل أو في صخرة يستنقع فيها الماء. شفّها: أهزلها. النّضيح: الحوض لانّه ينضح العطش أي يبلّه.

(٢) ضنانةً: بخلاً. أصلاب: جذوع. عسرى: بقلة شائكة. تخدد: تفرّق.

(٣) الفضل: البقيّة.

(٤) رغباء: اسم بئر. وردها: ورودها الماء. القلوص: النّاقة الفتيّة. الإعطاش: حبس الإبل عن الماء. تبلّد: تحيّر.

٥ فإنّي لأَسْتَحِييكُمُ أَنْ أُذِمَّكُمْ وأُكرِمُ نَفْسي أَنْ تُسِيئوا وأَحْمَدا

— 30 —

وقال: [من الكامل]

١ وَلَقَدْ لَقِيتَ على الدُّرَيْجةِ لَيْلَةً كَانَتْ عَلَيْكَ أيامِناً وَسُعُودا
٢ لا تغدُرَنَّ بوَصْلِ عزَّةَ بَعْدَما أَخَذَتْ عَلَيْكَ مَواثِقاً وعُهُودا
٣ إنَّ المُحِبَّ إذا أَحَبَّ حَبِيبَهُ صَدَقَ الصَّفاءَ وأنْجزَ الموعودا
٤ اللهُ يَعلمُ لَوْ أَرَدْتُ زِيَادَةً في حُبّ عزّةَ مَا وَجَدْتُ مَزيدا
٥ رُهبانُ مَدْيَنَ والذين عهِدتُهُمْ يبكونَ من حَذَرِ العَذَابِ قُعودا
٦ لو يَسْمَعُونَ كما سَمِعْتُ كَلاَمَهَا خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعاً وسُجودا
٧ والميْتُ يُنشَرُ أن تَمَسَّ عِظَامَهُ مَسّاً ويَخْلُدُ أَنْ يَرَاكِ خُلودا

— 31 —

وقال يرثي عبد العزيز بن مروان: [من الطويل]

١ أَتَاني وَدُوني بَطنُ غَولٍ وَدُونَهُ عِمَادُ الشَّبا من عَيْنِ شَمْسٍ فعابدُ

---

(٥) استحييكم: آنف من ذمّي إيّاكم.

---

(١) الدريجة: موضع ذكره ياقوت ولم يحدّده. الأيامن: جمع أيمن وهو خلاف الأيسر بمعنى البركة ضد الشؤم. السعود: جمع سعد ونقيضه النحس.
(٢) المواثق: العهود.
(٣) صدق الصفاء: أخلص الودّ أي وفى به.
(٥) مَدْيَن: بلدة مشهورة بساحل الطور وهي قرية النبي شعيب عليه السّلام.
(٦) «كلامها» تنازعها عاملان: «يسمعون» و«سمعت» فأعمل الثاني وأضمر في الأوّل.
(٧) ينشر: يحيا من جديد. والضمير في «يراك» يعود إلى عَزّة.

---

(١)غول: وادٍ بحمى ضرية. عماد الشّبا: موضع بمصر. عين شمس: بلد بالصعيد غير عين شمس التي عند المَطَرية. عابد: جبل في أطراف مصر.

٢ نعيُّ ابنِ ليلى فاتَّبَعْتُ مُصيبَةً وَقَدْ ضِقْتُ ذَرْعاً والتّجلّدُ آيدُ

٣ وَكِدْتُ وَقَدْ سَالَتْ مِنَ العَيْنِ عَبْرَةٌ سَهَا عَانِدٌ مِنها وَأَسْبَلَ عَانِدُ

٤ قَذِيتُ بِهَا وَالعَيْنُ سَهْوٌ دُمُوعُهَا وَعُوَّارُهَا في بَاطِنِ الجَفْنِ زائِدُ

٥ فإن تُرِكَتْ للكُحْلِ لَمْ يَتْرُكِ البُكا وتَشْرَى إذَا ما حَثْحَثَتْهَا المَراوِدُ

٦ أَمُوتُ أَسًى يَوْمَ الرِّجَامِ وإنَّنِي يَقيناً لَرَهْنٌ بالّذي أنا كَائِدُ

٧ ذَكَرْتُ ابنَ لَيْلَى والسَّمَاحَةَ بَعْدَمَا جَرَى بَيْننا مَوْرُ النَّقَا المُتَطَارِدُ

٨ وَحَالَ السَّفا بَيْنِي وبَيْنَكَ والعِدَى وَرَهْنُ السَّفَا غَمْرُ النَّقِيبَةِ مَاجِدُ

٩ حَلَفْتُ يميناً بالَّذي وَجَبَتْ لَهُ جُنُوبُ الهَدَايا والجِبَاهُ السَّوَاجِدُ

١٠ لَنِعْمَ ذوو الأضياف يَغْشَوْنَ بَابَهُ إذا هَبَّ أرْيَاحُ الشِّتَاءِ الصَّوارِدُ

---

(٢) نعيُّ: فاعل «أتاني» في صدر البيت الأوّل. «فاتّبعت»: لفظة معناها غير واضح. آيد اسم فاعل من آد بمعنى أثقل وبهظ.

(٣) قال العينيّ في المقاصد النحويّة: سها عاند يعني مخالف، يقال عَنَد بالفتح يعنِد بالكسر عنوداً إذا خالف، وامّا عاند الثاني فمعناه سائل، من عندَ العرق إذا سال ولم يرقأ وهو عرق عاند.

(٤) قذيت: من القذى الذي يسقط في العين كالتراب أو التبن أو غيره. السّهو: السّكون واللّين. العوّار: ما يسقط في العين من قذى.

(٥) تَشْرى: من شَرِيَ الرجل واستشرى إذا لجّ في الأمر. الحثحثة: التحريك. المراود: جمع مِرود، الميل الذي يؤخذ به الكحل ليكتحل به.

(٦) أسًى: حزناً. يوم الرّجام: اسم موضع، وورد «يوم الزّحام» مكان «يوم الرّجام». كائد: اسم فاعل من «كاد» الذي هو من أفعال المقاربة. والصواب هو «كابد» من المكابدة أي الاجتهاد في العمل.

(٧) مور: حركة. النقّا المتطارد: الرّمل يطرد بعضه بعضاً.

(٨) السّفا: التراب، وقيل تراب القبر أو البئر. العدى: الحجارة والصخور تُجعَل على القبر، وقيل كلّ ما يُطبق على اللّحد من الصّفائح. غمر النّقيبة: الكريم الواسع الخلق. والنّقيبة: الطبيعة.

(٩) الذي وجبت له: الله تعالى. الهدايا: جمع هديّ، الجمال التي تنحر في الحجّ.

(١٠) الصّوارد: الرياح الباردة.

١١ إذا استَغْشَتِ الأَجْوَافَ أَجْلاَدُ شَتْـوَةٍ وأَصْبَحَ يَحْمُومٌ بِهِ الثَّلْجُ جـامِـدُ[١]

— 32 —

وقال: [من الطويل]

١ أأَطْلاَلُ سلمـى بـالِلّـوَى تَتَعَهَّـدُ ... ...

★ ★ ★

٢ وَلَمَّا وَقَفْنَـا والقُلُـوبُ على الغَضَـا ولِلدَّمْعِ سَـحٌّ والفَـرائِـصُ تُـرْعَـدُ
٣ وبَيـنَ التَّـراقـي واللَّهَــاةِ حَـرَارَةٌ مَكَانَ الشَّجَـا مَـا إنْ تَبُـوحُ فتبـردُ
٤ أَقُـولُ لِمَـاءِ العَيْـنِ أَمْعِـنْ، لَعَلَّـهُ بما لا يُرَى مِنْ غَائِبِ الوَجْدِ يَشْهَـدُ
٥ فَلَـمْ أَدْرِ أَنَّ العَيْـنَ قَبْـلَ فِـرَاقِهـا غَدَاةَ الشَّبَا مِنْ لاَعِجِ الوَجْدِ تجْمـدُ
٦ ولم أرَ مِثْلَ العَيْنِ ضَنَّـتْ بمـائِهـا عَلَيَّ ولا مِثْلِي على الدَّمْـعِ يَحسُـدُ
٧ وَسَاوَى عَلَيَّ البينَ أنْ لـم يَـرِيْنَنـي بَكَيْتُ، ولم يُترَكْ لِذِي الشَّجْوِ مَقْعَدُ

---

(١١) استغشت: غطّت. أجلاد: جمع جلد. يحموم: جبل بمصر أسود اللون يعرف بجبل الدّخان.

---

(١) وورد هذا البيت في إحدى نسخ الديوان:

فـإنَّ مطيّـي قـد عفـا فكـأنّـهُ بـأوديـة الرنقـاء صُحْـمٌ أوابـدُ

---

(١) لم يُعثر على عجز البيت. اللوى: ما التوى وانعطف من الرّمل.
(٢) الغضا: يريد جمر الغضا، والغضا شجر خشبه من أصلب الخشب وفحمه صلب وجمره شديد الالتهاب لا ينطفىء بسرعة. السَّحّ: السّيلان. الفرائص: جمع فريصة، وهي اللحمة بين الجنب والكتف ترعد وتهتزّ عند الفزع.
(٣) التراقي: جمع ترقوة وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصّدر. اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفمّ. الشّجا: ما اعترض في الحلق من عظم أو نحوه.
(٤) أمعِنْ: أجرِ وأظهرْ.
(٥) الشّبا: وادٍ بالأثيل من أعراض المدينة. اللاعج: المحرق.
(٧) الشجو: الحزن والهمّ.

٨ وَلَمَّا تَدَانَى الصُّبْحُ نَادُوا بِرِحْلَةٍ فقُمْنَ كَسَالَى مَشْيُهُنَّ تَأَوُّدُ
٩ إلى جِلَّةٍ كالهُضْبِ لم تَعْدُ أنّها بوازِلُ عَامٍ والسَّدِيسُ المعبَّدُ
١٠ إلى كُلِّ هَجْهاجِ الرَّوَاحِ كأنَّهُ شَجٍ بِلَهَاةِ الحَلْقِ أوْ مُتَكَيِّدُ
١١ تمجُّ ذَفَاريهنَّ ماءً كأنَّهُ عَصِيمٌ على جَارِ السَّوَالفِ مُعْقَدُ
١٢ وهنَّ مُناخَاتٌ يُجَلَّلْنَ زينَةً كما اقْتَانَ بالنَّبْتِ العهَادُ المجوّدُ
١٣ تأطّرْنَ حتّى قُلْتُ لَسْنَ بَوارِحاً وذُبْنَ كما ذَابَ السَّدِيفُ المُسَرْهَدُ
١٤ عَبِيراً وَمِسْكاً مَانَهُ الرَّشْحُ رادِعاً بِهِ مِجْمَرٌ أو عَارِضٌ يتَفَصَّدُ
١٥ وأجْمَعْنَ بَيْناً عَاجِلاً وَتَرَكْنَنِي بِفَيفْا خُرَيْمٍ قَائِماً أتلدَّدُ
١٦ كَمَا هَاجَ إلْفٌ صَابِحَاتٍ عشيّةً لَهُ وَهْوَ مَصْفُودُ اليَدَيْنِ مُقَيَّدُ
١٧ فَقَدْ فُتْنَنِي لمّا وَرَدْن خَفَيْنناً وَهُنَّ عَلَى مَاءِ الحَرَاضَةِ أبْعَدُ

---

(٨) تأوّد: التواء واعوجاج.

(٩) الجلّة: مسانّ الإبل. البازل: الذي طلعت نابه من الإبل. السّديس: الشّاة التي أتت عليها السّنة السّادسة. المعبّد: المذلّل.

(١٠) الهجهاج: شديد الصوت، يعني جملاً يصّوت عند الرّحيل. شجٍ بلهاة الحلق: كأنّ لحمة حلقة اعترضها عظم أو نحوه. متكيّد: يعالج نفسه ويكيد بها.

(١١) الذفاري: ما خلف أذن البعير، تنضح عرقاً. تمجّ: تقذف. العصيم: القطران الذي يبقى على فخذي الدّابّة مختلطاً بالبول والوسخ والدّرن.

(١٢) اقتانت الروضة: ازدانت بألوان زهرتها وأخذت زخرفتها. العهاد: مواقع مطر الربيع من الأرض. المجَود: الذي ينصبّ جوداً.

(١٣) تأطّرن: هنا بمعنى أبطأنَ. بوارحاً: ذاهبات. السّديف: الشّحم. المسرهد: سنام البعير السمين. (وهذا البيت يُروى لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه).

(١٤) موقع هذا البيت مضطرب، ولهذا لم يتّضح وجه الصّواب في بعض ألفاظه.

(١٥) فَيفا خريم (وخريم اسم رجل): ثنية بين المضيق والصفراء، وهي على طريق الجار عادلة عن طريق المدينة يميناً. أتلدّد: أذهب هنا وهناك حيرةً.

(١٦) الصّابحات: اللواتي كَنّ معه في الصّباح، وقيل صابحات من ضبحت الخيل إذا أسمعت من أفواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة. الإلف: هنا الجمل. مصفود: مكبّل.

(١٧) خفينن: وادٍ بين ينبع والمدينة. الحراضة: ماء لجشم قريب من جهة نجد.

١٨ فَوَاللهِ مَا أدْرِي أطِيَخاً تَواعدُوا لِتِمِّ ظَمٍ أمْ مَاءَ حَيْدَةَ أوردوا
١٩ وبالأمْسِ مَا رَدُّوا لبينٍ جِمَالَهُمْ لَعَمْرِي فَعِيلَ الصَّبْرَ مَنْ يتجلّدُ
٢٠ وَقَدْ عَلِمَتْ تِلْكَ المَطِيَّةُ أنَّكُمْ مَتَى تَسْلُكُوا فَيْفَا رَشادٍ تَخوّدوا

— 33 —

وقال كثيّر يمدح أبا بكر بن عبد العزيز بن مروان(★) : [من الطويل]

١ ألاَ أنْ نَأتْ سَلْمَى فَأنتَ عَمِيدُ وَلَمَّا يُفِدْ مِنْهَا الغَداةَ مُفيدُ
٢ وَلَسْتَ بِمُمْسٍ لَيْلَةً مَا بَقِيتَهَا ولا مُصْبِحٌ إلا صِبَاكَ جَدِيدُ
٣ دِيَارٌ بِأعْنَاءِ السُّرَيْرِ كأنَّمَا عَلَيْهِنَّ في أكْنَافِ غَيْقَةَ شِيدُ
٤ تَمُرُّ السّنونَ الخَالِياتُ وَلاَ أرَى بِصَحْنِ الشَّبَا أطلاَلَهُنَّ تبيدُ

---

(١٨) طيخ: موضع بأسفل ذي المروة بين ذي خشب ووادي القرى. تِمّ: تمام: ظمٍ: مخفّفة من ظمأ، أي لاستكمال فترة الظمأ، قبل أن تساق إلى الماء. حيدة: اسم موضع.

(١٩) في اللسان (عول): يحتمل أن يكون أراد عيل على الصبر، فحذف وعدّى، ويحتمل أن يجوز على قوله: عيل الرجلُ صبرَه، قال ابن سيده: ولم أره لغيره.

(٢٠) فَيفار شاد: اسم موضع. تخوّدوا: تتخوّدوا، تسرعوا السّير.

(★) أبو بكر بن عبد العزيز: أمّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب، وكان من خيار المسلمين وكان عمر بن عبد العزيز على توليته عهده، وكان معجباً به. ويقول ابن حزم إنّ أبا بكر كان أسنّ من أخيه عمر، وإنّما سقيا السّمّ معاً فماتا جميعاً سنة ١٠١ هـ. وفي القصيدة يترحّم الشّاعر على عبد العزيز والد الممدوح ونحن نعلم أنّ عبد العزيز توفّي سنة ٨٥ هـ، فهذه القصيدة ممّا جاء بعد هذا التاريخ.

(١) العميد: الذي أضناه العشق.

(٣) أعناء: جمع عنا، والعنا الجانب والناحية. السُّرير: موضع قرب الجار وهو أيضاً وادٍ من أودية خيبر. غيقة: سهل واسع على ساحل البحر يقابل بدراً بين مكّة والمدينة. الشيد: كلّ ما طُلي به الحائط من جصّ أو بلاط.

(٤) الشبا: وادٍ بالأثيل من أعراض المدينة.

٥ فغَيْقَـةُ فَـالأكْفَـالُ أكْفَـالُ ظَبْيَـةٍ   تَظَـلُّ بِهَـا أُدْمُ الظِّبَـاءِ تَـرُودُ
٦ وَخَطْبَاءُ تَبْكِي شَجْـوَهَـا فَكَـأنَّهـا   لهـا بـالتّلاعِ القَـاوِيَـاتِ فقيـدُ
٧ كما اسْتَلْعَبَتْ رأدَ الضّحَى حِمْيَرِيَّـةٌ   ضَـرُوبٌ بكفيّهـا الشِّـراعَ سَمـودُ
٨ ليالِيَ سُعْدى في الشَّبَابِ الذي مضـى   ونِسْـوَتُهـا بيـضُ السوَّالفِ غيـدُ
٩ يُباشِرْنَ فأرَ المِسْكِ في كُلِّ مهجَعٍ   ويُشْـرِقُ جَـاديٌّ بِهِـنَّ مَفيـدُ
١٠ فدَعْ عَنْكَ سَلْمَى إذْ أتى النأيُ دُونَهَا   وأنْتَ امروٌ ماضٍ ـ زَعَمْتَ ـ جليدُ
١١ وَسَـلِّ هُمُـومَ النفسِ إنَّ عِلاَجَهـا   إذا المـرءُ لَـمْ يَنْبَـلْ بهـنَّ شـديـدُ
١٢ بعيَسـاءَ فـي دَأيَـاتِهَـا وَدُفُـوفِهَـا   وَحَـارِكِهَـا تَحْـتَ الـوَلَيِّ نُهـودُ
١٣ وفي صَدْرِها صَبٌّ إذا ما تَدَافعَتْ   وفي شَعْبِ بَيـنَ المِنْكَبَيـنِ سُنـودُ
١٤ وَتَحْتَ قُتُودِ الرَّحْلِ عَنْسٌ حَرِيـزَةٌ   عَلاةٌ يُبـارِيهـا سَـوَاهِـمُ قُـودُ

---

(٥) الأكفال: مآخير الجبال. ظَبية: موضع بين ينبع وغيقة بساحل البحر، وقال البكريّ: هضبة قريبة من غيقة. الأدم: الظّباء البيض. ترود: تذهب وتجيء.

(٦) خطباء: صفة للأتان وهي التي لها خطّ أسود على متنها. التلاع: الأراضي المرتفعة. القاويات: الخاليات.

(٧) استلعبت: لعبت. رأد الضحى: وقت ارتفاع الشمس. حميريّة: قينة يمانيّة من حميرَ. الشّراع: الأوتار في آلة الموسيقى. سمود: ميّالة إلى اللهو.

(٨) غيد: جمع غادة، المرأة النّاعمة.

(٩) فأر المسك: وعاء المسك. المهج: النوم أو موضعه. الجاديّ: الزعفران. مَفيد: اسم مفعول من فاد (أي داف) تقول فادت المرأة الطيب: دلكته في الماء ليذوب أي دافته فهو مدوف ومَفيد.

(١٠) جليد: ذو جلادة واحتمال.

(١١) نبل به: رفق. والضمير في «بهنّ» يعود إلى «هموم النفس».

(١٢) عيساء: ناقة بيضاء من العيس. الدأيات: ملتقى ضلوع الصدر. الدّفوف: جمع دفّ، الجنب. الحارك: عظم مشرف من جانبيّ الكاهل. الوليّ: جمع وليّة، البرذعة التي تكون تحت الرحل. نهود: ارتفاع.

(١٣) صبّ: انحدار. الشَّعب: موضع الانفراج. سنود: تصعد وارتفاع.

(١٤) القتود: أخشاب الرحل. العنس: النّاقة القويّة الصلبة. حريزة: ناقة غالية الثمن لا تباع =

١٥ تَرَاها إذا مَا الرَّكْبُ أصْبَحَ نَاهِلاً ورُجّيَ وِرْدُ الماءِ، وَهْوَ بَعِيدُ
١٦ تَزِيفُ كما زَافَتْ إلى سَلِفَاتِها مُباهِيَةٌ طَيَّ الوِشاحِ مَيُودُ
١٧ إليكَ أبَا بكرٍ تَخُبّ بِراكِبٍ على الأيْنِ فَتْلاَءُ اليَدَينِ وَخُودُ
١٨ تَجُوزُ رُبَى الأصْرَامِ أصْرَامِ غَالِبٍ أقولُ ـ إذا ما قيل أينَ تريدُ ـ:
١٩ أُريدُ أبا بكرٍ ولَوْ حَالَ دُونَهُ أماعِزُ تَغْتَالُ المطيَّ وَبِيدُ
٢٠ لِتَعْلَمَ أنّي لِلْمَوَدّةِ حَافِظٌ وَمَا لِلْيَدِ الحُسْنى لَدَيَّ كُنُودُ
٢١ وإنّكَ عِنْدِي في النَّوالِ وغيرِهِ وفي كُلِّ حَالٍ مَا بَقِيتَ حَمِيدُ
٢٢ فآلاءُ كَفٍّ مِنْكَ طَلْقٍ بَنانُهَا بِبَذْلِكَ إذْ في بَعْضِهِنَّ جُمُودُ
٢٣ وآلاءُ مَنْ قَدْ حَالَ بيني وبَيْنَهُ عِدًى وَنَقاً للسّافِياتِ طَرِيدُ
٢٤ فلا تبعدنْ تَحْتَ الضّريحَةِ أعظُمٌ رَمِيمٌ وأثوابٌ هُنَاكَ جُرودُ
٢٥ بما قَدْ أرَى عبدَ العزيزِ ونَجْمُهُ إذا نلتَقي طَلْقُ الطُّلُوعِ سُعُودُ

= لنفاستها. علاة: ناقة صلبة شُبّهت في صلابتها بالعلاة أي السندان. سواهم: متغيّرة، عابسة. قود: جمع قوداء، طويلة العنق.

(١٥) ناهلاً: ظامئاً.

(١٦) تزيف: تسترخي في مشيتها. السّلفات: جمع سلفة، إذا تزوّج أخوان بامرأتين فكلّ امرأة منهما هي سلفة للأخرى. ميود: شديدة التمايل زهواً وليناً.

(١٧) تخبّ: تمشي الخبب وهو نوع من العدو. الأين: التعب. وخود: واسعة الخطو سريعة، والوخد ضرب من سير الإبل سريع.

(١٨) الأصرام: جمع صِرم، أبيات مجتمعة منقطعة عن النّاس. غالب: موضع نخل دون مصر.

(١٩) الأماعز: جمع أمعز وهو المكان الكثير الحصى. البيد: جمع بيداء، أي صحراء.

(٢٠) الكنود: الجحود ونكران النعمة.

(٢١) النّوال: العطاء.

(٢٢) الآلاء: النِعم.

(٢٣) العِدى: ما يُطبق على القبر من الصّفائح. النّقا: القطعة المحدودبة من الرّمل. السّافيات: الريّاح تطرد رمال الكثبان.

(٢٤) الضّريحة: الضّريح، القبر. جرود: جمع جَرد وهو الخلق والبالي من الثيّاب.

(٢٥) طلق الطّلوع: مشرق الطّالع. سعود: نجمه سعد لا نحس فيه.

٢٦ لَـهُ مِـنْ بنيـهِ مَجْلِسٌ وَبَنيهـمُ كِرَامٌ كـأطْـرَافِ السيُّـوفِ قُعـودُ
٢٧ فما لامرىءٍ حيٍّ وإنْ طَـالَ عُمْـرُهُ ولا لِلْجبَـال الرّاسِيَـاتِ خُلـودُ
٢٨ وأنـت أبَـا بَكْـرٍ صفيّـيَ بَعْـدَهُ تَحَنَّـى علـى ذي وُدّهِ وتعـودُ
٢٩ وأنْتَ امرُؤٌ أُلهِمْتَ صِدْقـاً وَنـائِلاً وأوْرَثَـكَ المجـدَ التليـدَ جُـدُودُ
٣٠ جُدُودٌ من الكَعْبين بِيضٌ وُجُوهُهـا لهُـمْ مـأثُـراتٌ مَجْـدُهـنَّ تليـدُ

— 34 —

وقال: [من المتقارب]

١ أنَـادِي لِجِيـرَانِنَـا يَقْصِـدُوا فنَقْضِـي اللُّبَـانَـةَ أوْ نَعهـدُ
٢ كـأنَّ علـى كَبِـدِي قُـرْحـةً حَـذَاراً مِـنَ البَيـنِ مـا تَبْـرُدُ

— 35 —

وقال كثير :[من الطويل]

١ نَظَـرْتُ وأعْلامُ الشَّـرِيَّـةِ دُونَنـا فَهُضْبُ المَرَوْراةِ الدَّواني وَسُودُهَـا

. . . .

---

(٢٨) تحنّى: أي تتحنّى، تنحني.
(٢٩) النّائل: العطاء. التليد: القديم الموروث.
(٣٠) الكعبان: كعب قريش وكعب خزاعة. مأثرات: مكرمات.

---

(١) اللبانة: الحاجة.
(٢) البين: البعاد.

---

(١) الشرية: ناحية من بلاد كانت بالشّام. المروراة: الفلاة الواسعة لا ماء فيها، وهو اسم جبل أيضاً.

وقال كثير : [من الطويل]

١ لَقَدْ هَجَرَتْ سُعدَى وَطَالَ صُدودُهَا ... وَعَاوَدَ عيْني دَمْعُهَا وسُهُودُهَا

٢ وَقَد أُصفِيَتْ سُعْدَى طَرِيفَ موَدَّتي ... وَدَامَ على العَهْدِ الكَرِيمِ تَلِيدُهَا

٣ نَظَرْتُ إليها نَظْرَةً وَهْيَ عَاتِقٌ ... على حِينِ أنْ شَبَّتْ وَبَانَ نُهُودُها

٤ وَقَدْ دَرَّعُوهَا وَهْيَ ذَاتُ مُؤَصَّدٍ ... مَجُوبٍ ولمّا يلْبَسِ الدِّرْعَ رِيدُها

٥ نظَرْتُ إليها نَظْرةً ما يَسُرُّني ... بِها حُمْرُ أنعامِ البِلادِ وَسُودُها

٦ وَكُنْتُ إذا ما زُرْتُ سُعْدى بأرْضِهَا ... أرَى الأرضَ تُطوى لي ويَدْنُو بَعِيدُها

٧ منَ الخَفِراتِ البيضِ وَدَّ جَليسُهَا ... إذا ما انقضَتْ أُحْدوثَةٌ لوْ تُعيدُها

٨ مُنَعَّمَةٌ لم تَلْقَ بُؤسَ مَعيشَةٍ ... هي الخُلدُ في الدُّنيا لِمَنْ يَسْتَفيدُها

٩ هيَ الخُلْدُ ما دَامَتْ لأهْلكَ جَارَةً ... وهَلْ دامَ في الدُّنيا لنفْسٍ خُلودُها

١٠ فَتِلْكَ الّتي أصْفيتُهَا بِمَوَدَّتي ... وَليداً ولمّا يَسْتَبِنْ لي نُهودُها

١١ وقد قَتَلَتْ نَفْساً بغَيرِ جَريرَةٍ ... ولَيس لها عَقْلٌ ولا مَن يُقيدُها

---

(١) سعدى : عوض عزّة. سهودها : مصدر شاذ من سَهد ، أي أرِقَ ، ولم ينم.

(٢) الطريف والتليد : الجديد والقديم.

(٣) العاتق : الجارية التي لم تدرك أو التي لم تتزوّج.

(٤) درّعوها : ألبسوها الدرع وهو ثوب صغير تلبسه الجارية في البيت. المؤصّد : من الأصدة وهي قميص تلبسه الجارية. مجوب : مخروق ، مقوّر. الريد : أي الرئد بمعنى التِرب أي القرين في السّنّ.

(٥) الأنعام الحمر والسود : من أشرف أموال النّاس.

(٦) تطوى : تصبح قريبة.

(٧) الخفرات : جمع الخفرة ، المرأة الشديدة الحياء . الأحدوثة : الحديث.

(٨) يستفيدها : يطلبها ليجمعها ويكسبها ويتّخذها لنفسه.

(٩) الخلد : الجنّة.

(١٠) أصفيتها بمودّتي : وددتها بصفاء.

(١١) الجريرة : الجريمة والجناية. العقل : الديّة. يقيدها : يقتلها ، والقود هو القصاص ، وقتل القاتل بدل القتيل.

١٢ تُحَلِّلُ أحْقَادي إذا مـا لَقِيتُهـا   وَتَبْقَى بِلا ذَنْبٍ عَلَيَّ حُقُودُها
١٣ ويَعذِبُ لي مِن غَيرِها فَأعَافُها   مَشَارِبُ فيها مَقْنَعٌ لو أُريدُها
١٤ وَأمْنَحُهَا أقْصَى هَوَايَ وإنَّني   عَلى ثِقَةٍ مِنْ أنَّ حَظّي صُدُودُها
١٥ فَكَيْفَ يَوَدُّ القَلْبُ مَن لا يَوَدُّهُ   بلى قد تُريد النَّفْسُ مَن لا يُريدُها
١٦ ألا لَيْتَ شِعْري بَعْدَنَا هَلْ تَغَيَّرَتْ   عنِ العَهْدِ أمْ أمْسَتْ كعهدي عُهودُها
١٧ إذا ذَكَرَتْهَا النَّفْسُ جُنّتْ بذِكْرِهَا   وَريعتْ وَحَنَّتْ واستخَفَّ جَلِيدُها
١٨ فلَوْ كَانَ مَا بِي بِالجِبَالِ لهَدَّها   وإنْ كانَ في الدُّنيا شَدِيداً هُدُودُها
١٩ وَلَسْتُ وإنْ أُوعِدتُ فيها بمُنْتَهٍ   وإن أُوقِدَتْ نارٌ فَشُبَّ وَقودُها
٢٠ أبيتُ نَجِيّاً للهُمومِ مُسَهَّداً   إذا أُوقِدَتْ نَحْوي بلَيْلٍ وُقودُها
٢١ فأصْبحْتُ ذَا نفسين نَفْسٍ مَريضةٍ   مِن اليأسِ ما يَنْفَكُّ هَمٌّ يَعُودُها
٢٢ ونفسٍ تُرجّي وَصْلها بَعْدَ صرمِها   تَجَمَّلُ كيْ يزدَادَ غَيظاً حَسُودُها
٢٣ ونَفسي إذا ما كُنْتُ وَحْدِي تَقَطَّعتْ   كما انسَلَّ مِن ذاتِ النِّظَامِ فَرِيدُها
٢٤ فلَمْ تُبدِ لي يأساً فَفِي اليأسِ رَاحَةٌ   ولم تَبدِ لي جُوداً فينفعَ جُودُها
٢٥ كذاك أذودُ النَّفْسَ يا عزَّ عَنْكُمُ   وَقَدْ أعْوَرَتْ أسْرَارُ مَنْ لا يَذُودُها

---

(١٢) تحلل أحقادي: تنزعها وتزيلها.
(١٣) المَقْنع: الشاهد المُقْنع، أي أنّه يعاف الشراب العذب من غيرها.
(١٤) الصّدود: الهجران.
(١٦) العهد: الوفاء والمودّة.
(١٧) ريعت: خافت. استخفّ جليدها: استرخى صبرها وقوّتها من الجلد وهو الصلابة.
(١٨) الهدود: مصدر من فعل هدّ، أي دكّ.
(١٩) أُوعدت: هُدّدت. النار: كناية عن العداء والخصومة.
(٢٠) نجيّاً: من النجوى، محدّثاً في سرّي. السّهاد: الأرق.
(٢١) يعودها: يزورها في مرضها.
(٢٢) الصرم: القطيعة. تجمّل: تتجمّل أي تصبر.
(٢٣) ذات النّظام: القلادة. النظام: الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ. الفريد: صفة للؤلؤ نائبة عن موصوفها.
(٢٥) أعورت: أمكنت، انتشرت، تفشّت. يذودها: يدافع عنها ويكتمها ويحفظها.

— 37 —

وقال: [من الطويل]

١ وَكُنْتُ امرءاً بالغَوْرِ مِنّي ضَمَانَةٌ ... وأُخرى بنجدٍ ما تُعيدُ وَمَا تُبدي

٢ فطوْراً أكُرُّ الطَّرْفَ نحوَ تِهَامَةٍ ... وَطَوراً أكُرُّ الطرَّفَ كرّاً إلى نَجْدِ

٣ وأبكي إذا فَارَقْتُ هِنداً صبابَةً ... وأبْكِي إذا فَارَقْتُ دَعْداً عَلَى دَعْدِ

٤ وَكَانَ الصبَّا خِدْنَ الشَّبَابِ فَأَصْبَحَا ... وَقَدْ تَرَكاني في مَغانيهِمَا وَحْدِي

٥ فوالله ما أدْري أطَائِفُ جِنَّةٍ ... تأوَّبَني أمْ لَمْ يَجِدْ أحدٌ وَجْدي

٦ فلا تَلْحَيَاني إن جَزَعْتُ، فما أرى ... على زَفَراتِ الحُبِّ مِنْ أحَدٍ جَلْدِ

— 38 —

وقال: [من الطويل]

١ تَظَلُّ ابنةُ الضَّمريِّ في ظِلِّ نِعْمَةٍ ... إذا مَا مَشَتْ مِنْ فَوْقِ صَرْحٍ مُمَرَّدِ

٢ يجيءُ بِرَيّاها الصَّبا كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَتَجْمَعُنا الأحْلاَمُ في كُلِّ مَرْقَدِ

---

(١) الضمانة: المرض الملازم.

(٢) وقد روي البيت:

فعين تكرّ الطرف نحو تهامةٍ ... وعين تكرّ الطّرف كرّاً إلى نجد

(٣) الصبابة: الشّوق.

(٤) خدْن: صديق. المغاني: المنازل.

(٥) الطائف: حارس الليل. الجِنّة: الجنّ عكس الإنس. تأوّب: زار ليلاً.

(٦) لا تلحياني: لا تلوماني. جزع: لم يصبر. الجَلد: الشّديد القوىّ.

---

(١) ابنة الضمريّ: عَزّة. الصرح: البناء العالي. الممرّد: المملّس المطوّل.

(٢) رياها: رائحتها الزكيّة. الصَّبا: ريح مهبّها من الشّرق.

٣ ونُضْحِي وَأثْبَاجُ المَطِيّ مَقِيلُنا بجذْبٍ بنَا فـي الصَّيْهدِ المُتَـوَقِّـدِ
٤ أقِيدي دَمـاً يـا أُمَّ عمـرٍو هـرَقْتِـهِ فَيَكْفِيـكِ فِعْـلُ القَـاتِـلِ المُتَعَمِّـدِ
٥ وَلَنْ يَتَعَـدَّى مـا بَلَغْتُـمْ بِـرَاكِـبِ زورَّةَ أسْفَـارٍ تَـرُوحُ وتَغْتَـدي
٦ فظلّتْ بأكْنَـافِ الغُـرابَـاتِ تَبْتَغِـي مظَنَّتَهَـا واسْتَمَـرَأتْ كُـلَّ مُـرْتَـدِ
٧ وَذَا خُشُبٍ مِنْ آخـرِ الليّـلِ قلَّبَـتْ وَتَبْغِي بِـهِ ليلاً عَلَـى غَيْـرِ مَـوْعِـدِ
٨ مُنَـاقِلَـةً عُـرْضَ الفَيَـافـي شِمِلَّـةً مَطيّـةَ قَـذَّافٍ علـى الهَـوْلِ مبعَـدِ
٩ فَمَرَّتْ بليلٍ وَهْيَ شَدْفَاءُ عَـاصِـفٌ بمُنخـرَقِ الدَّوداءِ مَـرَّ الخَفَيْـدَدِ
١٠ وَقَالَ خَلِيلي قَدْ وَقِعـتَ بمـا تـرى وأبْلَغْتَ عُذْراً في البُغايـةِ فـاقْصِـدِ
١١ فَحَتَّامَ جَوْبُ البِيدِ بالعِيسِ تَرْتَمِـي تَنَائِفَ مـا بَيْـنَ البُحيَـرِ فصَـرْخَـدِ
١٢ فقلتُ لهُ لم تَقْضِ مَـا عَمَـدَتْ لَـهُ وَلَمْ تَأتِ أصْـرامـاً بِبُـرْقَـةِ مُنْشَـدِ

---

(٣) أثباج المطيّ: ظهورها. المقيل: استراحة الظهيرة من حرّ الشمس. الصيهد: شدّة حرارة الهاجرة.

(٤) أقيدي: من القود وهو أخذ القاتل بالقتيل.

(٥) بلغتم: فعلتم. الزورّة: النّاقة السريعة المعدّة للأسفار.

(٦) الغرابات: أمواه لخزاعة أسفل كُلَيّة. مظنّتها: موضع وجودها الذي يُظنّ أنّها فيه. استمرأت: استساغت. كلّ مرتد: أراد كلّ مرتاد فخذف الألف ضرورة.

(٧) ذو خشب: وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة. قلّبت: بحثت وفتّشت.

(٨) مناقلة: سريعة نقل القوائم. الشملّة: السريعة الخفيفة. مبعد: بعيد الأسفار وهي صفة لقذّاف. الفيافي: الصحاري الواسعة.

(٩) الشدفاء: النّاقة المائلة في أحد شقّيها من فرط حملها. العاصف: المائلة. المنخرق: الموضع الذي يشتدّ فيه هبوب الريح. الدوداء: موضع قرب المدينة. الخفيدد: ذكر النعام الخفيف.

(١٠) وَقِعَ: اشتكى لحم أسفل قدميه من غلظ الأرض والحجارة والشوك. البغاية: المبتغى. أقصد: اعتدل في طلبك ولا تكن مغالياً.

(١١) البيد: جمع بيداء. العيس: النّوق البيضاء. التنائف: الأراضي الواسعة لا ماء فيها. البحير وصرخد: أسماء أمكنة.

(١٢) الأصرام: الجماعة من البيوت. برقة منشد: ماء لبني تميم وبني أسد.

١٣ فأصْبَحَ يَرْتَادُ الجَمِيمَ بَرابغٍ   إلى بُرْقةِ الخَرجَاء مِنْ ضَحْوَةِ الغدِ
١٤ لَعَمْرِي لَقَدْ بَانَتْ وشَطَّ مَزَارُهَا   عُزيزَةَ لا تَفْقِدْ وَلاَ تَتَبَعَّدِ
١٥ إذا أصْبَحَتْ في الجِلْس في أهْلِ قَرْيَةٍ   وَأصْبَحَ أهلي بينَ شَطْبٍ فبَدْبَدِ
١٦ وإنِّي لآتِيكُمْ وَإنِّي لَراجِعٌ   بغَيرِالجَوَى مِنْ عِنْدِكُمْ لَمْ أُزَوَّدِ
١٧ إذا دَبَرَانٌ مِنْكِ يَوماً لَقِيتُهُ   أُؤَمِّلُ أنْ ألقاكِ بَعْدُ بأسْعُدِ
١٨ فإنْ تَسْلُ عَنْكِ النَّفْسُ أو تَدَعِ الهوى   فَباليأسِ تَسْلُو عَنْكِ لا بالتَّجَلُّدِ
١٩ وَكُلُّ خَليلٍ رَاءَنِي فَهْوَ قائِلٌ   مِنْ آجْلِكِ هَذَا هَامَةُ اليومِ أو غدِ

— 39 —

وقال: [من الطويل]

١ وَلَمَّا رَأتْ وَجْدِي بِهَا وَتَبَيَّنَتْ   صَبَابةَ حَرَّانِ الصَّبابةِ صَادِ
٢ أدلّتْ بَصَبْرٍ عِنْدَهَا وَجَلاَدَةٍ   وَتَحْسَبُ أنَّ النَّاسَ غَيْرُ جِلادِ

---

(١٣) الجميم: النبات. برابغ: يعني أنّه بلغ مكان رابغ حيث راحت ناقته ترتعى العشب، ورابغ موضع بين المدينة والجحفة وهو مِن مَرّ، ومرّ من منازل خزاعة. الخرجاء: اسم موضع.
(١٤) بانت: بَعُدت. شطّ: بَعُد. عُزيزة: تصغير عَزّة.
(١٥) الجلس: موضع مما يلي علياء غطفان. شطب: وادٍ حذاء مِرْجَم دون كُلَيّة الى بلاد ضمرة. بدبد: ماء في طرف أبان الأبيض الشمالي.
(١٦) الجوى: الحزن، أي تعوّدت أن أعود من دياركم مزوّداً بالداء لشدّة وجدي بكم.
(١٧) دبران: اسم نجم من نجوم النّحس والخيبة. ما يزال يأمل بتغيّر الأحوال.
(١٨) يقول: إنّني أسلوك يائساً وليس متصبّراً.
(١٩) راءني: رآني. هامة اليوم أو غد: سيموت اليوم أو غداً، والهامة طائر وهمي يخرج من رأس القتيل ويظلّ يصيح، اسقوني حتى يؤخذ بثأر القتيل.

---

(١) الحرّان: الشديد العطش. الصّادي: العطشان.
(٢) أدلّت: وثقت بمحبة الحبيب فأفرطت عليه.

٣ فَيَا عَزَّ صَادِي القَلْبَ حَتَّى يَـوَدَّنـي   فــؤادُكِ أو رُدّي علَــيَّ فُــؤادي

★ ★ ★

٤ وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيلى لَدُنْ أنْ عَرَفتُهَـا   لَكَالهَـائـمِ المُقْصَـى بِكُـلّ مَـذادِ

٥ وإنَّ الذّي يَنْوِي مِنَ المَـالِ أهلُهَـا   أوَارِكُ لمّـا تَــأتَلِــفْ وعَــوَادي

— 40 —

— 40 —

وقال : [من الطويل]

١ وإني لأرْعَى قَـوْمَهَـا مِـنْ جَلاَلِهَـا   وَإنْ أَظْهَرُوا غِشّاً نَصَحْتُ لهم جَهْدِي

٢ وَلَو حَارَبُوا قَوْمِي لَكُنْـتُ لِقَـوْمِهَـا   صَديقاً وَلَمْ أحْمِلْ على قَوْمِهَا حِقْدِي

— 41 —

وقال يرثي صديقه خندقاً الأسديّ : [من الوافر]

١ شَجَـا أَظْعَـانُ غَـاضِـرَةَ الغــوادي   بغَيـرِ مَشُورةٍ عَــرَضــاً فُــؤادِي

---

(٣) صادي : من فعل صادى أي دارى .

(٤) المقصى : المُبْعَد . المذاد : مصدر ميمي بمعنى الذود والطرد . شبّه نفسه في طرد ليلى له بالبعير الذي يصيبه داء الهيام فيطرد عن الإبل خشية أن يصيبها ما أصابه ، والهائم أيضاً من هام على وجهه أي ذهب ، من عشق أو غيره .

(٥) الأوارك : من أركت النّاقة إذا أكلت شجر الأراك . العُدْوة : الخُلّة من النبات فإذا رعتها الإبل قيل إبل عُدوية . أي أنّ أهلها يطلبون في مهرها من النّوق التي لا تأتلف الأوارك منها مع العوادي .

---

(١) من جلالها : من أجلها . الغش : الحقد والخيانة .

(٢) أحمل : أُضمر وأُخفي .

---

(١) شجا : حزن ، وأصل الشّجا عظم صغير يعترض في الحلق فيغصّ صاحبه بالطعام والشّراب . الأظعان : جمع ظعينة ، هودج المرأة ما دامت فيه . الغوادي : التي تذهب غدوة . عرضاً : من غير قصد .

٢ أغـاضِـرَ لَـوْ شَهِـدَتِ غَـداةَ بِنْتُـمْ جُنُـوءَ العَـائـداتِ عَلَـى وِسَـادي

٣ أوَيْـتِ لِعَـاشِـقٍ لَـمْ تَشْكُمِيـهِ نَـوَافِـذُهُ تَلَـذَّعُ بـالـزِّنَـادِ

٤ ويومَ الخَيلِ قَـدْ سَفَـرَتْ وَكَفَّـتْ رِدَاءَ العَصْبِ عَـنْ رَتَـلٍ بُـرادِ

٥ وعَـنْ نَجْلاءَ تَـدْمَـعُ فـي بَيَـاضٍ إذا دَمَعَـتْ وتَنْظُـرُ فـي سَـوادِ

٦ وعَنْ مُتَكَاوِسٍ في العَقْـصِ جَثْـلٍ أثيـثِ النَّبْـتِ ذي عُـذَرٍ جِعَـادِ

٧ وَغَـاضِـرَةُ الغَـدَاةَ وإنْ نـأتْنـا وأصبَـحَ دُونَهـا قُطْـرُ البِلادِ

٨ أحَـبُّ ظَعينَـةٍ، وَبَنَـاتُ نَفْسـي إليَهْـا لَـوْ بَلِلْـنَ بهـا صَـوَادي

٩ وَمِـنْ دُونِ الّذي أمَّلْـتُ وُدّاً ولَـوْ طـالبْتُهـا خَـرْطُ القَتَـادِ

١٠ وقـالَ النَّـاصِحُـون تَحَـلَّ منهـا بِبَـذْلٍ قَبْـلَ شِيمَتِهَـا الجَمَـادِ

١١ فـإنّـكَ مُـوشِـكٌ ألاّ تَـرَاهَـا وتَعْـدُوَ دُونَ غَـاضِـرَةَ العَـوادي

١٢ فقـدْ وَعَـدَتْـك لَـوْ أقبَلْـتَ وُدّاً فَلَـجَّ بِـكَ التَّـدَلُّـلُ فـي تعَـادِ

---

(٢) أغاضر: يا غاضرة. الجنوء: مصدر جنأ أي أكبّ. العائدات: اللواتي يزرن المريض.

(٣) أويت لعاشق: رققتِ له ورحمْتِهِ. لم تشكميه: لم تجزيه وتعطيه. تلذّع: تتلذّع أي تحترق. الزّناد: عود يقدح منه النّار. نوافذه: جوانحه.

(٤) الخيل: أراد به موضعاً بالمدينة اسمه بقيع الخيل. كفّت: ضمّت. العصب: نوع من الثياب المخطّطة. رتل: حسن التنضيد، يعني أسنانها. براد: بارد.

(٥) وعن نجلاء: أي كفّت رداء العصب عن عين نجلاء.

(٦) متكاوس: ملتّف. العقص: الضّفيرة. جثل: كثير ملتفّ. أثيث: كثير. العذر: خصلات الشَّعر. جعاد: فيها التواء.

(٧) غاضرة: اسم امرأة. القطر: الناحية، الجهة.

(٨) بنات نفسي: أفكاري. بللن بها: ظفرن بها ووصلنَ إليها. صوادي: ظامئات، عطاش.

(٩) دون هذا خرط القتاد: من خرطت الورق اذا حتتّه وهو أن تقبض على أعلاه ثمّ تمرّ يدك عليه إلى أسفله، والقتاد شجر ذو شوك مثل الإبر ينبت بنجد وتهامة.

(١٠) تحلَّ: من حليت بكذا إذا أصبت. الجماد: البخيل.

(١١) موشك: اسم فاعل من أوشك، واستعماله قليل. العوادي: الأشغال التي تصرفك عن الشيء.

(١٢) لجّ بك: ألحّ عليك. التعادي: توالي القوم وتتابعهم.

١٣ فـأسْـرَرْتُ النَّـدامَـةَ يـوْمَ نَـادَى بِـرَدِّ جِمَـالِ غَـاضِـرَةَ المُنَــادي
١٤ تَمَـادى البُعْـدُ دونَهُـمُ فـأمْسَـتْ دُمُـوعُ العَيْـنِ لَـجَّ بهـا التّمـادي
١٥ لَقَـدْ مُنِـعَ الرُّقَــادُ فبِــتُّ لَيْلـي تُجَـافِيني الهُمـومُ عَـنِ الوِسَـادِ
١٦ عَـدَانـي أنْ أزُورَكَ غَيـرَ بُغْـضٍ مُقَـامُـكِ بَيْـنَ مُصْفَحَــةٍ شِـدَادِ
١٧ وإنّــي قَــائِــلٌ إنْ لَــمْ أزُرْهُ سَقَـتْ دِيَـمُ السَّواري والغَـوَادِي
١٨ مَحَـلَّ أخـي بنـي أسَـدٍ قَنَـوْنـا إلـى يَبَــةٍ إلـى بَـرْكِ الغِمـادِ
١٩ مُقِيـمٌ بـالمَجَـازَةِ مِـنْ قَنَـوْنَـا وأهْلُـكَ بـالأجَيْفِـرِ والثِّمـادِ
٢٠ فَلا تَبْعَـدْ فكُـلُّ فَتًـى سَيَـأْتـي عَلَيْـهِ المَـوْتُ يَطْـرُقُ أو يُغَـادِي
٢١ وكُـلُّ ذَخِيـرَةٍ لا بُـدَّ يَـوْمـاً وَلَـوْ بقِيَـتْ تَصِيـرُ إلـى النَّفـادِ
٢٢ يَعِــزُّ عَلـيَّ أنْ نَغْـدُو جَميعـاً وتُصْبِـحَ ثَـاوِيـاً رَهْنـاً بِـوادِ
٢٣ فلَوْ فُودِيـتَ مِـنْ حَـدَثِ المَنـايـا وقَيْتُـكَ بـالطَّـرِيـفِ وَبـالتِّلادِ

---

(١٣) أسررت: كتمت.

(١٤) لجّ: ألحّ.

(١٥) تجافيني: تبعدني. الوساد: الوسادة، المخدّة.

(١٦) عداني: صرفني. مصفحة: هي صفائح القبر أي حجارته.

(١٧) ديم: جمع ديمة، المطر الذي يتساقط في سكون. السّواري والغوادي: سحائب المساء والصباح.

(١٨) محلّ: مفعول به لفعل سقت. قنونا: وادٍ من أودية السّراة وبالقرب منها قرية يقال لها «يَبَت» أو «يَبَة». برك الغماد: موضع وراء مكّة بخمس ليالٍ مما يلي البحر.

(١٩) المجازة: الطريق إذا قطع من أحد جانبيه أو المعبر. قنونا: مرّ ذكرها في البيت السّابق. الأجيفر: موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس، والأصمعي يقول لبني أسد. الثّماد: موضع في ديار بني تميم.

(٢٠) لا تبعد: لا تهلك، لا تمت. يطرق: يأتي ليلاً. يغادي: يأتي صباحاً وهنا بمعنى نهاراً.

(٢١) النّفاد: هنا بمعنى الزّوال.

(٢٢) ثاوياً: مقيماً.

(٢٣) فوديت: نجوت. الطّريف والتّلاد: الجديد والقديم.

٢٤ لَقَدْ أسمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حيّاً ... ولَكِنْ لا حَيَاةَ لِمَنْ تُنادي

— 42 —

دخل كثير على عبد العزيز، وهو مريض، وأهله يتمنّون أن يضحك. فلمّا وقف عليه قال له: «والله أيها الأمير لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم لدعوت ربي أن ينصرف ما بك إليّ ولكني أسأل الله لك أيها الأمير العافية ولي في كنفك النعمة»، فضحك وأمر له بالمال؛ فقال كثير: [من الوافر]

١ وَنَعُودُ سَيِّدَنا وسَيِّدَ غيرِنَا ... لَيْتَ التَّشَكِّيَ كَانَ بالعُوَّادِ

٢ لَوْ كَانَ يَقْبَلُ فِدْيَةً لفَدَيْتُهُ ... بالمُصْطفى مِن طارِفِي وَتِلادي

— 43 —

كتب عبد الملك إلى محمد بن الحنفيّة «إنه قد بلغني أن ابن الزبير قد ضيق عليك وقطع رحمك واستخف بحقك حتى تبايعه، فقد نظرت لنفسك ودينك وأنت أعرف به حيث فعلت ما فعلت وهذا الشأم فانزل منه حيث شئت فنحن مكرموك وواصلو رحمك وعارفو حقك» فقال ابن الحنفيّة لأصحابه: هذا وجه نخرج إليه؛ فخرج ومعه كثّير عزّة ينشد:

١ أنتَ إمامُ الحقِّ لسنا نَمْتَري

---

(٢٤) البيت يضرب مثلاً لمن تعظه فلا يقبل الموعظة، وأصله في الرثاء.

---

(١) نعود: نزور. العوّاد: الزوّار.

(٢) الطارف: المال الجديد. التلاد: المال القديم.

---

(١) امترى في الشيء: شكّ فيه.

٢ أنتَ الذي نرضى بهِ ونرتَجي

٣ أنتَ ابنُ خيرِ النّاس مِن بعد النبي

٤ يا ابن عليّ سر ومَنْ مثلُ علي

٥ حتى تحلَّ أرضَ كلبٍ وبلي

وقد ورد هذا الرجز في فرق القميّ على النحو الآتي وفيه إشارة إلى أنّه قيل بعد موت ابن الحنفيّة: [من الرجز]

١ ما مت يا مهديٌّ يا ابنَ المهتدي

٢ أنت الذي نرضى بهِ ونرتجي

٣ أنتَ ابنُ خيرِ النّاس من بعد النّبي

٤ أنتَ إمامُ الحقّ لسنا نمْتري

٥ يا ابنَ عليّ سر ومَن مثل علي

٦ وسِر بنا مصاحباً لا تنثني

٧ حتى نحاذي أرضَ كلبٍ وبلي

٨ ثمّت أقبلْ، جاركَ الله العلي

٩ بيّنْ لنا وانصح لنا يا ابن الوصي

١٠ بيّنْ لَنا مِن دينِنا ما نَبتغي

---

(٥) كلب وبلي: أسماء قبائل.

---

(٨) ثمّت: ظرف مكان بمعنى هناك.

قافية الرّاء

— 44 —

اختلف النسابون في خزاعة فنسبهم ابن إسحاق ومصعب الزبيري في مضر، وقال آخرون انهم من ولد عمرو بن لحيّ، قال ابن الكلبيّ: عمرو بن لحيّ هو أبو خزاعة كلها، منه تفرقت؛ وعلى هذا القول الثاني تكون خزاعة قحطانية. وكان بنو مليح بن عمرو من خزاعة يعدّون أنفسهم أبناء الصلت بن النضر بن كنانة، ومن هؤلاء كثير عزّة، غير أن أكثر علماء النسب يقولون إن الصلت لم يعقب. قال هشام الكلبي: ولا أعرف معنى لقول من زعم أن الصلت يجمع خزاعة وجهاً ولم أرَ عالماً إلا منكراً لذلك، ورأيت أبي والشرقي يثبتان أن الصلت ابن النضر درج (أنساب الأشراف ١ :٣٩)؛ وحدث عبد الرحمن بن الخضر الخزاعي عن ولد جمعة بنت كثير أنّه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كثير أن عبد الملك قال لكثير: ويحك الحق بقومك خزاعة، فأخبره أنّه من كنانة قريش، فأنشده كثير الأبيات التالية، وقد ذكر ابن هشام في السيرة (١ :٩٤) أنها من قصيدة له، ولكن بقية أبياتها لم تصلنا. [من الطويل]

١ أَلَيْسَ أبي بالصَّلْتِ أمْ لَيْسَ أُسْرَتي   لكُلِّ هِجانٍ مِن بني النَّضرِ أزْهرا

(١) الصلت بن النضر بن كنانة: والمعنى أليس أبي بالنضر بل أليس والدي لكل نجيب، والنضر أبو قريش وهو النضر بن كنانة وخزاعة من الأزد، فحقق كثير وهو من خزاعة أنّها من =

٢ لَبِسْنَا ثِيَابَ العَصْبِ فاخْتَلَطَ السَّدَى   بنا وَبِهِمْ والحَضْـرَمـيَّ المُخصَّـرا
٣ إذا مَا قَطَعْنَا مـن قُـرَيشٍ قَـرابَـةً   بأيّ نِجَادٍ تَحْمِلُ السَّيْـفَ مَيْسـرا
٤ أَبَيتُ التي قَدْ سُمْتَنـي وَنَكَـرْتُهَـا   وَلَوْ سُمْتَهَـا قبلـي قَبيصَـةَ أنْكَـرَا
٥ فإن لَم تَكُونُوا من بَني النَّضرِ فاتْرُكُوا   أرَاكاً بأذْنَابِ الفَـوَائِـجِ أخْضـرا

— 45 —

وقال: [من الطويل]

١ غَشِيتُ لِلَيْلَـى بـالبَـرُودِ مَسَـاكِنـاً   تَقادَمْنَ فاستَنَّتْ عليهـا الأعَـاصِـرُ
٢ وأوْحَشْنَ بَعْدَ الحـيِّ إلا مَسَـاكِنـاً   يُـرَيْـنَ حَـدِيثـاتٍ وَهُـنَّ دَوَاثِـرُ
٣ وَكَانَتْ إذَا أخْلَـتْ وَأَمْـرَعَ رِبْعُهـا   يَكُونُ عليها من صَدِيقِـكَ حـاضِـرُ
٤ فَقَدْ خَفَّ منها الحـيُّ بَعْـدَ إقَـامَـةٍ   فَمَـا إنْ بهـا إلا الرِّيـاحُ العـوائِـرُ
٥ كَأنْ لَم يُـدَمِّنْهـا أنيسٌ وَلَـمْ يَكُـنْ   لهـا بَعْـدَ أيّـام الهِـدَمْلَـةِ عَـامِـرُ

= قريش من ولد النضر بن كنانة. الهجان: الخالص والكريم الحسب.

(٢) العصب: برود اليمن لأنّها تصبغ بالعصب ولا ينبت العصب إلاّ باليمن ولا الورس ولا اللّبان. السَّدى: ما مدّ من خيوط الثوب طـولاً. الحضرمّي: النعال. المخصّر: التي تضيق من جانبيها كأنّها ناقصة الخصرين.

(٣) ميسرا: يا ميسرة، ابن أم حدير من خزاعة. نجاد السّيف: محمله.

(٤) أبيتُ: رفضت. نكرتها: جهلتها. قبيصة: هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي.

(٥) الأراك: شجر الأراك. الفوائج: عيون ماء بأستار.

---

(١) البرود: اسم موضع قرب رابغ، ورابغ بين الجحفة وودّان. استنّت: جرت.

(٢) أوحشن: صرن قفراً. حديثات: جديدات. دواثر: دارسة، ممحوّة.

(٣) أخلت: كثر خلاها أي بقولها وعشبها. أمرعت: أخصبت. صديقك: حبيبك. الحاضر: القوم إذا حضروا، ويعني أيضاً المقيم.

(٤) خفّ: رحل. العوائر: جمع عائرة وهي المنطلقة.

(٥) يدمّنها: يسوّدها ويترك فيها الآثار. الأنيس: النّاس. الهدملة: الدهر القديم. العامر: المقيم.

٦ وَلَمْ يَعْتَلِجْ فـي حَـاضِـرٍ مُتَجـاورٍ قفا الغَضْيِ مِنْ وَادِي العُشيرَةِ سَامِرُ
٧ سَقَى أُمَّ كُلثومٍ عَلـى نـأي دَارِهَـا ونِسْوَتَها جَـوْنُ الحَيَـا ثُـمَّ بَـاكـرُ
٨ أَحَـمُّ رَجُـوفٌ مُستهِـلٌّ ربَـابُـهُ لـهُ فِـرَقٌ مُسحَنْفِـراتٌ صَـوادِرُ
٩ تَصعَّدَ فـي الأَحْنَـاء ذو عَجْـرَفِيَـةٍ أَحَمُّ حَبَرْكَـى مُـرجِـفٌ مُتَمَـاطِـرُ
١٠ وأَعْرَضَ مِنْ ذَهْبَان مُعْرَوْرِفَ الذُّرى تَـرَيَّـعُ منـهُ بـالنِّطـافِ الحَـوَاجِـرُ
١١ أَقَـامَ عَلَـى جُمْـدَانَ يَـوْمـاً وَلَيلَـةً فجُمـدانُ مِنـهُ مـائـلٌ مُتقـاصِـرُ
١٢ وَعَرَّسَ بالسَّكْرَان يَوْمَيْنِ وارتَكَـى يَجُرُّ كَمَا جـرَّ المَكِيـثُ المُسَـافـرُ
١٣ بذي هيدَبٍ جَـوْنٍ تُنَجِّـزُهُ الصَّبَـا وَتَدْفَعُـهُ دَفْـعَ الطَّلا وَهْـوَ حَـاسِـرُ
١٤ وَسُيِّـلَ أكنـافُ المَرَابِـدِ غُـدْوَةً وسُيِّـلَ منـهُ ضـاحِـكٌ وَالْعَـوَاقِـرُ

(٦) الاعتلاج: المضاربة والمغالبة والمصارعة. الحاضر: بمعنى الجمع وكثرة العدد. قفا الغضي: جبل صغير. وادي العشيرة: هي من ناحية ينبع بين مكّة والمدينة. سامر: فاعل للفعل «يعتلج».

(٧) جون: صفة لمحذوف، أي سحاب أ. ود. الحيا: المطر.

(٨) أحمّ: أسود. الرّجوف: الكثير الرّعد. مستهل: منسكب، منصبّ. الرّباب: السّحاب. فرق: قطع السّحاب. مسحنفرات: المنصبّ بغزارة.

(٩) الأحناء: جمع حنو أي الجانب. العجرفية: السّرعة. أحمّ: أسود. حبركى: طويل الظهر قصير الرجلين، شبّه السّحاب برجل هذه أوصافه. متماطر: يمطر ساعة ويكفّ أخرى.

(١٠) ذهبان: جبل لجهنية أسفل من ذي المروة بينه وبين السقيا. معروف: عالي العرف، شبّهه بالفرس. تريّع: تتريّع أي تحير وتخاف. النّطاف: جمع نطفة وهي الماء الصافي قليلاً كان أم كثيراً. الحواجر: النّواحي.

(١١) جمدان: جبل بين ينبع والعيص على ليلة من المدينة. متقاصر: لعل الأصوب «متناصر»، أي مُدَّت أوديته بالماء وتناصرت.

(١٢) عرّس: أقام ونزل في المكان. السّكران: موضع. ارتكى: عوّل واعتمد. المكيث: المقيم الثّابت.

(١٣) هيدب السّحاب: ما تراه كأنّه خيوط عند انصباب المطر. تنجّزه: تعجّله. الطّلا: ولد الظبية الصغير. الحاسر: المتعب.

(١٤) أكناف: جوانب. المرابد: موضع يقال له ذات المربد بعقيق المدينة. ضاحك: جبل في =

١٥ ومنهُ بصَخْرِ المَحْوِ وَدْقُ غمامةٍ لهُ سَبَلٌ واقْورَّ مِنْهُ الغفائرُ

١٦ وَطَبّقَ مِن نحوِ النَّجيلِ كأنّهُ بأَلْيَلَ لمّا خَلّفَ النّخْلَ ذامِرُ

١٧ وَمَرَّ فأرْوى يَنْبُعاً فَجُنُوبَهُ وقد جِيدَ منهُ جَيْدَةٌ فَعَباثِرُ

١٨ لَهُ شُعَبٌ مِنها يَمانٍ وريّقٌ شآمٍ وَنَجْدِيٌّ وآخَرُ غائِرُ

١٩ فلمّا دنا لِلأَبْتَيْنِ تَقُودُهُ جَوافِلُ دُهْمٌ بالرَّبابِ عَواجِرُ

٢٠ رَسَا بينَ سَلْعٍ والعَقيقِ وَفَارعٍ إلى أُحُدٍ للمُزْنِ فيهِ غَشَامِرُ

٢١ بِأَسْحَمَ زَحَّافٍ كأنَّ ارْتجَازَهُ تَوعُّدُ أجْمَالٍ لهُنَّ قَراقِرُ

٢٢ فأمسى يَسُحُّ الماءَ فُوْقَ وُعَيْرَةٍ لهُ باللّوَى والوادِيَيْنِ حَوائِرُ

= أعراض المدينة. العواقر: جبال في أسفل الفرش (فرش ملل) وعن يسارها وهي الى جانب جبل يقال له صفر من أرض الحجاز.

(١٥) المحو: موضع بناحية ساية. الودق: التماع البرق. السّبل: المطر النازل من السّحاب قبل أن يصل الى الأرض. اقورّ: استرخى. الغفائر: جمع غِفارة، السّحابة كأنها فوق سحابة.

(١٦) النّجيل: اسم عين قرب المدينة على خمسة أميال. أليل: ويقال «يَلْيل» موضع بين وادي ينبع والعذيبة، والعذيبة قرية بين الجار وينبع. الذامر: الغاضب الصّاخب.

(١٧) ينبع: راجع البيت السّابق. جيد: مطر. جيدة: موضع بالحجاز وقد رواه بعضهم «حيدة» بالحاء المهملة.

(١٨) الشعب: ما عظم من سواقي الأودية. اليماني: الذي يسيل الى ناحية اليمن. الرّيق: كلّ شيء أفضله ويقال ريّق الشّباب وريّق المطر. شآمٍ ونجدي وغائر: نسبة الى الشّام ونجد والأغوار.

(١٩) اللابتان: الحرّتان. جوافل: رياح سريعة. الرّباب: السّحاب الأبيض. عواجر: مارّة بسرعة.

(٢٠) سلع: جبل متّصل بالمدينة. العقيق: موضع. فارع: حصن بالمدينة. أحد: جبل قريب من المدينة. غشامر: جمع غشمرة، من قولهم غشمر السّيل إذا أقبل مندفعاً.

(٢١) أسحم: أسود. الارتجاز: صوت الرّعد. القراقر: جمع قرقرة، صوت البعير وهديره إذا ردّده.

(٢٢) الوعيرة: حصن من جبال الشراة قرب وادي موسى. اللّوى: ما التوى وانعطف من الرّمل. الواديان: بلدة في جبال الشّراة بقرب مدائن لوط. حوائر: جمع حائر وهو مجتمع الماء من الأمطار.

٢٣ فَـأَقْلَـعَ عَـنْ عُشٍّ وأصْبـحَ مُـزْنُـهُ   أَفَـاءً وآفـاقُ السَّمــاءِ حَــوَاسِــرُ
٢٤ فَكُـلُّ مَسيـلٍ مِـنْ تِهـامـةَ طَيِّــبٍ   تَسِيـلُ بـهِ مُسلَنْطَحَـاتٌ دَعَــائِــرُ
٢٥ تُقَلِّـعُ عُمْـرِيَّ العِضَــاهِ كَــأَنَّهـا   بِـأَجْـوَازِهِ أُسْـدٌ لهُـنَّ تَـزَاؤرُ
٢٦ يُغادِرُ صَرْعَـى مـن أَرَاكٍ وتَنْضُـبٍ   وَزُرْقـاً بـأَثْبَـاجِ البِحَـارِ يُغـادِرُ
٢٧ وَكُلُّ مَسِيلٍ غارَتِ الشَّمْسُ فَـوْقَـهُ   سَقِـيُّ الثُّـرَيَّـا بَيْنـهُ مُتجـاوِرُ
٢٨ ومـا أُمُّ خِشْـفٍ بـالعَلاَيَـةِ شَـادِنٍ   أصاعَ لها بَـانٌ مِـنَ المَـرْدِ نـاضِـرُ
٢٩ تـرَعّـى بـهِ البَـرْدَيْـنِ ثُـمَّ مَقِيلُهـا   ذُرى سَلَـمٍ تـأوِي إليهـا الجـآذِرُ
٣٠ بأَحْسَـنَ مِـنْ أُمّ الحُـوَيـرثِ سُنّـةً   عَشِيَّـــةَ دَمْعِـي مُسبَـلٌ مُتبـادِرُ

---

(٢٣) أقلع: انصرف. عشّ: أراد به ذا العش من أودية العقيق من نواحي المدينة. الأفاء: السّحاب لا ماء فيه. حواسر: منكشفة غير مستترة.

(٢٤) مسلنطحات: أودية أو بطاح عريضة وواسعة من قولهم اسلنطحت البطحاء إذا اتّسعت. دعاثر: أراد دعاثير فحذف الياء للضرورة والدعاثير مفردها دعثور، أي الحوض يحفر حفراً ولا يبنى.

(٢٥) قلّع: قلع بكثرة. العُمريّة: الشجرة القديمة وقد عمّرت طويلاً. العضاة: كلّ شجر له شوك. الأجواز: الأوساط. التزاؤر: زئير الأسود.

(٢٦) الأراك والتنضب: نوعان من شجر العضاة الكثير الشّوك. زرقاً: صفة لموصوف محذوف هو الماء. أثباج: أوساط. البحار: الأرض الواسعة شبّهها بالبحار، مفردها بحرة.

(٢٧) غارت: غربت. السقيّ: السّحابة العظيمة القطر الشديدة الوقْع.

(٢٨) أمّ خشف: الظبية والخشف ولدها أوّل ما يولد. العِلاية: اسم موضع. الشادن: ولد الغزال طلع قرناه واستغنى عن أمّه. المَرد: ثمر الأراك.

(٢٩) ترعّى: تترعّى، ترعى. البردان: الغداة والعشيّ نصبه على الظرفيّة. السّلَم: شجر من العضاة، ذراها، أعاليها. الجآذر: جمع جؤذر، ولد البقرة الوحشيّة.

(٣٠) السُنّة: الوجه. مسبل: جارٍ. متبادر: متسارع.

وقال: [من الطويل]

١ عفَا رَابِغٌ من أهْلِهِ فَالظَّوَاهِرُ ... فَأَكْنَافُ هَرْشَى قَدْ عَفَتْ فالأَصَافِرُ
٢ مَغَانٍ يُهَيِّجْنَ الحَلِيمَ إلى الصِّبا ... وَهُنَّ قَدِيماتُ العُهودِ دَوَاثِرُ
٣ لِلَيْلى وَجَاراتٍ للَيْلى كأَنَّها ... نِعاجُ المَلا تُحْدَى بِهِنَّ الأباعِرُ
٤ بمَا قَدْ أرَى تِلْكَ الدِّيارَ وأهلَهَا ... وَهُنَّ جَمِيعَاتُ الأنيسِ عَوَامِرُ
٥ أجَدَّك أنْ دَارُ الرَّبَابِ تَبَاعَدَتْ ... أوِ انبتَّ حَبْلٌ أنَّ قَلْبَكَ طَائِرُ
٦ أفِقْ قَدْ أفَاقَ العَاشِقُون وَفَارَقُوا الـ ... هَوى واسْتَمَرَّتْ بالرِّجالِ المَرَائِرُ
٧ وَهَبْها كَشَيءٍ لَمْ يَكُنْ أو كَنَازِحٍ ... بِهِ الدَّارُ أو مَنْ غَيَّبَتْهُ المَقَابِرُ
٨ أمُنقَطِعٌ يَا عَزَّ مَا كَانَ بيْننا ... وشاجَرَني يَا عَزَّ فيكِ الشَّواجِرُ
٩ إذا قِيلَ هَذي دَارُ عَزَّةَ قَادَنِي ... إليها الهوى واستَعْجَلَتْني البَوَادِرُ
١٠ أصُدُّ وبيْ مِثْلُ الجُنُونِ لِكَي يَرَى ... رُواةُ الخَنَا أنِّي لِبَيْتِكِ هَاجِرُ

(١) رابغ: وادٍ يقطعه الحاجّ بين البزواء والجحفة دون عَزْور. الظواهر: موضع. الأكناف: الجهات والنواحي. هرشى: ثنيّة في طريق مكّة قريبة من الجحفة يرى منها البحر. الأصافر: ثنايا سلكها النبي (صلعم) في طريقه الى بدر.

(٢) مغانٍ: منازل. دواثر: جمع داثر أي دارس وبالٍ وعافٍ.

(٣) نعاج: إناث البقر الوحشيّة. الملا: اسم موضع. تحدى: تساق. الأباعر: جمع بعير أي الجمال.

(٤) جميعات الأنيس: مجتمعات الإقامة.

(٥) انبتّ: انقطع. هذا البيت والبيتان التاليان ربما لم تكن من شعر كثيّر. فقد جاء البيت (رقم ٥) في شعر نسبه الزبير بن بكّار لحسّان بن يسار التغلبي، والبيتان الآخران بعده وردا في قصيدة لجميل بثينة.

(٦) المرائر: الحبال الشّديدة الفتل، وهنا بمعنى عزّة النفس.

(٧) نازح: مبتعد.

(٨) شاجرني: نازعني. الشواجر: الموانع والشواغل.

(٩) البوادر: المسرعة أي الرواحل السريعة.

(١٠) الخنا: قبيح الكلام وفحشه.

١١ فَيَا عَزَّ لَيْتَ النـأيَ إذْ حَـالَ بينَنـا   وبينكِ باعَ الوِدَّ لـي مِنْـكِ تَـاجِـرُ
١٢ وَأَنـتِ التـي حَبَّبْـتِ كـلَّ قصيـرَةٍ   إليَّ ومـا يـدري بـذاكَ القصـائـرُ
١٣ عَنِيتُ قَصِيراتِ الحِجَالِ وَلَـمْ أُرِدْ   قِصارَ الخُطا شَـرُّ النِّسَـاءِ البَحَـاتـرُ

— 47 —

قال كثير عزّة يرثي عبد العزيز بن مروان: [من الطويل]

١ أيادي سبا يا عَزَّ ما كنتُ بعـدكُـمْ   فلمْ يحْـلَ للعَيْنَيْـنِ بعـدَكِ مَنظـرُ

★ ★ ★

٢ وَقَد زَعَمَتْ أنِّـي تَغَيَّـرْتُ بَعْـدَهَـا   ومَـن ذَا الَّــذِي يَـا عَـزَّ لا يَتَغَيَّـرُ
٣ تغيّـرَ جِسْمِـي والخَلِيقَـةُ كـالَّـذي   عَهِدْتِ ولم يُخْبَـرْ بِســرِّكِ مُخبَـرُ

★ ★ ★

٤ أبعد ابنِ ليلى يَأْمَلُ الخُلْـدَ وَاحِـدٌ   مِنَ النَّاس أوْ يَـرجُـو الثَّـرَاءَ مُثَمِّـرُ

---

(١١) النأي: البعد. ويروى هذا البيت على الشكل التالي:

ألا ليـت حظّي منـكِ يـا عـزّ أنّنـي   إذا بنـتُ بـاع الصبـر لـي منـك تـاجـر

ويروى أيضاً:

فيـا ليـت عـزّ النـأي إذ حـال بيننـا   . . . .

(١٢) القصيرة: المحبوسة في البيت المحجوبة عن النّاس.

(١٣) قصيرات الحجال: النّساء المقصورات في الخدور. البحاتر جمع بحتر، أي القصير المجتمع الخلق.

---

(١) أيادي سبا: مثل يضرب في التفرق وهنا بمعنى مبدّد الأفكار والخواطر. لم يحل: لم يرق للعينين.

(٣) الخليقة: طبيعة الانسان.

(٤) المثمّر: الذي يجمع المال ويحفظه وينمّيه.

— 48 —

وقال: [من الطويل]

١ أَلَمْ تَسْمَعِي أَيْ عَبْدَ في رَوْنَقِ الضُّحَى ... بُكـاءَ حَمَـامـاتٍ لَهُـنَّ هَـدِيـرُ

٢ بكَيْنَ فهَيَّجْنَ اشْتِيـاقـي وَلَـوْعَتـي ... وَقَدْ مَـرَّ مِـن عَهْـدِ اللّقَـاءِ دُهُـورُ

— 49 —

وقال أيضاً: [من الوافر]

١ أَهَـاجَـكَ بـالعَبَـوْقَـرَةِ الدِّيَـارُ ... نَعَـمْ مِنّـا مَنـازِلُهـا قِفـارُ

٢ فَمَـرْخُ مُخَلَّـصٍ فمَحَنَّبَـاتٌ ... عَفَتْهَـا الرِّيـحُ بَعْـدَكِ والقِطـارُ

— 50 —

وقال: [من الطويل]

١ أَمِـنْ أُمِّ عَمْـروٍ بـالخَـرِيـقِ دِيَـارُ ... نَعَـمْ دَارِسـاتٌ قَـدْ عَفَـوْنَ قِفـارُ

٢ وأُخرى بِذِي المَشْرُوحِ مِنْ بَطْنِ بِيشَةٍ ... بِهَـا لِمَطَـافِيـلِ النِّعَـاجِ صِـوارُ

٣ تَرَاها وَقَـدْ خَـفَّ الأَنِيسُ كَـأَنَّهـا ... بِمُنْـدفِـعِ الخُـرطُـومَتَيْـنِ إِزارُ

---

(١) عبد: ترخيم عبدة، اسم امرأة. رونق الضّحى: إشراقه وضوؤه.

---

(١) العبوقرة: اسم موضع، قال الهجري، هو جبل في طريق المدينة من السيالة قبل ملل بميلين. قفار: خالية.

(٢) مرخ مخلّص: موضع بالشّام. محنّب: بئر وأرض بالمدينة ولعلّ محنّبات آبار هنالك. القطار: القطر، المطر.

---

(١) الخريق: وادٍ عند الجار متصل بينبع. عفون: زالت آثارهن. قفار: خالية.

(٢) ذو المشروح: موضع بنواحي المدينة. بيشه: اسم موضع. المطافيل: التي معها أطفال. النعاج: البقر الوحشيّة. صوار: قطيع.

(٣) خفّ الأنيس: ارتحل النّاس. الخرطومتان: شعبتان في ديار بني أسد. إزار: ثوب.

٤ فأقسمْتُ لا أنْسَاكِ مَا عِشْتُ لَيلَةً   وإنْ شَاحَطَتْ دارٌ وشَطَّ مَزارُ
٥ أُحِبّكِ مَا دامتْ بنَجْدٍ وَشِيجةٌ   وَمَا ثَبَتَتْ أُبْلَى بِهِ وَتِعَارُ
٦ وَمَا استنَّ رَقْرَاقُ السَّرَابِ وَمَا جَرَتْ   منَ الوَحْشِ عَصْمَاءُ اليَدينِ نَوَارُ
٧ وَمَا سَالَ وادٍ مِنْ تِهامَة طيّبٌ   بِهِ قُلُبٌ عَادِيَّةٌ وكِرارُ
٨ سَقَاهَا مِنَ الجَوْزَاء والدَّلْوِ خِلَفةً   مَبَاكيرُ لم يُنْدِبْ بِهنَّ صِرَارُ
٩ بِدُرّةِ أبكارٍ مِنَ المُزْنِ مَا لَهَا   إذا ما استَهَلَّتْ بالنّجادِ غوارُ

★ ★ ★

١٠ وَفيهَا عَلَى أنَّ الفُؤادَ يُحِبُّهَا   صُدُودٌ إذا لاَقَيْتُهَا وَذِرَارُ

★ ★ ★

١١ وإنّي لآتيكُمْ عَلَى كَلِمِ العِدَا   وأَمْشي وَفِي المَمْشَى إليكِ مُشَارُ

---

(٤) شاحط: بَعُد. شطّ: بَعُد أيضاً.

(٥) الوشيجة: ضرب من النّبات. أُبلى: جبال على طريق الآخذ من مكّة الى المدينة على بطن نخل. تعار: جبل في قبليّ أُبلى.

(٦) استنّ السّراب: اضطرب. عصماء: في يديها بياض. نوار: نافرة.

(٧) القُلُب: جمع قليب أي البئر. العاديّة: القديمة المنسوبة إلى عاد. الكرار: جمع كرّ، أي الموضع الذي يجتمع فيه الماء الآجن ليصفو.

(٨) الجوزاء والدلو: من نجوم المطر. خلفة: على التّوالي. المباكير: أول مطر الربيع. يندب: يؤثر. الصّرار: خيط يشدّ فوق ضرع النّاقة لئلا يرضعها ولدها. يعني سقتها أمطار غزيرة غير شحيحة.

(٩) المزن: المطر. النجاد: من نجد. غوار: من الأغوار.

(١٠) الذرار: الغضب والإعراض والإنكار.

(١١) كلم: كلام. مشار: ربّما كانت مصدراً من فعل «أشار».

— 51 —

وقال: [من الوافر]

١ سَـأَتْـكَ وَقَـدْ أَجَـدَّ بِهَـا البُكُـورُ   غَـدَاةَ البَيْـنِ مِـنْ أَسْمَـاءَ عِيـرُ
٢ إذا شَـرِبَـتَ بِبَيْـدَحَ فـاسْتَمَـرَّتْ   ظَعَـائِنُهَـا عَلَـى الأَنْهَـابِ زُورُ
٣ كَـأَنَّ حُمُـولَهَـا بِمَلاَ تَـرِيـمٍ   سَفِيـنٌ بـالشُّعَيْبَـةِ مَـا تَسِيـرُ
٤ قَوارِضُ هُضْبِ شَـابَـةَ عَـنْ يَسَـارٍ   وعَـنْ أَيْمَـانِهـا بـالمَحْـوِ قُـورُ
٥ فَلَسْـتَ بِـزَائـلٍ تَـزْدَادُ شَـوْقـاً   إلـى أَسْمَـاءَ مَـا سَمَـرَ السَّمِيـرُ
٦ أتنْسَـى إذْ تُـوَدِّعُ وَهْـيَ بَـادٍ   مُقَلَّـدُهَـا كمـا بَـرَقَ الصَّبِيـرُ
٧ وَمَحْبِسُنَـا لَهَـا بعُفَـارِيَـاتٍ   لِيَجْمَعَنَـا وَفَـاطِمَـةَ المَسِيـرُ

— 52 —

وقال: [من الطويل]

١ مَا بَالُ ذَا البيتِ الذي كُنْتَ آلفاً   أَنَـارَكَ فيـهِ بَعْـدَ إلفِـكَ نـائِـرُ
٢ تَـزُورُ بُيـوتـاً حَـوْلَـهُ مَـا تُحِبُّهَـا   وتَهْجُرُهُ، سَقْياً لِمَنْ أَنْـتَ هَـاجِـرُ
٣ مُجَاوِرَةٌ قوماً عِدىً في صُـدورِهِـمْ   أَلا حبّـذا مِـنْ حُبِّهَـا مَـنْ تُجَـاوِرُ

---

(١) سأى: مقلوب عن ساء وهو بمعناه. البكور: الرحيل باكراً. البين: البعد. العير: القافلة.

(٢) بيدح: اسم موضع. الأنهاب: موضع في ديار بني مالك بن حنظلة. زور: جمع زوراء، أي مائلة.

(٣) تريم: اسم موضع. الشعيبة: قرية على شاطىء البحر بطريق اليمن.

(٤) قوارض: جمع قارضة اسم فاعل من قرض أي قطع واجتاز. شابة: جبل بنجد وقيل بالحجاز بحذاء الشعيبة. المحو: اسم موضع. قور: جمع قارة، أي الجبل الصغير.

(٥) الزائل: الليل الذي اختفت نجومه.

(٦) المقلّد: موضع القلادة من العنق. الصبير: السّحابة البيضاء الكثيفة.

(٧) محبسنا: من حبسه عن المسير إذا أوقفه. عفاريات: عُقَد بنواحي العقيق. ووردت «مجلسنا» مكان «محبسنا».

---

(١) أنار: ألقى النّائرة، أي الحقد والعداوة.

(٢) سقياً: دعاء بالخير.

قيل وفدت عزّة كثيّر على عبد الملك بن مروان، فلما دخلت سلمت فرد عليها السلام ورحب بها وقال: ما أقدمك يا عزّة، قالت: شدة الزمان وكثرة الألوان واحتباس القطر وقلة المطر، قال هل تروين لكثيّر:

وقد زعمت أني تغيّرت بعدها ومَن ذا الذي يا عزّ لا يتغيّر

قالت: لا أروي له هذا، ولكني أروي له قوله:

كأني أُنادي صخرة حين أعرضت من الصمّ لو تمشي بها العصم زلّتِ

فقال: ما كنت لتصيري إلى حاجة أو تهبي نفسك لي فأزوجك منه؛ قالت: الأمر إليك يا أمير المؤمنين، ما كنت لأزهد في هذا الشرف الباقي لي ما دامت الدنيا، أن يكون أمير المؤمنين وليي؛ فعظم بذلك قدرها عنده وأمر لها بمال وكتب إلى كثيّر وهو بالكوفة: أن اركب البريد وعجّل فإني مزوجك عزّة. فأتاه الكتاب وهو مضنى من الشوق اليها، فرحل فأقبل نحوها، فلما كان في بعض الطريق إذا هو بغراب على شجرة بانة، وإذا هو ينتف ريشه ويطايره، وكان شديد الطيرة، فلما رآه تطير وهمَّ بالانصراف، ثم غلبه شوقه فمضى وهو مكروب لما رأى، حتى أتى ماء لبني نهد، فإذا هو برجل يسقي إبله، فنزل عن راحلته واستظل بشجرة هناك، فأبصر النهديّ، فأتاه وسأله عن اسمه ونسبه، فانتسب له، فرحب به، فأخبره عما رأى في طريقه، فقال: أما الغراب فغربة، وأما البانة فبين، وأما نتف ريشه ففرقة، فاستطير لذلك وقال: [من الطويل]

١ رأيتُ غراباً ساقطاً فوْقَ بانَةٍ يُنَتِّفُ أعْلى ريشهِ ويُطايرُهُ

---

(١) البانة: نوع من الشّجر. يطايره: يفرّقه.

٢ فقُلْتُ ولَوْ أنّي أشاءُ زجَرْتُهُ بنَفْسيَ للنّهْديّ هلْ أنْتَ زاجرُهْ
٣ فقالَ غُرابٌ لاغْترابٍ من النّوى وفي البان بَيْنٌ من حبيبٍ تجاوِرُهْ
٤ فما أعْيَف النَّهْديَّ لا درَّ درُّهُ وأزجرَهُ للطّيْرِ لا عَزَّ ناصِرُهْ

— 54 —

وقال يرثي عبد العزيز بن مروان: [من الطويل].

١ أهَاجَتْكَ سَلْمَى أمْ أجَدَّ بُكُورُهَا وَحُفّتْ بأنْطَاكيّ رَقْمٍ خُدورُهَا
٢ عَلَى هَاجِرَاتِ الشّوْلِ قد خَفَّ خَطْرُهَا وأسلَمَهَا للظّاعِناتِ جُفُورُهَا
٣ قوارِضُ حَضْنَيْ بَطْنِ يَنْبُعَ غُدْوَةً قَوَاصِدُ شرْقيِّ العنَاقَيْنِ عِيرُهَا
٤ على جِلّةٍ كالهَضْبِ تَخْتَالُ في البُرى فأَحْمَالُها مَقصُورَةٌ وكُؤورُهَا

---

(٢) زجر الطير: التيّمن بسنوحها والتشاؤم ببروحها والسّانح هو الذي يأتي من جانب اليمين والبارح هو الذي يأتي من جانب اليسار. النهديّ: نسبة الى نهد، قبيلة من قبائل اليمن.

(٣) النوى: البعد. البين: البعد.

(٤) أعيف: من فعل عاف يعيف عيافة أي زجر. لادرّ درّه: دعاء عليه، بأن يجفّ اللبن في ضرع أنعامه.

---

(١) حُفّت: مجهول من حَفّ بمعنى أحدق. أنطاكي: مسوب إلى أنطاكية. الرقم: ضرب من البرود من الوشي أو من الخزّ.

(٢) هاجرات الشّول: التي بعد عهدها بالنّتاج. الشّول من النوق: التي خفّ لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية فلم يبق في ضروعها إلاّ شول من اللبن أي بقيّة مقدار ثلث ما كانت تحلب. خفّ خطرها: قل تحريكها لذنبها. جفورها: انقطاع لبنها، وهذه الصفات تدلّ على قوّتها ومقدار تحمّلها للأسفار.

(٣) قوارض: مائلة في سيرها. الحضن: الجانب. ينبع: اسم موضع. العناقان: هو عناق واحد وثنّاه على الطريقة المألوفة في الشعر وهو اسم موضع في حمى ضريّة. العير: القافلة.

(٤) الجلّة: المسنّ من الأبل أو العظيم الضخم. البرى: جمع بُرَة، حلقة تجعل في أنف البعير. الكؤور: جمع كور، الرحل وقيل الرحل وأداته.

٥ بُروكٌ بأعْلى ذِي البُلَيدِ كَأَنَّهَا صَرِيمَةُ نَخْلٍ مُغْطَئِلٍّ شَكِيرُها
٦ مِنَ الغُلْبِ من عِضْدَانِ هَامَةَ شُرِّبَتْ لِسَقْيٍ وجَمَّتْ للنّواضِحِ بِيرُها
٧ غَدَتْ أُمُّ عَمْرٍو واستَقَلَّتْ خُدُورُها وَزَالتْ بأسدافٍ مِنَ اللّيلِ عِيرُها
٨ تَبَدَّتْ فَصَادَتْهُ عَشِيَّةَ بَيْنِهَا وَقَدْ كُشِفَتْ مِنْهَا لِبَيْنٍ سُتُورها
٩ بجيدٍ كَجِيدِ الرِّئمِ حَالٍ تَزِينُهُ غَدائِرُ مُسْتَرْخِي العِقَاصِ يَصُورُها
١٠ تَلُوثُ إزارَ الخزِّ مِنْهَا بِرَمْلَةٍ رَداحٍ كَسَاها هَائلَ التُّرْبِ مُورُها
١١ أجدَّت خُفوفاً مِن جَنُوبِ كُتانَةٍ إلى وَجْمَةٍ لمّا اسْجَهَرَّتْ حَرُورُها
١٢ وَمَرَّت عَلَى التَّقْوَى بِهِنَّ كأنَّها سَفَائِنُ بحرٍ طَابَ فيها مَسيرُها
١٣ أوِ الدَّومُ مِنَ وَادِي غُرانَ تروَّحتْ لهُ الرِّيحُ قصْراً شَمْأَلٌ ودَبُورُها

---

(٥) بروك: باركة، مناخة. ذو البليد: موضع قرب المدينة بوادٍ يدفع في ينبع. الصريمة: القطعة من النخيل. مغطئلّ: كثير متراكب. الشّكير: فراخ النّخل أو الخوص الذي حول السّعف.

(٦) الغلب: جمع غلباء، المطيّة التي غلظ عنقها. العضدان: جمع عضيد وهي النخلة التي صار لها جذع يتناول منه المتناول. هامة: موضع قبل هجر فيه نخل كثير. شرّبت لسقي: أُرويت بإفاضة الماء عليها. جمّت: ترك ماؤها ليجتمع ويكثر. النواضح: الإبل التي تستقي لإرواء الزرع والنّخيل. بيرها: بئرها، فأبدل الهمزة ياءً للضّرورة.

(٧) الأسداف: جمع سدف، الظلمة.

(٨) البين: البعد

(٩) الرئم: الريم من الظّباء، الأبيض. العقاص: شعر في مقدّم الرأس. يصورها: يميلها من كثرتها.

(١٠) تلوث: تلفّ، تعصب. رداح: ثقيلة الأوراك، ضخمة. الهائل: الذي لا يتماسك. المور: التراب وقد حملته الريح.

(١١) أجدّت: سلكت. الخفوف: الأرض الغليظة. كتانة: عين بين الصفراء والاثيل. وجمة: جانب جبل فعرى الذي تدفع شعابه في غيقة في أرض ينبع. اسجهرّ: تريّع كالسّراب. الحرور: حرّ الشمس.

(١٢) التقوى: موضع بنجد. شبّه الهوادج بالسّفن.

(١٣) الدوم: نوع من الشّجر. غران: وادٍ ضخم بالحجاز بين ساية ومكّة. تروّحت: هبّت. قصراً: عشاء. الدّبور: الرّياح الغربيّة. يشبه الهوادج بشجر الدّوم وقد تلاعبت بها الرّيح.

١٤ نَظَرْتُ وَقَدْ حَالَتْ بَلاَكِثُ دُونَهُمْ وبُطنانُ وَادِي بِرْمَةٍ وظُهورُها
١٥ إلى ظُعُنٍ بالنَّعْفِ نعْفِ مَياسِرٍ حَدَتْهَا تَواليها ومارَتْ صُدورُها
١٦ عليهنَّ لُعْسٌ مِنْ ظِبَاءِ تَبالَةٍ مُذبْذبةُ الخِرْصان بادٍ نُحورُها
١٧ فَلَمَّا بلَغنَ المُنتَضَى بَيْنَ غَيقَةٍ ويَلْيَلَ مالتْ فاحزَأَلَّتْ صُدورُها
١٨ وأَتْبَعْتُهَا عَيْنيَّ حَتَّى رَأيتُهَا ألمّتْ بفِعْرَى والقَنان تزُورُها
١٩ وَمَا زِلْتُ أَسْتَدْمي وَمَا طَرَّ شَارِبي وِصَالَكِ حتَّى ضَرَّ نَفْسي ضَميرُها
٢٠ فإنّي وَتَأْميلي عَلَى النَّأْيِ وَصْلَها وأَجْبَالُ تُرْعى دُوْنَنا وَثَبِيرُها
٢١ وعَنَّ لَنَا بالجِزْعِ فوقَ فُرَاقِدٍ أيادِي سَبَا كَالسَّحْلِ بيضاً سُفُوُرَها
٢٢ نَشِيمُ عَلَى أرْضِ ابنِ لَيْلَى مَخِيلةً عَريضاً سَناهَا مُكْرَهِفّاً صَبيرُها

---

(١٤) بلاكث: قارّة عظيمة فوق وادي المروة بينه وبين ذي خشب ببطن إضم. البطنان: جمع بطن. برمة: بين خيبر ووادي القرى وهي عيون ونخل لقريش. الظهور: جمع ظهر.

(١٥) النّعف: ما انحدر عن السّفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط. مياسر: موضع بين الرحبة والسقيا من بلاد عذرة وهو قريب من وادي القرى. حدتها: ساقتها. مارت: تموّجت وتحرّكت.

(١٦) اللعس: جمع لعساء، التي في شفتها سواد مستحبّ. تبالة: وادٍ مخصب من أعمال مكّة إلى الجنوب. مذبذبة: متحرّكة. الخرصان: جمع خرص، حليّ يزيّن النّساء.

(١٧) المنتضى وغيقة ويليل: مواضع. احزألّت: ارتفعت.

(١٨) فعرى والقنان: موضعان.

(١٩) استدمي: أترقّب. طرّ: نبت.

(٢٠) النأي: البعد. ترعى: موضع قيل إنّه جبل شمال ضريّة وقيل إنّه جبل بالشّام. ثبير: جبل ويطلق على أربعة جبال متفاوتة في مواقعها (معنى البيت لم يكتمل، ويبدو أنّ أبياتاً قد سقطت).

(٢١) عنّ: لاح. فراقد: موقع من شقّ غيقة يدفع إلى وادي الصفراء. أيادي سبا: متفرّقة. السَّحل: ثوب يمانيّ أبيض. السفور: التفرّق.

(٢٢) المخيلة: سحابة مخيلة وهي التي تحسبها ماطرة. السّنا. البرق. المكرهف: مقلوب عن لفظة مكفهرّ ويقصد به السّحاب الغليظ. الصّبير: السّحاب الأبيض.

٢٣ فأصْبحتُ لو ألمَمْتُ بالحَوفِ شَاقني مَنَازِلُ مِن حُلْوَانَ وَحشٌ قصورُها

٢٤ أقُولُ إذا ما الطَّيرُ مرَّتْ مُخِيفةً سوانِحُها تَجْري ولا أستَثِيرُها

٢٥ فَدَتْكَ ابنَ ليلى نَاقَتِي حَدَثَ الرَّدى وراكِبُها إنْ كَان كونٌ وكُورُها

٢٦ تَقُولُ ابنةُ البكريّ يَوْمَ لَقِيتُها لَعَمْرُك والدُّنْيَا مَتِينٌ غُرُورُها

٢٧ لأصْبَحْتَ هَدتَّكَ الحَوَادِثُ هَدَّةً نَعَمْ فَشَوَاةُ الرَّأسِ بَادٍ قَتِيرُها

٢٨ وأسْلاكَ سَلْمَى والشَّبَابَ الذي مَضَى وَفَاةُ ابنِ ليلى إذْ أتَاكَ خَبيرُها

٢٩ فإنْ تَكُ أيّامُ ابنِ ليلى سَبَقْنَنِي وَطَالَتْ سنِيَّ بَعْدَهُ وشهورُها

٣٠ فإنِّي لآتٍ قَبْرَهُ فمسلّمٌ وإن لم تُكلِّمْ حُفْرَةٌ مَنْ يزورُها

٣١ وما صُحْبَتي عبدَ العزيز ومِدحتي بعاريّةٍ يرْتدُّها مَن يُعيرُها

٣٢ شَهِدْتُ ابنَ ليلى في مواطنَ جمّةٍ يزيدُ بها ذَا الحلمِ حِلماً حُضُورها

٣٣ تَرَى القومَ يخفونَ التَّبَسُّمَ عِندَهُ ويُنذرهُمْ عُورَ الكلامِ نَذيرُها

٣٤ فلا هَاجرَاتُ القَوْلِ يُؤثِرْنَ عِنْدَهُ ولا كَلِمَاتُ النُّصحِ مُقصًى مُشيرُها

---

(٢٣) ألممت: أتيت ونزلت. الحوف: موضع في مصر. حلوان: قرية في مصر. وحش: موحشة، مقفرة.

(٢٤) مخيفة: موهمة. السوانح: من الطيور، التي تمرّ من اليسار الى اليمين فالحجازيّون وكثير غيرهم يتشاءمون منه. وجاء: «مخفّة» أي مسرعة مكان «مخيفة».

(٢٥) حدث: مفرد حوادث. إن كان كون: إن حدث حادث. كورها: رَحْلها. ابن ليلى: عبد العزيز بن مروان والي مصر.

(٢٧) شواة الرأس: جلدة الرأس. القتير: الشّيب.

(٢٨) أسلاك: أنساك. خبيرها: خبرها.

(٢٩) سبقته أيام الممدوح: مات الممدوح قبله.

(٣١) العارية: ما يستعيره المرء لينتفع به ثم يردّه. أي أنّ ما قاله في عبد العزيز قول صادق لن يتراجع عنه.

(٣٢) جمّة: كثيرة.

(٣٣) عور الكلام: الكلام الرديء القبيح الزائغ عن الرّشد. النذير: الإنذار. يصفه بالوقار في مجالسه.

(٣٤) هاجرات القول: الكلمات التي فيها فحش. مقصًى: مبعد، بعيد.

٣٥ فلستُ بِنَاسِيهِ وإنْ حِيلَ دُونَهُ   وَجَالَ بأَحْوَازِ الصَّحَاصِحِ مُورُها
٣٦ وإن طُوِيَتْ من دُونِهِ الأرضُ وانْبَرَى   لنُكبِ الرّياحِ وَفْيُهَا وَحفيرُها
٣٧ حياتِيَ مَا دَامَتْ بشَرْقِيّ يَلْبَنٍ   بَرامٌ وأَضْحَتْ لم تُسَيَّرْ صُخورُها
٣٨ ولكِنْ صَفَاءُ الودِّ ما هبَّتِ الصَّبا   وما لم تَزَلْ حِسْمَى: رُبَاها وَقُورُها

— 55 —

وقال: [من الطويل].

١ وَإنّي لأَسْمُو بالوِصَالِ إلى التي   يَكُونُ شِفَاءً ذِكْرُهَا وازْدِيارُها
٢ وإنْ خَفِيَتْ كَانتْ لعينيكَ قُرّةً   وإنْ تَبْدُ يوماً لم يَعُمَّكَ عَارُها
٣ من الخَفِراتِ البِيضِ لَمْ تَرَ شَقْوَةً   وفي الحَسَبِ المَحْضِ الرَّفيعِ نِجَارُها
٤ فما رَوْضَةٌ بالحَزْنِ طَيِّبَةَ الثَّرَى   يَمُجُّ النَّدَى جَثْجَاثُها وعَرارُها
٥ بمُنْخَرِقٍ مِن بَطْنِ وادٍ كأنّما   تلاقتْ بِهِ عَطّارَةٌ وَتِجَارُها

---

(٣٥) الصحاصح: الأرض الجرداء المستوية ذات حجارة صغيرة. المور: التراب تثيره الرّيح.
(٣٦) طويت من دونه الأرض: دفن فيها. الوفْي من الأرض: المكان المرتفع يُشرف منه ويُوفى. الحفير: الأرض المنخفضة.
(٣٧) حياتي: أي طيلة حياتي. يلبن: قلتٌ عظيم بالنّقع من حَرَّة بني سليم على مرحلة من المدينة، (والقلت هو النَّقرة في الصخر تشبه المغارة). برام: جبل في بلاد بني سليم عند الحرّة.
(٣٨) حسمى: موضع بين مكة والمدينة. قورها: جبالها.

---

(١) ازديارها: زيارتها.
(٢) قرّة العين: ما يسرّ به الإنسان ويطمئن إليه. يعمّك: يلحق بك.
(٣) الخفر: الحياء. الشقوة: الشدّة والعسر. النجار: الأصل والحسب.
(٤) الحزن: الأرض الغليظة. يمجّ: يرمي. الجثجاث: ريحانة طيّبة الريح بريّة. العرار: البَهَار البريّ وهو حسن الصفرة طيّب الرّيح.
(٥) منخرق: متّسع.

٦ أُفِيدَ عليْها المِسْكُ حَتَّى كأنّها لَطِيمَةُ داريٍّ تَفَتَّقَ فَارُها
٧ بأطيبَ من أردانِ عزَّةَ مَوْهِناً وقد أُوقِدَتْ بِالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها
٨ هِيَ العَيْشُ ما لاقتكَ يوماً بِودِّهَا وموتٌ إذا لاقاكَ منها ازْوِرارُها
٩ وإنيّ وإنْ شَطّتْ نَوَاها لحافظٌ لها حيثُ حَلّتْ واستقرَّ قرارُها
١٠ فأَقْسَمْتُ لا أنْسَاكِ ما عِشْتُ ليلةً وإن شَحَطتْ دارٌ وشَطَّ مزارُها
١١ وما استنَّ رَقْرَاقُ السّرابِ وما جرى بِبِيضِ الرُّبى وَحْشِيُّها ونَوارُها
١٢ وَمَا هَبَّتِ الأرْوَاحُ تجري وَمَا ثَوَى مُقيماً بنَجْدٍ عَوْفُها وتِعارُها

— 56 —

وقال: [من الطويل].

١ وإنّي لأَسْتَأني وَلَوْلا طَمَاعَتي بِعَزَّة قَدْ جَمَّعْتُ بينَ الضَّرائِرِ
٢ وَهَمَّ بَناتي أنْ يَبِنَّ وَحَمَّمَتْ وُجُوهُ رِجَالٍ مِنْ بنيَّ الأصاغِرِ

(٦) أفيد: دقّ ونشر. اللطيمة: المسك أو وعاء المسك. الداريّ: المنسوب الى فرضة دارين وهي الموضع الذي يرد إليه المسك على ساحل الخليج. تفتّق: تضوّع. فارها: فأرة المسك، الوعاء الذي يوضع فيه المسك.

(٧) موهناً: ليلاً. المندل: العود الطيّب الرائحة.

(٨) ازورارها: ميلها وصدّها.

(٩) حافظ لها: حافظ لعهدها.

(١٠) شحطت: بَعُدت: شطّ: بَعُد.

(١١) استنّ: اضطرت. رقراق السراب: ما تلألأ منه. وحشيّها: يعني وحوش تلك الربى البيض. النوار: النفور.

(١٢) الأرواح: النّسمات. ثوى: أقام وثبت. عوف: جبل بنجد. تعار: جبل ببلاد قيس.

(١) أستأني: أتأنّى وأنتظر وأرجو. جمّعت بين الضرائر: تزوّجت من ضرائر متعدّدة.

(٢) يبنّ: يطلّقن ويبتعدون عن أزواجهنّ. حمّمت: اسودّت منابت لحاهم أي طلعت لحاهم.

وقال: [من الكامل].

١ تَلْهُو فَتَخْتَضِعُ المَطِيُّ أَمَامَها   وَتَخِبُّ هَرْوَلَةَ الظَّلِيمِ النَّافِرِ
٢ وإذا الفَلاةُ تَعَرَّضَتْ غِيطَانُها   نَهَضَتْ بأتلعَ في الجَدِيلِ عَراعِرِ
٣ وَسَجَتْ دَعَائِمُ صُلْبِها واستَعْجَلَتْ   مِنْ وَقْعِهِنَّ بِصَائِبٍ مُتَبَادِرِ
٤ تَعْدُو النَّجاءَ بخيطَفٍ مَأْطُورةٍ   ويدٍ لها نَسَجَتْ بِضَبْعٍ مَائِرِ
٥ وإذا المَطِيُّ تَحَدَّرَتْ أَعْطَافُهُ   نَضَحَ الكَحِيلُ بِهِ كجوفِ القَاطِرِ
٦ وَكَسَا مَعَاطِسَها اللُّغامُ ولُفِّعَتْ   فيهِ حَوَاجِبُ عَيْنِهَا بِغَفَائِرِ
٧ زَهِمُ المَشَاشِ من النَّواشطِ باللِّوى   أو بالجَنابِ رأينَ أَسْهُمَ عائرِ

---

(١) تخبّ: تسرع في المشي. الظليم: ذكر النَّعام. النافر: الغزال وقد وثب رافعاً قوائمه جميعاً ثمّ وضعها معاً من غير تفريق.

(٢) تعرّضت: امتدّت. غيطانها: سهولها. الأتلع: العنق. الجديل: الحبل المجدول. العراعر: الضّخم.

(٣) دعائم صلبها: قوائمها. سجت: أسرعت في مشيها. الصائب المتبادر: المشي السريع الذي تقع فيه القوائم مواقعها.

(٤) النّجاء: السّير السريع. خيطف: سريعة حركة العنق. مأطورة: مثنيّة. نسجت: أسرعت. الضّبع: العضد. المائر: السّريع المتحرّك.

(٥) تحدّر: هبط، نزل. أعطافه: جوانبه. الكحيل: القطران. القاطر: البعير الذي لا يزال يقطر بوله.

(٦) اللُّغام: الزّبد. الغفائر: هي الخرقة، شبه اللّغام بها.

(٧) زهم: سمين كثير الشّحم. المشاش: رؤوس العظام. النّواشط: جمع ناشطة، السّريعة. الجناب: الناحية والجانب. العائر: السّهم الذي لا يدري من رماه ولعلّه يعني رامي السّهام.

قافية الضاد

— 58 —

قال يتغزّل: [من المتقارب].

١ أَلا تِلْـكَ عَـزَّةُ قَـدْ أَصْبَحَـتْ تُقلِّـبُ للهَجْرِ طـرْفـاً غَضِيضَـا

٢ تَقُـولُ مَـرِضْنـا فَمَـا عُـدْتَنَـا فَقُلْـتُ لهـا لَا أُطِيـقُ النُّهُـوضَـا

٣ كِلانـا مَـرِيضَـانِ فِـي بَلْـدَةٍ وَكَيْـفَ يَعُـودُ مَـرِيـضٌ مَـرِيضَـا

---

(١) الغضيض: المسترخي والفاتر الأجفان.

(٢) عدتنا: زرتنا في مرضنا.

قافية العين

— 59 —

وقال: [من الطويل]

١ وَحَضَّ الذي وَلَّى عَلَى الصَّبرِ والتُّقَى وَلَمْ يهْمُمِ البَالي بِأَنْ يتَجشّعا

٢ ولو نَزَلَتْ مِثْلُ الَّذي نَزَلَتْ بهِ تَرَكْنَ المُذرَّى مِنْ أجا يتَصَدَّعا

— 60 —

وقال في الخلفاء الذين كان يقول بإمامتهم: [من المتقارب]

١ وَكَانَ الخَلاَئِفُ بَعْدَ الرَّسولِ م للهِ كُلُّهُمُ تَابِعا

٢ شَهيدانِ مِن بَعْدِ صِدّيقِهِمْ وكان ٱبْنُ خَوْلى لَهُمْ رابِعا

٣ وَكَان ابْنُهُ بَعْدَهُ خَامِساً مُطيعاً لمَنْ قَبْلَهُ سَامِعا

---

(١) ولّى على الصبر: انصرف عنه وتركه. يهمم: ينوي ويريد. تجشّع: اشتاق.

(٢) نزلت: يعني المصيبة. المذرّى: جبل بأجا أحد جبليْ طيّء. تصدّع: تشقّق.

---

(١) الخلائف: الخلفاء.

(٢) الشّهيدان: الحسن والحسين. الصدّيق: أبو بكر رضي الله عنه. ابن خولى: محمد بن الحنفيّة المهديّ. خولة: امرأة علي بن أبي طالب.

٤ ومَـرْوانُ سَـادِسُ مَـن قَـدْ مَضَـى وَكَان ابنُهُ بَعْدَهُ سابعا(★)

— 61 —

قال سائب راوية كثير (الأغاني ٩ :٢١٦): كنت مع كثيّر عند ظلاَّمة، فأقمنا أياماً، فلما أردنا الانصراف عقدت له في عِلاقة سوطه عقداً وقالت: احفظها، ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبني ضمرة، فقال: إن في هذه الأخبية جارية ظريفة ذات جمال، فهل لك أن تستبرزها؟ فقلت: ذاك إليك، قال: فملنا إليهم فخرجت إلينا جاريتها فأخرجتها، فإذا هي عزة، فجلس معها يحادثها وطرح سوطه بينه وبينها، إلى أن غلبته عيناه، وأقبلت عزّة على تلك العقد تحلها واحدة واحدة، فلما استيقظ انصرفنا، فنظر إلى علاقة سوطه فقال: أحلّتها؟ قلت: نعم، فلا وصلها الله، والله إنّك لمجنون، قال: فسكت عني طويلاً ثم رفع السوط فضرب به واسطة رحله وأنشأ يقول: [من الطويل]

١ تَقَطَّعَ مِـن ظَلاَّمَـةَ الوَصْـلُ أجمَـعُ أَخِيـراً عَلَـى أَنْ لَـمْ يَكُـنْ يَتَقَطَّـعُ
٢ وأَصْبَحْتُ قَدْ ودَّعْتُ ظَلاَّمَـةَ الَّتِـي تَضُرُّ وَمَا كَانَـتْ مـعَ الضُّـرِّ تَنْفَـعُ
٣ وَقَدْ شَبَّ مِن أَتْرابِ ظلاَّمَةَ الدُّمَـى غَـرَائِـرُ أَبْكَـارٌ لِعَيْنَيْـكَ مَقْنَـعُ
٤ كَـأَنَّ أُنـاسـاً لـمْ يَحُلّـوا بتَلْعـةٍ فَيُمْسُوا ومَغْناهُـمْ مـن الدّارِ بَلْقَـعُ

---

(٤) مروان: مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أميّة. ابنه: عبدالملك بن مروان.

(★) لقد أخرج من سرد الخلفاء عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم.

(١) ظلاّمة: اسم امرأة. الوصل: الوصال.

(٣) الغرائر: جمع غريرة، الفتاة التي لا تجربة في الحبّ لها.

(٤) التلعة: ما ارتفع من الأرض. المغنى: المنزل. بلقع: خالٍ، مقفر.

٥ ويَمْرُرْ عَليها فَرْطُ عَامَيْنِ قَدْ خَلَـتْ وَلِلوَحْشِ فيهـا مُسْتَـرَادٌ ومَـرْتَـعُ
٦ إذا مَا عَلَتْها الشَّمْسُ ظَلَّ حَمَـامُهَـا علـى مُستقلاَّتِ الغَضَـا يَتَفَجَّـعُ
٧ وَمِنْهَا بِـأَجْـزَاعِ المَقَـارِيـبِ دِمْنَـةٌ وَبِالسَّفْحِ مِـن فُـرْعَـانَ آلٌ مُصـرَّعٌ
٨ مَغَـانِـي دِيَـارٍ لا تَـزَالُ كَـأَنَّهَـا بِـأفنيـةِ الشُّطَّـانِ رَيْـطٌ مُضَلَّـعُ
٩ وفي رَسْمِ دارٍ بينَ شَوْطَانَ قَدْ خَلَتْ وَمَرَّ بِهـا عَـامَـانِ عَيْنُـكَ تَـدْمَـعُ
١٠ إذا قيل مَهْلاً بَعْض وَجْدِكَ لا تُشِـدْ بسِرِّكَ لا يُسْمَعْ حَـدِيـثٌ فيُـرْفَـعُ
١١ أتَتْ عَبَـرَاتٌ مِـنْ سَجـومٍ كَـأَنَّـهُ غَمَـامَـةُ دَجْـنٍ إسْتَهَـلَّ فيُقْلِـعُ
١٢ وَأُخْرَى حَبَسْتَ الركبَ يوم سُوَيْقَـةٍ بهَـا وَاقِفـاً أَنْ هَـاجَـكَ المُتَـرَبَّـعُ
١٣ لِعَينكَ تِلْـكَ العِيـرُ حتَّـى تغَيَّبَـتْ وحتى أَتى مِنْ دُونها الخُـبُّ أَجْمـعُ

---

(٥) الفرط: الحين والمدّة. المستراد: موضع للرّيادة والتجوّل.

(٦) المستقلاّت: المرتفعات العالية. الغضا: شجر خشبه صلب وجمره شديد الالتهاب.

(٧) المقاريب: اسم موضع من نواحي المدينة. فرعان: جبل من ذي خشب يتبدّى إليه النّاس. الآل: أعواد الخيمة. مصرّع: ملقى على الأرض.

(٨) أفنية: جمع فناء، السّاحة قرب البيت. الشّطان: وادٍ من أودية المدينة ويقال هو بين الأبواء والجحفة. الرّيط: جمع ريطة، الملاءة وهي الثّوب من نسج واحد وقطعة واحدة. مضلّع: مخطّط.

(٩) شوطان: اسم موضع.

(١٠) لا تشد: من أشاد أي رفع صوته.

(١١) السّجوم: العيون الدامعة. غمامة دجن: سحابة غزيرة المطر. ولعل الصّواب «تستهلّ وتقلع» أي تصب وتكفّ على أن يعود الضمير إلى «غمامة» لا إلى «دجن»، ذلك أنّ الشاعر اضطر إلى قلب همزة «استهل» من همزة وصل الى همزة قطع، ليستقيم معه الوزن.

(١٢) وأخرى: معطوفة على قوله «مغاني ديار» في البيت الثّامن، لأنّ هذا البيت ورد مباشرة بعد البيت الثامن في بعض نسخ الديوان. سويقة: على مقربة من المدينة. المتربّع: الرّبع ومكان حلول القوم.

(١٣) العير: القافلة من الجمال والحمير وغيرها. الخبّ: اسم موضع بالعقيق. وورد مكان «الخب» كلمة «الحب» بالحاء، التي لا يستقيم معها المعنى، كما وردت عبارة «الخبت» في السمهودي والمغانم.

١٤ وحتّى أجَازَتْ بَطْنَ ضَاسٍ وَدُونَهـا   رِعَانٌ فهَضْبـا ذِي النُّجَيْـلِ فَيَنْبُـعُ
١٥ وَأعرَضَ مِنْ رَضْوى مِنَ اللّيلِ دُونها   هِضَـابٌ تَـرُدُّ العَيْـنَ مِمَّـنْ يُشَيِّـعُ
١٦ إذا أتبعَتْهُـمْ طَـرْفُهـا حَـالَ دُونَهَـا   رَذَاذٌ علــى إنْســانِهــا يتــريّــعُ
١٧ (فإنْ يَكُ جُثْماني بِأَرْضٍ سِوَاكُـمُ   فإنَّ فؤادي عِنْدَكِ الدَّهـرَ أجْمَـعُ)
١٨ إذا قُلْتُ هذا حِينَ أسْلُـو ذَكَـرْتُهَـا   فَظَلّـتْ لَهَـا نَفْسـي تَتُـوقُ وَتَنْـزَعُ
١٩ وَقَدْ قَرَعَ الوَاشُونَ فيها لـكَ العَصَـا   وإنَّ العَصَا كَانَتْ لذي الحِلْمِ تُقْـرَعُ
٢٠ وَكُنْتُ أَلُومُ الجَازِعِينَ عَلَـى البُكـا   فَكَيْـفَ أَلُـومُ الجـازعيـنَ وأجْـزَعُ
٢١ وَلِي كَبِدٌ قَدْ بَرّحتْ بِـي مـريضَـةٌ   إذا سُمتُها الهجْـرَانَ ظَلّـتْ تَصَـدَّعُ

---

(١٤) ضاس: موضع بين المدينة وينبع. الرّعان: اسم موضع فيه عين ونخيل بين الصفراء وينبع. النّجيل: موضع من أعراض المدينة من ينبع. ووردت عبارة «دعان» مكان «رعان». وقد ذكر ياقوت «دعان» في شعر كثيّر واستشهد عليه بقوله:

ولقـد شَـأتْـكَ حمـولهـا يـوم استـوت   بـالفـرع بيـــن خفيتـــنِ ودعـــان

(١٥) رضوى: جبل يقع من ينبع على مسيرة يوم ومن المدينة على سبع مراحل. ممّن يشيّع: ممّن يتتبّعه بعينه مراقباً.

(١٦) طرفها: عينها. الرّذاذ: القطرات الصغيرة من المطر والمراد بها هنا الدّموع. إنسانها: إنسان العين أي سوادها. يتريّع: يتكاثر ويزداد.

(١٧) قال البغدادي والبكري إنّ البيت لجميل بثينة، وقال البغدادي: رأيت في تذكرة أبي حيّان أنّ البيت لكثيّر عزّة.

(١٨) تنزع: تميل وتحنّ.

(١٩) قرع العصا: نبّه وحذّر.

وقوله «وإن العصا كانت لذي الحلم تقرع» قال في اللسان، يقال العصا قُرعت لذي الحلم أي إذا نُبّه انتبه... وأصله أنّ حكماً من حكّام العرب عاش حتى أهْتَر (أي فقد عقله من الكبر أو المرض) فقال لابنته، إذا انكرتُ من فهمي شيئاً عند الحُكم فاقرعي لي المجنّ (الترس) بالعصا لأرتدع. وهذا الحاكم هو عمرو بن جُمَعَة الدّوسي قضى بين العرب ثلاثماية سنة فلمّا كبر ألزموه السّابع من وُلده يقرع العصا إذا غلط في حكومته.

(٢٠) الجازعين: غير الصابرين.

(٢١) سمتها: كلّفتها.

٢٢ فأَصْبَحْتُ ممَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ خَاشِعاً وَكُنْتُ لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَخشَّعُ
٢٣ وَعُرْوَةُ لَمْ يَلْقَ الذي قَدْ لَقيتُهُ بعَفْرَاءَ والنّهديُّ ما أتفجّعُ
٢٤ وقائلةٍ دَعْ وَصْلَ عَزَّةَ واتَّبِعْ مَوَدَّةَ أُخرى وَابْلُهَا كَيْفَ تَصْنَعُ
٢٥ أرَاكَ عليها في المَوَدَّةِ زَاريَاً وَمَا نِلْتَ مِنْهَا طائلاً حَيْثُ تَسْمَعُ
٢٦ فَقُلْتُ ذَرِيني بِئْسَ ما قُلْتِ إنّني عَلَى البُخْلِ مِنْهَا لا عَلَى الجُودِ أَتْبعُ
٢٧ وأعجَبَني يا عَزّ مِنكِ خلائقٌ كِرَامٌ إذا عُدَّ الخَلاَئِقُ أَرْبَعُ
٢٨ دُنُوّكِ حتَّى يَذْكُرَ الجَاهِلُ الصِّبا ودفعُكِ أَسْبَابَ المُنى حينَ يَطْمعُ
٢٩ فَوَاللهِ ما يَدْري كَريمٌ مطَلْتِهِ أيشْتَدُّ أَنْ لاقَاكِ أَمْ يَتَضرَّعُ
٣٠ وَمِنْهُنَّ إكْرَام الكَرِيم وَهَفْوَةُ الـ ـلَّئيمِ وخلاّتُ المَكَارِمِ تنفَعُ
٣١ بَخَلْتِ فَكَانَ البُخْلُ مِنْكِ سَجيةً فَلَيْتَكِ ذو لونينِ يُعْطِي وَيَمنعُ
٣٢ وإنّكِ إنْ واصَلْتِ أعْلَمْتِ بالّذي لديْكِ فلَمْ يوجَدْ لكِ الدّهرَ مطمعُ
٣٣ ذا قَلبِ كُنْ عنها صبوراً فإنَّها يُشيِّعُها بالصَّبرِ قلبٌ مُشيَّعُ
٣٤ وإنّي عَلَى ذَاكَ التَجَلُّدِ إنّني مُسِرٌّ هُيَامٍ يَسْتَبِلُّ ويُرْدَعُ
٣٥ أَتى دُونَ ما تَخْشَوْنَ مِنْ بثّ سِرّكُمْ أَخُو ثِقَةٍ سهْلُ الخلائِقِ أروعُ

---

(٢٢) هذا البيت وردة أيضاً في قصيدة جميل بثينة.
(٢٣) عروة: عروة بن حزام وحبيبته عفراء. النهديّ: عمرو بن عجلان وحبيبته هند.
(٢٤) وآبلها: من بلا يبلو أي اختبر.
(٢٥) زارياً: معاتباً.
(٢٦) العجز يتضمّن معنًى مبتكراً.
(٢٩) المطل: التسويف في الوعد والتأجيل. يشتدّ: يظهر الشدّة والصلابة. يتضرّع: يتذلّل.
(٣٠) يبدو وكأنّ هذا البيت دخيل على السّياق.
(٣١) السّجيّة: الطّبع.
(٣٣) يشيّعها: يشجّعها، يقوّي موقفها ويدعمه.
(٣٤) مسرّ: من أسرّ أي كتم وأخفى. يستبلّ: يشفي من المرض. يُردع: ينتكس.
(٣٥) أروع: ذكي الفؤاد، حسن الصورة.

٣٦ ضَنِينٌ ببذْلِ السّرِّ سَمْحٌ بغيرِهِ　　أَخُو ثِقَةٍ عَفٌّ الوِصالِ سَمَيْدعُ
٣٧ أبى أن يبُثَّ الدّهْرَ ما عَاشَ سِرّكُمْ　　سَلِيماً وما دامَتْ لَهُ الشّمْسُ تطلعُ
٣٨ وإني لأسْتهدِي السّحَائِبَ نَحْوَهَا　　مِنَ المَنْزِلِ الأَدْنَى فتَسْرِي وتُسْرِعُ

— 62 —

وردت هذه القصيدة لكثيّر في الحماسة البصرية (١٥٠ ب) وبعض أبياتها مذكور في القصيدة السابقة، ولكنا آثرنا إيرادها هنا ـ دون تغيير في ترتيبها ـ للاختلاف الكبير بين القصيدتين: [من الطويل].

١ إلى الله أشكو لا إلى الناس حبّها　　ولا بدّ من شكوى حبيب مودّعِ
٢ إذا قلتُ هذا حين أسلو ذكرتها　　فظلّت لها نفسي تتوقُ وتنزعُ
٣ ألا تتّقينَ الله في حبّ عاشقٍ　　له كبدٌ حرّى عليكِ تَصَدّعُ
٤ غريبٌ مسُوقٌ مولعٌ بادّكاركم　　وكلّ غريبِ الدار بالشوقِ مولع
٥ وجدت غداة البين إذ بنت زفرة　　وكادت لها نفسي عليك تصدّع
٦ وأصبحتُ مما أحدثَ الدهرُ خاشعاً　　وكنتُ لريبِ الدهر لا أتضعضع
٧ فما في حياةٍ بعد موتك رغبةٌ　　ولا في وصالٍ بعد هجرك مطمع
٨ وما للهوى والحبّ بعدك لذّةٌ　　ومات الهوى والحبّ بعدك أجمع
٩ إذا قلتُ هذا حين أسلو وأجتري　　على هجرها ظلّتْ لها النفسُ تشفع
١٠ وإن رمتُ نفسي كيف أنّي هجرتها　　ورمتُ صدوداً ظلّت العين تدمع
١١ فيا قلبُ خبرني فلستَ بفاعلٍ　　إذا لم تنلْ واستأسرتْ كيف تصنع

---

(٣٦) عفّ: عفيف. سميدع: كريم سخيّ.
(٣٧) في البيت تقديم وتأخير، يقول: أبى طول الدهر أن يبثّ سرّكم ما عاش سليماً.
(٣٨) استهدى السّحاب: طلب وتمنّى له وجهة معيّنة.

١٢ وقد قرع الواشون منها لـك العصـا وإنّ العصا كانت لذي الحلم تقـرع
١٣ فيا ربّ حبّبني إليهـا وأعطنـي الـ ـمودّة منهـا، أنـت تعطـي وتمنـع

وأورد له ابن جني (٣: ١٩٥ / أ) من هذا الروي قوله:

وأكتـم ودّاً فـي الفـؤاد مجمجمـاً تضلّعـه منـي ضميـرٌ وأضلـع

— 63 —

وقال أيضاً: [من الوافر].

١ إذا أَمْسَيْتُ بَطْنُ مُجاحَ دُونـي وَعَمْـقٌ دُونَ عَـزَّةَ فـالنَّقِيـعُ
٢ فَلَيْسَ بِلائِمـي أَحَـدٌ يُصَلّـي إذا أَخَـذَتْ مَجَـارِيَهَـا الدُّمـوعُ

— 64 —

وقال: [من الطويل]

١ خَلِيليَّ عُوجَا مِنْكُما سَاعَـةً مَعِـي عَلَى الرَّبْعِ نَقْضِ حَـاجَـةً وَنُـوَدِّعِ
٢ ولا تَعْجَلانـي أَنْ أُلِـمَّ بِـدِمْنَـةٍ لِعَـزَّةَ لاَحَـتْ لـي بِبَيْـداءَ بَلْقـعِ
٣ وَقُولا لِقَلْبٍ قَدْ سَلا رَاجِعِ الهـوى وَلِلْعَينِ أَذري مِنْ دُموعِكِ أوْ دعـي
٤ فلا عَيْشَ إلاَّ مِثْلُ عَيْشٍ مَضَى لَنَـا مَصِيفاً أقَمْنا فيهِ مِـنْ بَعْـدِ مَـرْبَـعِ
٥ تفـرَّقَ أُلاَّفُ الحَجِيـجِ علـى مِنًـى وشتّتَهُمْ شَحْطُ النَّـوَى مَشْـيَ أَرْبَـعِ

---

(١) مجاح: موضع من نواحي مكّة وقيل فيه «محاج». عمق: موضع قرب المدينة وهو من بلاد مزينة. النّقيع: (بالنون وليس بالباء) الحمى المعروف الذي أوفاه الهجريّ والبكريّ والسّمهوديّ وصفاً وتعريفاً ويقع في أعلى أودية العقيق.

---

(١) عوجا: ميلا.
(٢) ألمّ: أنزل. بيداء بلقع: صحراء قفر لا شيء بها.
(٣) أذْري: أسيلي.
(٤) مصيفاً: مكان الإقامة في الصّيف. المربع: مكان الإقامة في الرّبيع.
(٥) الشّحط: البعد. النوى: البعد. مشي أربع: مسافة ما يمشي المرء أربع ليال.

٦ فَلَـمْ أَرَ داراً مِثْلَهَـا دَارَ غِبطَـةٍ ومَلْقًى إذا التَفَّ الحَجِيـجُ بمجْمَـعِ
٧ أقَـلَّ مُقِيمـاً رَاضِيـاً بِمَكـانِـهِ وأَكْثَـرَ جَـاراً ظَـاعِنـاً لَـمْ يُـوَدِّعِ
٨ فـأَصْبَـحَ لا تَلْقـى خِبـاءً عَهِـدْتَـهُ بِمَضْـرِبِـهِ أَوتـادُهُ لَـمْ تُنَـزَّعِ
٩ فشَاقُوكَ لمّا وَجَّهـوا كُـلَّ وِجْهَـةٍ سِرَاعـاً وخَلّـوا عَـنْ مَنـازِلَ بَلْقَـعِ
١٠ فريقان: مِنْهُمْ سَالِـكٌ بَطْـنَ نخلَـةٍ وآخرُ مِنْهُـمْ جـازِعٌ ظَهْـرَ تَضْـرُعِ
١١ كأنّ حُمُـولَ الحـيّ حِيـنَ تَحَمَّلُـوا صَرِيمةُ نَخلٍ أو صَـرِيمـةُ إيـدَعِ
١٢ فإنّكَ عَمْرِي هَـلْ أُرِيـكَ ظعـائِنـاً غدَوْنَ افْتِراقـاً بـالخَلِيـطِ المـودّعِ
١٣ رَكِبْنَ اتِّضَاعاً فَـوْقَ كـلِّ عُـذَافِـرٍ من العِيسِ نَضّاحِ المَعَدَّيْنِ مُرْفِـعِ
١٤ تُوَاهِقُ واحْتَـثَّ الحُـدَاةُ بِطَـاءَهَـا على لاحِبٍ يَعْلو الصّياهِـبَ مَهْيَـعِ
١٥ جَعَلْـنَ أَرَاخِـيَّ البُحيـرِ مَكَـانَـهُ إلـى كـلِّ قَـرٍّ مُستطيـلٍ مُقَنَّـعِ

---

(٦) الضمير في « مثلها » يعود إلى منى ».
(٧) « أقلّ » و« أكثر » نعتان للفظة « دارا » و« ملقىً » في البيت السّابق. ظاعناً: راحلاً.
(٨) الخباء: بيت من وبر أو صوف أو شعر على عمودين أو ثلاثة لا أكثر.
(٩) وجّهوا كلّ وجهة: ذهبوا في كلّ اتّجاه وتفرّقوا. البلقع: الأرض الخالية التي لا شيء فيها.
(١٠) بطن نخلة: قرية قريبة من المدينة. جازع: قاطع، مجتاز. تضرع: جبل لكنانة قرب ملّة.
(١١) الصريمة: قطعة الرّمل ذات الشّجر. الإيدع: شجر يشبه الدّلب إلاّ أنّ أغصانه أشدّ تقارباً من أغصان الدلّب، له ورد أحمر ليس بطيّب الرّيح ولا مثمر.
(١٢) الظّعائن: الهوادج المرتحلة. الخليط: القوم الذين أمرهم واحد.
(١٣) اتضاعاً: أخذن برأس البعير وخفضنه ليضعن أقدامهنّ على عنقه فيركبنه. العذافر: العظيم الشّديد من الإبل. العيس: الإبل البيضاء. نضّاح: كثير العرق. المعدّان: موضع دفّتي السّرج. مرفع: حثيث السّير؛ ولعلّ الصّواب « مربع » أي الجمل الذي بلغ الرّابعة من عمره.
(١٤) تواهق: تمدّ أعناقها مسرعة كأنّها تباري. احتثّ: دفع وحثّ على السّير السّريع. اللاحب: الطريق اللاحب أي الواضح. الصّياهب: جمع صيهب أي الموضع الشديد. المهيع: الطّريق الواسع البيّن.
(١٥) الأراخيّ: جمع أرخية أي كلّ ما استرخى من شيء، ويعني بها بطون الأودية. البحير: عين غزيرة في يليل. القرّ: مركب للنّساء وقيل الهودج.

١٦ وفيهـنّ أَشْبَـاهُ المَهَـا رعَـتِ المَلا نَوَاعِمُ بِيضٌ في الهوى غيـرُ خُـرّعِ
١٧ رَمَتْكَ ابنةُ الضّمـريّ عـزّةُ بعْـدمـا أمَتّ الصّبى مِمّـا تَـرِيشُ بـأقْطـعِ
١٨ تَغَـاطَشُ شَكـوانـا إليهـا ولا تَعِـي مع البُخْلِ أَحْنَاءَ الحَدِيثِ المُرجّـعِ

★ ★ ★

١٩ وتُعْرَفُ إن ضَلّتْ فتُهـدَى لِـرَبّهَـا لِمَوْضِعِ آلاتٍ مـن الطّلْـحِ أرْبَـعِ
٢٠ وتُؤبَنُ مِن نَصّ الهواجـرِ والضّحـى بِقِدْحَين فازا مِنْ قِـداحِ المُقَعْقِـعِ
٢١ عَلَيهـا ولمّـا يَبْلُغَـا كُـلّ جَهْـدِهَـا وَقَدْ أشعَراها في أَظَلّ ومَدْمَعِ (★)

— 65 —

وقال: [من الطويل]

١ لَعَمْرِي لَقَدْ رُعتُـم غـداةَ سُـوَيقـةٍ بِبَيْنِكُـمُ يَـا عَـزّ حـقّ جَـزوعِ

---

(١٦) الملا: اسم موضع. خرّع: جمع خريع، المرأة النّاعمة مع فجور، وقيل الفاجرة من النّساء وهو ما يدلّ عليه البيت لأنّ الشّاعر نفى عنهنّ المقابح لا المحاسن. وأنكر الأصمعي أن تكون الخريع بمعنى الفاجرة. وقال: هي التي تتثنّى من اللين.
(١٧) أقطع: جمع قِطْع وهو السّهم. أمَتّ الصّبى: جعلته يموت بسهام عَزّة.
(١٨) تغاطش: تتغاطش أي تتغافل. أحناء الحديث: أطرافه ونواحيه.
(١٩) ربّها: صاحبها. آلات: أعمدة الخيمة وأركانها. الطّلح: من الأشجار العظام.
(٢٠) تؤبن: تتّهم وتُزَنّ وتعاب. النّصّ: الحثّ على السّرعة. القِدحان: أقداح الميسر. القعقعة: إجالة القداح في الميسر. يقول هزلت فكأنّها ضُرِب عليها بالقداح فخرج المعلّى والرّقيب فأخذا لحمها كلّه.
(٢١) عليها: الضمير يعود إلى الفعل «فازا». أشعراها: طعناها في أصل سنامها بحديدة. يريد أنّ هذين القدحين قد اتّصل عملهما بالأظلّ وهو باطن المنسم حتّى دمي ونقب، وبالعين حتّى دمعت من الإعياء.
(★) هناك بيتان قد يلحقان بهذه القصيدة إذا ثبتت نسبتهما لكثيّر وهما:
وغيّـرك الواشـون لمّـا جعلتهـم شعـاراً بنـتٍّ مـن مقـال مشنّـع
كما غيّـر العـذبَ الأجـاجَ فعـافـه لتغييـره الورّاد فـي كـلّ مَشْـرَعِ

---

(١) سويقة: جبل بين ينبع والمدينة. حقّ جزوع: شديد الحزن حقّاً.

٢ ومرّتْ سِراعاً عِيرُهَا وَكَأَنَّها دَوَافِعُ بالكِرْيَوْن ذاتُ قُلُوعِ
٣ وَحَاجَةِ نَفْسٍ قَدْ قَضَيْتُ وَحَاجَةٍ تركْتُ وأمْرٍ قَدْ أَصَبْتُ بَدِيعِ

★ ★ ★

٤ وماءٍ كأنَّ اليَثْرَبِيّةَ أنْصَلَتْ بأعْقَارِهِ دَفْعَ الإزَاءِ نَزُوعِ

★ ★ ★

٥ وَصَادَفْتُ عَيّالاً كأنَّ عُوَاءَهُ بُكا مُجْرَذٍ يَبْغي المَبيتَ خَليعِ
٦ عَوَى نَاشِزَ الحيزُوم مُضْطمرَ الحشا يُعالِجُ لَيْلاً قارساً مَعَ جوعِ
٧ فصَوّتَ إذ نادى بباقٍ على الطّوى مُحنَّبِ أطرافِ العِظامِ هَبُوعِ
٨ فلَمْ يجترِسْ إلاّ مُعرَّسَ راكبٍ تأيّا قليلاً واسترى بقطيعِ
٩ وموْقِعَ حُرْجُوجٍ على ثَفِنَاتِها صَبُورٍ على عَدْوَى المُناخِ جَمُوعِ
١٠ وَمَطْرَحَ أثْنَاءِ الزِّمَامِ كَأَنَّهُ مَزَاحِفُ أيْمٍ بالفِنَاءِ صَرِيعِ

---

(٢) العير: القافلة. الكريون: نهر بمصر يأخذ من النّيل. شبّه قافلتها المرتحلة بسفن ذات قلوع أي أشرعة.

(٤) اليثربية: السّهام المنسوبة إلى يثرب. الأعقار: جمع عقر، أي الحوض، وعقره: مؤخّره، وقيل الشّاربة منه. الإزاء: مفرغه من مقدّمه ومصب الماء من الحوض. النزوع: البئر القريبة القعر. أنْصل: أثبت النّصل، أي هو ماء قد سقطت فيه أشياء من الشّوك والعيدان وما أشبه.

(٥) العيّال: الملتمس الباحث يعني هنا الذئب. عواؤه: صوته. المجرذ: الذي أفرده أصحابه فلجأ إلى سواهم وقيل الذي ذهب ماله فلجأ إلى من ينوّله. الخليع: المخلوع من كلّ شيء.

(٦) ناشز الحيزوم: مرتفع الصدر والرأس.

(٧) الطّوى: الجوع. محنّب: مأطور أي معوجّ مثنيّ. هبوع: يستعين بعنقه في مشيته من الضعف والهزال.

(٨) الاجتراس: الإصابة من الشيء والحصول عليه والفوز به. المعرّس: مكان الاستراحة. تأيّا: تَلَبّث قليلاً وانتظر. استرى: من سرى إذا سار في الليل. القطيع: القطعة من اللّيل.

(٩) الحرجوج: النّاقة الطويلة. الثّفنات: جمع الثّفنة أي رُكْبة الدّابّة. عدوى المكان: ارتفاع بعضه وانخفاض البعض الآخر. جموع: مجتمع القوى والأعضاء.

(١٠) مطرح: مكان طرح الأشياء. أثناء الزّمام: طيّات الحبل الذي تقاد به الدّابّة. مزاحف: مواضع الزحف. الأيم: الحيّة. الفناء: ساحة الدار. شبّه مطارح الحبل بمزاحف الحيّة.

وقال يعاتب قومه : [من الطويل]

١ بَكى سَائبٌ لمّا رأى رَمْلَ عالِجٍ ... أَتى دُونَهُ والهَضْبُ هَضْبُ مُتَالعِ
٢ بَكى أَنّهُ سَهْوُ الدُّموعِ كما بكى ... عَشيّةَ جاوَزْنا نِجادَ البَدائعِ

★ ★ ★

٣ أوَدُّ لَكُمْ خَيْراً وتطَّرِحُونَني ... أكَعْبَ بنَ عمروٍ لاخْتِلافِ الصَّنائعِ
٤ وكيفَ لَكُمْ صَدْري سَلِيمٌ وأنتُمُ ... على حَسَكِ الشَّحْناءِ حُنُوُ الأضالعِ
٥ أُحَاذِرُ أنْ تَلْقَوْا رَدىً وَمَطِيّكُمْ ... خَوَاضِعُ تَبْغيني حِمَامَ المَصارعِ
٦ عَلى كُلِّ حَالٍ قَدْ بلَوْتم خَلِيقتي ... على الفَقْرِ مِنّي والغِنَى المُتَتَابعِ
٧ غَنِيتُ فَلَمْ أَرْدُدْكُمُ عِنْدَ بُغيةٍ ... وَجُعْتُ فلم أَكْدُدْكُمُ بالأَصَابعِ
٨ إذا قلَّ مالي زَادَ عِرضي كَرامةً ... عَليَّ وَلَمْ أَتْبَعْ دَقِيقَ المَطَامعِ
٩ وإنّي لَمُسْتَأْنٍ ومُنتظِرٌ بِكُمْ ... عَلَى هفَواتٍ فيكُمُ وتَتَايُعِ
١٠ وبَعْضُ المَوَالي تُتّقى دَرَءاتُهُ ... كما تُتّقى رُوْسُ الأَفَاعي الأَضَالعِ
١١ وَمُحْتَرِشٍ ضَبَّ العدوَاةِ منهُمُ ... بِحُلْوِ الخَلا حَرْشَ الضِّبّابِ الخَوَادعِ

---

(١) سائب : راوية كثيّر ، السّائب بن حكيم السّدوسي . رمل عالج : موضع بالبادية . متالع : ماء في شرقيّ الظّهران .

(٢) السّهو : السّهل من النّاس والأمور . البدائع : البديعان ، موضع بالحجاز ذكره الشّاعر بلفظ الجمع .

(٣) كعب بن عمرو أو حارث بن كعب : بنو الحرث . الصنائع : جمع صنيعة ، المعروف . ويروى « تتّهمونني » مكان « تطّرحونني » .

(٤) صدري سليم : بريء الصدر والنيّة . حسك : شوك . الشّحناء : العداوة .

(٥) خواضع : منكّسة الرأس .

(٦) خليقتي : طبيعتي .

(٧) الكدّ بالأصابع : حكّها بالحاح كما يكدّ المرء رأسه بأصابعه . ويروى : « وحجْتُ » مكان « وَجُعْتُ » أي أصبحت ذا حاجة ، وهي أفضل .

(٨) الفقر يزيده تمسّكاً بعرضه وحرصاً عليه .

(٩) المستأني : المترقّب المتريّث . التّتايع : الإسراع في الشّر .

قافية الفاء

— 67 —

وقال: [من الطويل]

١ غَدَتْ مِنْ خُصُوصِ الطَّفِّ ثم تَمَرَّسَتْ ... بِجَنْبِ الرَّحا مِنْ يَوْمها وَهْوَ عَاصِفُ
٢ ومرَّت بِقاعِ الرَّوْضتَيْـنِ وَطَـرْفُهَـا ... إلى الشَّرَفِ الأَعْلَـى بِهَـا مُتَشـارِفُ
٣ فَمَا زَالَ إسآدي على الأينِ والسُّـرَى ... بحـزَّةَ حتّـى أَسْلَمَتْهَـا العَجـارِفُ

— 68 —

وقال: [من الطويل]

١ تُنيـلُ قَليلاً فِـي تَنَـاءٍ وَهِجْـرَةٍ ... كَمَـا مَسَّ ظَهْـرَ الحيّـةِ المتخـوِّفُ

---

(١٠) الموالي: أبناء العمّ. الدرءات: التدّافع في الخصومة والاندفاع نحو الشّر. روس: رؤوس. الأضالع: القويّة. ويروى: القواطع وهي أجود.

(١١) الاحتراش: الخداع في صيد الضّب، وهو أن يحرّك الرّجل على مدخل حجر الضّب يده، فربّما أقبل الضّب ظانّاً أنّ حيّة أو سواها تريد الدخول عليه فينخدع بهذه الحيلة ويصطاد. ولا يجترىء المحترش أن يُدخل يده في الحجر لأنّه لا يخلو من عقرب فهو يخاف لدغها. وبين الضّب والعقرب إلفة شديدة وهو يستعين بها على المحترش.

---

(١) الخصوص: موضع قريب من الكوفة. الطّفّ: أرض من ضاحية الكوفة. الرّحا: جبل بين كاظمة والسيدان عن يمين الطريق من اليمامة الى البصرة. تمرّست: أكلت من الشّجرة وقتاً بعد وقت.

(٢) الروضتان: موضع. متشارف: مشرف.

(٣) الإسآد: سير الإبل ليلاً وقيل في الليل مع النّهار. الأين: التعب والإعياء. السّرى: السّير ليلاً. حزّة: اسم موضع بالحجاز وقيل اسم ناقته. العجارف: جمع عجرفة، النّشاط والسّرعة في المشي.

---

(١) تنيل: تعطي. التّنائي: البعد.

٢ مُنَعَّمَــةٌ أَمّــا مِلاثُ نِطَـــاقِهَـــا فَجُلٌّ، وأَمّا الخَصْرُ منها فـأَهْيَـفُ

ومنها يصف الغيث:

٣ فَـذَرْنِـي وَلَكِـنْ شَـاقَنـي متغـرّداً أغرُّ الذُّرى صَاتُ العَشِيَّاتِ أوْطَـفُ

٤ خَفِـيٌّ تعَشّـى فـي البِحَـارِ وَدُونَـه من اللّجِّ خُضْرٌ مُظْلِمَـاتٌ وسُـدَّفُ

٥ فما زالَ يستشري ومَا زِلْتُ نَـاصِبـاً لَـه بَصَـرِي حَتَّـى غَـدَا يَتَعَجْـرَفُ

٦ مِنَ البَحْرِ حَمْحَامٌ صُـراحٌ غَمـامُـهُ إذا حَــنَّ فيــه رعــدُهُ يتكشّــفُ

٧ إذا حَنَّ فيهِ الرَّعـدُ عَـجَّ وأرْزَمَـتْ لَـهُ عُـوَّذٌ مِنهـا مَطَـافِيـلُ عُكَّــفُ

٨ تَـرَبّــعُ أُولاهُ عَلَــى حَجِــرَاتِـــهِ جَمِيعـاً وأُخْـرَاهُ تُنُـوبُ وتُــرَدِفُ

٩ إذا استَدْبَرَتْهُ الرّيـحُ كَـيْ تَسْتَخِفَّـهُ تَرَاجَنَ مِلْحاحٌ إلى المكْثِ مُرْجِـفُ

١٠ ثَقِيلُ الرَّحَى وَاهِي الكِفَافِ دَنَـا لَـهُ بِبِيضِ الرُّبى ذُو هيْـدَبٍ مُتعصِّـفُ

١١ رَسَا بغُرانٍ واستدارَتْ بـهِ الرَّحـى كما يَسْتَـدِيـرُ الزّاحِـفُ المُتغَيِّـفُ

---

(٢) الملاث: موضع اللوث وهو الربط والعقد. جلّ: ضخم. أهيف: رفيع.

(٣) أغرّ الذّرى: أبيض الرأس وهو السّحاب وقد تخلّله البرق. صات: شديد الصّوت. أوطف: ثقيل مسترخٍ لكثرة الماء الذي يحمله.

(٤) تعشّى: أي أخذ حصّته مساءً من ماء البحر. السّدفة: ظلمة الليل وسواده.

(٥) يستشري: يستبحر ويزيد: ناصباً: مثبتاً. يتعجرف: يتحرّك بسرعة.

(٦) حمحام: يحدث حمحمة أي صوتاً. يتكشّف: يملأ ضوؤه السّماء.

(٧) حنّ: أحدث صوتاً. عجّ: رفع صوته. أرزمتْ: حنّتْ. العوّذ: جمع عائذة، الحديثة النّتاج من الإبل. مطافيل: ما له أطفال من الإبل. عكّف: جمع عاكف، مقيم لازم.

(٨) تربّع: تتربّع، تقيم. الحجرات: النواحي. تردف: تأتي مرّةً بعد مرّة.

(٩) استخفّه: وجده خفيفاً فحمله. تراجَنَ: أقام. ملحاح: سحاب ملحاح، دائم. مرجف: محدث صوتاً. جعل السّحاب كالإبل البطيئة الحركة لما يحمله من كثرة الماء.

(١٠) الرّحى: الصّدر. الكفاف: حواشي السّحاب. الواهي: الذي ينفجر ماؤه غزيراً. الهيدب: السّحاب. المتعصّف: المسرع.

(١١) غران: اسم موضع بتهامة. الرّحى: السّحابة المستديرة كحجر الرّحى. الزاحف: المُتْعب في مشيه. المتغيّف: المتمايل.

١٢ فَـذَاكَ سَقـى أُمَّ الحُـوَيْـرِثِ مَـاءَهُ بِحَيْثُ انْتوَتْ وَاهِي الأَسِرَّةِ مُـرْزِفُ

ومنها يصف خباء .

١٣ وَبيتٍ بِمَومَاةٍ مِنَ الأَرْضِ مجهـلٍ كَظِـلِّ العِقَـابِ تَسْتَقِـلُّ وَتَخْطُـفُ

١٤ بَنَيْـتُ لِفِتْيَـانٍ فَظَـلَّ، عمـادُهُ بِـداويــةٍ قَفْـرٍ وَشِيـجٌ مُثَقَّـفُ

★ ★ ★

١٥ وَنَحْـنُ مَنَعْنَـا بَيْـنَ مَـرٍّ وَرَابِـغٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُغْـزَى وأَنْ يُتكنَّـفُ

١٦ إذا سَلَـفٌ مِنَّـا مَضَـى لِسَبِيلِـهِ حَمَى عَذِرَاتِ الحيِّ مَـنْ يتَخَلَّـفُ

---

(١٢) انتوت: أقامت وحلّت. واهي الأسّرة: غزير الجوف والقلب. مرزف: مرزم، مصوّت.

(١٣) الموماة: الصّحراء الواسعة التي لا ماء فيها.

(١٤) الوشيج: الرّماح. المثقّف: الرمح المقوّم. يقول: جعل رمحه عماداً لبيت أقامه في الصحراء.

(١٥) مرّ: اسم موضع. رابغ: وادٍ يقطعه الحاجّ بين البزواء والجحفة. يُتكنّف: يحاط به.

(١٦) عذرات: جمع عذرة وهي فناء الدّار. واسم الموصول «مَنْ» فاعل «حمى».

قافية القاف

— 69 —

لما حدث ما حدث بشأن نسب خزاعة، وتصدّى أبو علقمة الخزاعي للردّ على كثير، هجاه كثير وردّ عليه بقوله: [من الطويل]

١ لاَ تكْفُرَنْ قَوْماً عـزَزْتَ بِعِـزِّهِـمْ أَبا علْقَمٍ والكُفْرُ بالـرِّيـقِ مُشْـرِقُ

٢ أبـا خُبَـثٍ أَكْـرِمْ كِنَـانَـةَ إنَّهُـمْ مَوَالِيكَ إنْ أمْـرٌ سَمَـا بِـكَ مُعْلِـقُ

٣ بنوالنَّضْرِ تَرْمِي مِنْ ورَائِكَ بالحَصَى أولُو حَسَبٍ فِيهِـمْ وَفَـاءٌ ومَصْـدَقُ

٤ يُفِيدُونَكَ المالَ الكَثِيـرَ وَلَـمْ تَجِـدْ لمُلْكِهِـمُ شَبْهـاً لَـوَ انَّـكَ تَصْدُقُ

٥ إذا رَكِبُوا ثَـارَتْ عَلَيْـكَ عَجَـاجَـةٌ وفي الأَرْضِ مِنْ وَقْعِ الأَسِنَّة أوْلَقُ(★)

(١) لا تكفرن: لا تنكرن. الكفر مُشرق بالريق: الكفر يجعل الإنسان يغصّ بريقه أي لا يستسيغ ما يأتي من قول أو فعل.

(٢) الأمر المعلق: الأمر العظيم الشأن المهمّ، من أعلق، إذا جاء بداهية.

(٣) الحصى: كثرة العدد. المصدق: الصّدق.

(٥) العجاجة: الصّياح الكثير. الأولق: الجنون.

★ وورد هذا البيت في بعض نسخ الديوان في مطلع القصيدة:

ويا عزّ للوصل الذي كان بَيْننا نضا مثل ما ينضو الخضاب فيخلق

- وورد في اللسان (مادة قشو) هذا البيت:

دع القوم ما احتلوا جنوب قراضم بحيثُ تقشى بيضه المتفلّق

- وورد في اللسان أيضاً (مادة هرق) لكثيّر عزّة هذا البيت:

فأصبحتُ كالمُهريق فضلة مائه لضاحي سراب بالملا يترقرق

وقال: [من الطويل]

١ أَشَاقَكَ بَـرْقٌ آخِـرَ اللَّيْـلِ خَـافِـقُ ... جَرَى مِـنْ سَنَـاهُ بَيْنَـةٌ فـالأبـارِقُ
٢ قَعَدْتُ لَـهُ حتَّـى عَلا الأفْـقَ مَـاؤهُ ... وَسَالَ بِفَعْـمِ الوَبْـلِ مِنْـهُ الدَّوافِـقُ
٣ يُـرَشِّـحُ نبتـاً نـاعِمـاً ويـزِينُـهُ ... نَـدىً وَلَيَـالٍ بعـدَ ذاكَ طَـوَالِقُ
٤ وَكَيْفَ تُرَجِّيها وَمِـنْ دُونِ أرْضِهـا ... جِبَالُ الرُّبا تِلكَ الطِّـوالُ البَـوَاسِـقُ
٥ حَوَاجِرُهـا العُليـا وأَرْكَـانُهـا التـي ... بِهـا مِـن مَغَـافيـرِ العِنـازِ أَفـارِقُ
٦ وأنتِ المُنى يَـا أُمَّ عَمـروٍ لـو آنّنـا ... نَنَالُكِ أو تُـدْنـي نَـوَاكِ الصَّفـائِـقُ
٧ لأَصْبَحْتُ خِلْواً من هُمُومٍ وَمَا سَرَتْ ... عَلَـيَّ خَيَـالاتُ الحَبيـبِ الطَّـوارِقُ
٨ بِـذِي زَهَـرٍ غَـضٍّ كَـأَنَّ تِلاعَـهُ ... ـ إذا أشرفَتْ حجراتهنَّ ـ النَّمـارِقُ
٩ إذا خرَجَتْ مِـنْ بَيْتِهـا رَاقَ عَيْنَهَـا ... مُعَـوَّذُهُ، وأعْجَبَتْهَـا العَقـائِـقُ
١٠ حَلَفْتُ بِـرَبِّ المُـوضِعِيـنَ عَشِيَّـةً ... وَغِيطَـانُ فَلْـجٍ دُونَهُـمْ والشَّقـائـقُ

(١) بينة: موضع من الجيّ، وهو وادي رويثة الذي ذهب بأهله وهم نيام، والرويثة متعشّى بين العرج والرّوحاء. أبارق بينة قرب الرّويثة.

(٢) الفعم: أغزر المطر وأعظمه قطراً. الوبل: المطر الغزير. الدوافق: الأدوية المتدفّقة بالماء.

(٣) رشّح الغيث النّبات: رواه. الليالي الطّالقة: السّاكنة المضيئة.

(٤) الرّبا: موضع بين الأبواء والسّقيا من طريق الجادّة بين مكّة والمدينة. البواسق: المرتفعة.

(٥) الحواجر: ما استتر وعلا من الأرض. مغافير: الغفر أي ولد الأروية. العناز: جمع عنز. الأفارق: قطعان متفرّقة.

(٦) الصّفائق: صوارف الخطوب وحوادثها، وهي الصوافق أيضاً.

(٧) الطّوارق: التي تأتي ليلاً.

(٨) النّمارق: جمع النّمرق، الوسادة الصغيرة يُتّكا عليها. شبّه التلال الخضراء بالنّمارق.

(٩) المعوّذ من الشجر: ما نبت في أصل هَدَفٍ أو شجرة أو شجر يستره لأنّه كأنّه يُعوّذ بها. العقائق: النّهاء والغدران في الأخاديد المنعقّة (أي المحفورة)، وقيل: العقائق هي الرمال الحمر. يصف سقوط المطر، ونموّ النّبات وإعجاب هذه المرأة بما شاهدتها حول بيتها منه.

(١٠) الموضِعين: الذين حملوا ركابهم على العدو السّريع. فلج: اسم بلد وقيل اسم واد. الشّقائق: موضع.

١١ يَحُثُّون صُبْحَ الحُمْرِ خُوصاً كأَنَّها بِنَخْلَةَ مِنْ دُون الوَحِيفِ المَطَارِقُ
١٢ سِراعٌ إذا الحادي زقاهنَّ زَقْيَةً جَنَحْنَ كما استُلَّتْ سُيُوفٌ ذوالقُ
١٣ إذا قرَّطُوهنَّ الأَزِمَّةَ وارتَدُوا أَبَيْنَ فَلَمْ يَقْدِرْ عليهنَّ سَابِقُ
١٤ إذا عَزَمَ الرَّكْبُ الرَّحِيلَ وأشْرَفَتْ لهنَّ الفيافي والفِجاجُ الفياهقُ
١٥ على كُلِّ حُرْجوجٍ كأنَّ شَلِيلَها رواقٌ، إذا ما هَجّر الرَّكْبُ، خافقُ
١٦ لقد لَقِيَتْنا أمُّ عمروٍ بِصَادِقٍ مِنَ الصرْمِ ، أَوْ ضَاقَتْ عليه الخلائقُ
١٧ سوى ذكرةٍ منها إذا الرَّكْبُ عرّسوا وَهبّتْ عَصَافيرُ الصرّيمِ النّواطقُ
١٨ ألم تسألي يا أمّ عَمروٍ فَتُخْبَري سَلِمْتِ وأَسْقَاكِ السَّحَابُ البَوَارِقُ

★ ★ ★

١٩ بَكِيّاً لِصَوْتِ الرَّعدِ خُرْسٌ رَوَائحٌ وَنَعْقٍ وَلَمْ يُسْمَعْ لهُنَّ صَوَاعِقُ

---

(١١) الصّبح: جمع أصبح وصبحاء، ما كان في لونه بياض يضرب الى الحمرة، يريد النّوق شبّهها بالحمر الصّبح. الخوص: الغائرة الأعين من الاعياء. نخلة: نخلة الشامية، واديان لهذيل على ليلتين من مكة. الوحيف: موضع. المطارق: شبّه الإبل بالمطارق لنحولها.

(١٢) زقا: صاح. الذّوالق: الحادّة.

(١٣) قرّط الزّمام: أرخاه وجعله وراء أذن المطيّة عند الركض.

(١٤) الفيافي: الصّحاري الواسعة. الفياهق: المترامية الأطراف.

(١٥) الحرجوج: النّاقة الطّويلة الظهر. الشّليل: مسح من صوف أو شعر يجعل على عجز البعير. هجّر: سار في حرّ الهاجرة. يصف النّاقة التي تعدو وقد انتصب الشّليل وكأنّه رواق خافق فوق ظهرها.

(١٦) عليه: على الشّاعر، يقول إنّها واجهته بالصّرم والهجران.

(١٧) عرّسوا: أناخوا جمالهم للرّاحة. الصّريم: الصّبح.

(١٩) في البيت اضطراب كما يبدو وقد ورد على هذه الصّورة في كتاب الحيوان (٤ : ٤٠٧). بكِيّاً: كثير البكاء. الخرس: جمع خرساء، السّحابة التي لا رعد فيها ولا برق ولا يسمع لها صوت رعد. والبيت بوقوعه في هذا الموضع منقطع الصّلة بما قبله، وحقّه أن يأتي مع الأبيات التي وصف فيها الشّاعر البرق والمطر

— 71 —

وقال: [من البسيط]

١ أَلمِمْ بِعَزَّةَ إنَّ الرّكْبَ مُنْطَلِقُ ... وَإنْ نَأتْكَ وَلَمْ يُلْمِمْ بها خَرَقُ

٢ قَامَتْ تَراءَى لَنَا وَالْعَيْنُ سَاجِيَةٌ ... كأَنَّ إنْسانَها في لُجّةٍ غَرِقُ

٣ ثُمَّ استَدارَ عَلَى أرْجَاءِ مُقْلَتِهَا ... مُبادراً خَلَسَاتِ الطَّرْفِ يَسْتَبِقُ

٤ كأنّهُ حِينَ مَارَ المَأْقيَان بِهِ ... دُرٌّ تَحَلَّلَ مِن أَسْلاكِهِ نَسَقُ

٥ وَلِلْعَبيرِ عَلَى أَصْدَاغِهَا عَبَقٌ ... كأنّه بِجَنوبِ المِحْجَرِ العَلَقُ

٦ تُنِيلُ نَزْراً قَليلاً وَهْيَ مُشْفِقَةٌ ... كما يَهابُ نَشِيشَ الحيّةِ الفَرِقُ

* * *

٧ تأرّجَ الحيُّ إذْ مَرّتْ بظُعْنِهِمُ ... ليلى ونَمَّ عليها العَنبرُ العَبِقُ

— 72 —

وقال: [من البسيط]

١ أَقْوَى وأَقْفَرَ مِنْ مَاوِيَّةَ البُرَقُ ... فَذُو مُراخٍ فقَفْرُ العَلْقِ فالحُرَقُ

---

(١) نأتك: بعدت عنك. الخرق: الدّهش والتحيّر من الخوف أو الحياء أو غيره.

(٢) ساجية: ساكنة، فاترة اللحظ من الحياء والدّلال. الإنسان: ناظر العين وسوادها.

(٣) استدار: يعني الدّمع. خلسات الطرف: النظر في خلسة ومخاتلة واستراق النظر على عجل.

(٤) مار: تحرّك مضطرباً. المأقيان: مثنّى مأقيً وهو مؤخّر العين وطرفها من جهة الأنف، ومنه ينسكب الدّمع أوّل ما يسيل. نسق: منتظم في عقده على نظام واحد.

(٥) الصدغ: ما بين العين والأذن من جانب الوجه. محجر العين: ما أحاط بها.

(٦) النّزر: القليل اليسير. مشفقة: جزعة متخوّفة. نشيش: صوت. الفَرِق: الخائف المذعور.

(٧) تأرّج: تضوّع وانتشرت فيه الرّائحة الذكية. نمّ: انتشرت رائحته.

---

(١) أقوى: درس وعفا أثره. ماويّة: اسم امرأة. البُرق: جمع برقة ولعلّه يشير إلى موضع بعينه. المراخ: موضع قريب من المزدلفة. العلق والحرق: موضعان.

٢ فآكُمُ النَّعْفِ وَحْشٌ لا أنيس بِهَا إلاَّ القَطَا فَتِلاعُ النّبْعَةِ العُمُقُ

— 73 —

وقال يمدح عبد العزيز بن مروان: [من الطويل]

١ وَقُلنَ وَقدْ يَكْذِبْنَ فيكَ تَعيّفٌ وشُؤمٌ إذا مَا لَمْ تُطَعْ صَاحَ ناعِقُهْ
٢ فأعيَيْتَنَا لا رَاضياً بكَرَامَةٍ ولا تَاركاً شَكْوَى الذي أَنْتَ صَادِقُهْ
٣ وأدْرَكْتَ صَفْوَ الوُدّ مِنّا فلُمْتَنا وَلَيْسَ لَنَا ذنْبٌ فنَحْنُ مَواذِقُهْ
٤ وألفَيْتَنا سِلْماً فَصَدَّعْتَ بَيْنَنا كما صَدَّعَتْ بينَ الأديمِ خوالقُهْ

★ ★ ★

٥ يُرَجِّعُ في حيزومِهِ غَيْرَ بَاغِمٍ يَراعاً من الأحْشَاءِ جُوفاً هنابِقُهْ
٦ إذا مَا رمَى قصْدَ المَلا لحِقَتْ بِهِ عَلاةٌ كمِرْداةِ القِذافِ تُرَاشِقُهْ
٧ يُجرِّرُ سِرْبالاً علَيْهِ كأَنَّهُ سَبيُّ هِلاَلٍ لم تُخرَّقْ شَرَانِقُهْ
٨ إذا المَرْءُ لَمْ يَبْذُلْ مِنَ الوُدِّ مثلما بذلتُ لهُ فاعْلَمْ بأنّي مُفارِقُهْ
٩ ولا خيرَ في وُدّ امرىءٍ مُتَكَارِهٍ عَلَيكَ ولا في صَاحِبٍ لا توافِقُهْ

---

(٢) آكم: جمع أكمة، الجبل الصغير. النّعف: المكان المرتفع. تلاع: مواضع مرتفعة ينحدر منها الماء. النّبعة: جبل بعرفات.

---

(١) تعيّف: من عاف، أي صدّ وامتنع وكره. شؤم صاح ناعقه: شؤم أنذر بالشّر ناتج عن صعوبة خلقه وأطباعه.

(٢) أعييتنا: حيّرتنا، هو لا يرضى بمحبّتهنّ ولا يبوح بشكواه إليهنّ.

(٣) مواذقه: أي لا نخلص لك فيه والضمير يعود الى «الودّ».

(٤) صدّعت. شقّت. الأديم: الجلد. خوالق: جمع خالق وهو صانع الأديم. والمعنى: وجدتنا في حال التئام شمل وطمأنينة نفس فعرّضت وصْلنا للتّصدّع.

(٥) الحيزوم: الصّدر. باغَم: كلّم بصوت رقيق ناعم. اليراع: القصبة. الهنابق: المزامير. شبّه نهيق حمار الوحش بتردّد الصوت في المزمار من القصب.

(٦) الملا: اسم موضع. العلاة: السندان، شبّه الأتان بها. المرداة: الصّخرة. تراشقه: تباريه.

(٧) السّبيّ: جلد الحيّة تسلخه. الهلال: الحيّة. الشّرانق: ما انسلخ من جلده.

١٠ إذا المال لم يُوجِبْ عَلَيكَ عَطاءَهُ صَنيعةُ قُرْبَى أَو صَدِيقٌ تَوامقُهْ

١١ منَعْتَ وبعْضُ المَنْعِ حزْمٌ وقوَّةٌ فلَمْ يفتلذْكَ المالَ إلاَّ حقائِقُهْ

١٢ إذا مَا أَفَاد المالَ أودى بفضلِهِ حُقُوقٌ فكُرْهُ العَاذِلاتِ يوافِقُهْ

١٣ ويرفعُ نَصْلَ السَّيفِ عَنْ كَعْبِ ساقِهِ وَلَوْ أطْوَلَ القينُ الحَمَائِلَ، عاتقُهْ

١٤ فَبُورِكَ ما أَعْطَى ابنُ ليلى بِنِيَّةٍ وَصَامِتُ ما أعطى ابن ليلى وناطقُهْ(*)

---

(١٠) توامقه: تبادله الحُبّ.

(١١) افتلذ: أخذ فلذة أي قطعة. الحقائق: كلّ ما يجب على المرء أن يحميه.

(١٢) أفاد: أعطى. أودى به: ذهب به. كره العاذلات يوافقه: هو كريم والعاذلات يحاولن منعه من التّمادي في كرمه.

(١٣) عاتقه: ما بين منكبه وعنقه، وعاتق فاعل يرفع. يصفه بطول القامة.

(١٤) المال الصّامت: الذّهب والفضّة. المال النّاطق: الحيوان.

* وأورد له ابن جنّي قوله (٢: ١٥٥ ب):

على ظهر عاديّ تلوح متونه بنان ترامى بالركاب سمالقه

وقوله (٢: ١٣٩):

على أن أطلالاً بموضع صالف كزقّ اليماني لم تُغَيِّر مهارقه

وقال يرثي صديقه خندقاً الأسديّ:

كان خندق بن مرّة الأسديّ ـ أو خندق بن بدر ـ صديقاً لكثير، وكانا يقولان بالرجعة، فاجتمعا بالموسم فتذاكرا التشيع، فقال خندق: لو وجدت من يضمن لي عيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد ﷺ، وظلم الناس لهم وغصبهم إياهم على حقهم، ودعوت إليهم وتبرأت من أبي بكر وعمر، فضمن كثيّر عياله، فقام ففعل ذلك وسبَّ أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما، وتبرّأ منهما، وقال: أيها الناس، إنّكم على غير حق، قد تركتم أهل بيت نبيّكم، والحق لهم وهم الأئمة (ولم يقل عمر بن شبة إنّه سبَّ أحداً) فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه، ودفن خندق بقنونى، فقال إذ ذاك كثيّر يرثيه: [من الطويل]

١ أَصَادِرَةٌ حُجّاجُ كَعْبٍ وَمَالِكٍ على كُلِّ عَجْلى ضَامِرِ البطنِ مُحْنِقِ
٢ بمَرْثِيَةٍ فيها ثَناءٌ مُحَبَّرٌ لأزْهَرَ مِن أولادِ مُرَّةَ مُعْرِق
٣ كأنَّ أخَاهُ في النَّوائبِ مُلْجَأٌ إلى عَلمٍ مِنْ رُكْنِ قُدْسَ المُنَطَّقِ
٤ يَنالُ رجالاً نَفْعُهُ وهْوَ مِنْهُمُ بَعيدٌ كَعَيّوق الثُّرَيّا المُعلّقِ
٥ تقولُ ابنَةُ الضَّمْريّ ما لَكَ شاحِباً وَلَوْنُكَ مُصْفَرٌ وإنْ لم تَخَلّقِ

---

(١) أصادرة: أراجعة عن الماء. كعب: من خزاعة. مالك: يعني مالك بن النضر بن كنانة. محنق: ضامرة هزيلة.

(٢) مرثية: اسم موضع. محبّر: اسم مفعول من حبّر أي زيّن وحسّن وجوّد. الأزهر: المشرق الوجه. مرّة: قبيلة. المعرق: صاحب الأصل العريق في الكرم.

(٣) أخاه: يعني نفسه. العلم: الجبل. قدس: جبل شامخ بأرض نجد، وقيل جبلان بالحجاز يقال لهما القدسان قدس الأبيض وقدس الأسود وهما عند ورقان والقدسان جميعاً لمزينة. المنطّق: الذي التفّ حوله الغيم والضّباب.

(٤) العيّوق: كوكب أحمر مضيء بحيال الثّريّا في ناحية الشّمال ويطلع قبل الجوزاء، يضرب به المثل في البعد.

(٥) ابنة الضمريّ: عزّة. تخلّق: تتخلّق، تدهن بالطيب من الزعفران.

٦ فقلتُ لها لا تَعْجَبي مَن يَمُتْ لهُ أخٌ كأبي بَدْرٍ وَجَدِّكِ يُشْفَقِ
٧ وأمْرٍ يُهِمُّ النّاسَ غِبُّ نِتاجِهِ كَفَيْتَ وَكَرْبٍ بالدَّواهي مُطرِّقِ
٨ كَشَفْتَ أبا بَدْرٍ إذا القَوْمُ أحْجَمُوا وعَضَّتْ مَلاقي أمْرِهِمْ بالمُخَنَّقِ
٩ وَخَصْمٍ أَبا بَدْرٍ أَلَدَّ أَبَتَّهُ على مِثْلِ طَعْمِ الحَنْظَلِ المتفلّقِ
١٠ جَزَى الله خيراً خِنْدِقاً مِنْ مكافىءٍ وَصَاحِبَ صِدْقٍ ذي حِفاظٍ وَمِصْدَقِ
١١ أقامَ قَناةَ الوُدّ بَيْني وبَيْنَهُ وَفارقني عَن شِيمَةٍ لَمْ تُرَنَّقِ
١٢ حَلَفْتُ على أَنْ قَدْ أَجَنَّتْكَ حُفْرَةٌ بِبَطْنِ قَنَوْنا لَوْ نَعيشُ فَنَلْتقي
١٣ لأَلْفَيْتَني بالوُدِّ بَعْدَكَ دائماً عَلى عَهْدِنا إذْ نَحْنُ لَمْ نَتَفَرَّقِ
١٤ إذا ما غَدا يَهْتَزُّ للمَجْدِ والنَّدَى أشَمُّ كغُصْنِ البانَةِ المُتَوَرِّقِ
١٥ وإنّي لجازٍ بالّذي كانَ بَيْنَنا بَني أسدٍ رَهْطَ ابْنِ مُرَّةَ خِندِقِ

---

(٦) يشفق: يخاف ويجزع.

(٧) غب نتاجه: عاقبته. كفيت: منعت. الكرب: الغمّ. المطرّق: أي الذي يلد الدّواهي.

(٨) كشف الأمر: أزاله ورفعه. الملاقي: ملتقى الحبال وقد أحاطت بالعنق. المخنّق: موضع الخناق أي العنق.

(٩) ألَدّ: شديد الخصومة. أبتّه: جعلته يبيت.

(١٠) خندق: خندق بن مرّة الأسدي. ذو حفاظ ومصدق: ذو شجاعة وصدق.

(١١) القناة: العصا، كناية عن المودّة، والعرب يكنّون باستواء العصا وملاستها عن دوام الودّ. فإذا تشقّقت العصا فمعنى ذلك تفرّق الشّمل والاختلاف. ترنّق: تكدّر.

(١٢) أجنّتك: أخفتك، ومنها الجنين وقد اختفى في بطن أمّه. قنونا: وادٍ من أودية السّراة يصبّ الى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكّة قرب حلي، وبالقرب منها قرية يقال لها يبت. وقال البكري: قنونى: موضع بقرب مكّة. وقال الأصفهاني: قنونا: جبل في بلاد غطفان والذي عنى كثيّر ليس به، لكنّه في طريق اليمن لمن خرج من مكّة في طريق تهامة.

(١٥) جازٍ: مكافىء. كان خندق الأسدي بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة فذلك سمّاه ابن مرّة.

— 75 —

وقال: [من الوافر]

١ صَـديقُـكَ حيـنَ تَسْتَغْنـي كَثيـرٌ   وَمَا لَكَ عِنْدَ فَقْرِكَ مِـن صـديـقِ
٢ فَلا تُنْكِـرْ عَلَـى أَحَـدٍ إذا مـا   طَـوَى عَنْـكَ الزِّيَـارَةَ عنـدَ ضِيـقِ
٣ وَكُنْـتُ إذا الصَّـديـقُ أَرادَ غَيْظي   على حَنَـقٍ وَأَشْـرَقَنِي بِـرِيقِـي
٤ غَفَـرْتُ ذُنُـوبَـهُ وَصَفَحْـتُ عَنْـهُ   مَخَـافَـةَ أَنْ أَكُـونَ بلا صَـدِيـقِ

— 76 —

وقال: [من الوافر]

١ ولَـوْلا حُبُّكُـم لَتَضَـاعَفَتْنـي   هَضِيـمُ الكَشْـحِ طيِّعَـةُ العِنـاقِ
٢ كـأَنَّ مغـارزَ الأَنيـابِ مِنهـا   إذَا مَـا الصُّبْـحُ نَـوَّرَ لانْفِلاقِ
٣ صَلِيـتُ غَمـامَـةٍ بجَنـاةِ نَحْـلٍ   صَفَـاةِ اللَّـوْنِ طَيِّبَـةِ المَـذاقِ

★ ★ ★

٤ مَقيلـي كُـلَّ هَـاجِـرةٍ صَخُـودٍ   عَلَـى هَـوْجَـاءَ لاحِقَـةِ الصِّفَـاقِ
٥ قَضَيْتُ لُبَانَتـي وَصَـرَمْـتُ أَمْـرِي   وَعَـدَّيْـتُ المَطِيّـةَ فـي بُسـاقِ

(١) تستغني: تصبح غنياً.
(٢) طوى: قطع.
(٣) أشرقني بريقي: جعلني أغصّ به.

(١) تضاعفه: أدّى به إلى الضّعف. هضيم الكشح: ضامرة الخصر.
(٢) الانفلاق: بزوغ الصّباح.
(٣) الصّليت: الانصباب، يعني الماء. صفاة: صافية.
(٤) المقيل: مكان القيلولة أو زمانها. الصّخود: الشّديدة الحرّ. الصّفاق: الجلد الذي تحت الجلد الظّاهر. يقول إنّه يقيل في حرّ الهاجرة على ناقة هزيلة ضامرة لشدّة ما تحمّلت من مصاعب السّير.
(٥) لبانتي: حاجتي. بساق: جمع بسقة وهي الحرّة، وقيل جبل بين أيلة والتيه.

٦ وَكَمْ قَـدْ جَـاوَزَتْ نِقْضـي إليكُـمْ مِـنَ الحُـزُزِ الأَمَـاعِـز والبِـراقِ
٧ هِلاَلَ عَشِيَّـةٍ لِشِفَـا غُـرُوبٍ تَسَـرَّر لَيْلَـةً بَعـدَ المُحَـاقِ

★ ★ ★

٨ إذا ضَمْـرِيّـةٌ عَطَسَـتْ فَنِكْهـا فـإنَّ عُطـاسَهَـا طَـرَفُ الوِداقِ

---

(٦) النّقض: النّاقة التي أضناها السّفر. الحزز، جمع حزيز وهو ما غلظ وصلب من جلد الأرض مع إشراف قليل. الأماعز: جمع أمعز، وهي الأرض الغليظة الصّلبة. البراق: جمع برقه. وهي غلظ فيه حجارة وطين.

(٧) المحاق: آخر الشّهر القمري.

(٨) الوداق في كلّ ذات حافر: اشتهاء الفحل.

قافية الكاف

— ٧٧ —

وقال يمدح يزيد بن عبد الملك : [من الطويل]

١ شَجَا قَلْبَهُ أَظهانُ سُعْدى السَّوَالكُ ... وأَجْمَالُها يَومَ البُلَيْدِ الرَّواتِكُ

٢ أقولُ وَقَدْ جاوَزْنَ أَعْلامَ ذي دَمٍ ... وَذي وَجَمَى أَوْ دونَهُنَّ الدَّوانِكُ

٣ تَأَمَّلْ كَذَا هَلْ ترْعوي وكأنّما ... مَوَائِجُ شِيزَى أمْرَحَتْها الدّوامكُ

٤ وَهَل تَرَيْني بَعْدَ أَنْ تُنزَعَ البُرَى ... وَقَدْ أُبْنَ أنضاءً وَهُنَّ زَوَاحِكُ

٥ وَرَدن بُصاقاً بعدَ عِشرينَ لَيْلَةً ... وهُنَّ كَليلاتُ العُيونِ ركائِكُ

---

(١) البليد : عين لبني عبدالله بن عنبسة بن سعيد بن العاصي. الرّواتك : جمع راتكة ، من النّوق التي تمشي وكأنّ برجليها قيداً وتضرب بيديها .

(٢) ذو دم ، وذو وجمى : موضعان. الدوّانك : واديان لبني سليم (جمع الشّاعر اللفظة إضافة الى ما يليها)

(٣) ترعوي : تعود . الموائج : جمع مائج ، وهو الذي يرتفع ويضطرب. الشّيزى : قصاع تتّخذ من خشب يسمّى الشّيزى . أمرحتها : جعلتها تثب وتقفز . الدّوامك : المسرعات من الإبل .

(٤) البرى : حلق يجعل في أنف البعير . أُبْنَ : رجعنَ . أنضاء : هزيلات . زواحك : من زحك البعير إذا أعيا .

(٥) بصاق : موضع قريب من مكّة ، وقيل جبل بين أيلة والتيه . كليلات : من كلّ البصر إذا لم يحقّق المنظور . ركائك : ضعاف .

٦ فأُبْنَ وما مِنْهنَّ مِن ذاتِ نجْدةٍ ولو بلَغَتْ إلاّ تُرى وهْيَ زاحِكُ
٧ نَفَى السَّيْرُ عَنْها كُلَّ داءِ إقامةٍ فَهُنَّ رَذَايا بالطَّريقِ تَرائِكُ
٨ وحُمِّلَتِ الحاجاتِ خُوصاً كأنَّها وقد ضَمِرَتْ صُفْرُ القِسِيِّ العواتكُ
٩ ومَقربَةٌ دُهمٌ وكُمْتٌ كأنَّها طَمَاطِمُ يُوفُونَ الوُفُورَ هَنادِكُ
١٠ كأنَّ عَدَوْلِيّاً زُهاءَ حُمُولها غَدَتْ تَرْتمي الدَّهنا بها والدَّهالكُ
١١ وَفَوْقَ جِمالِ الحيِّ بيضٌ كأنَّها على الرَّقْم آرامُ الأثيلِ الأوارِكُ
١٢ ظِبَاءُ خَريفٍ خَشّت السّدر خُضَّع ثَنَى سِرْبَها أطْفَالُهُنَّ العوالكُ
١٣ فَمَا زِلتُ أُبقِي الظَّعْنَ حتَّى كأنَّها أواقِي سَدىً تَغْتالهُنَّ الحَوَائكُ
١٤ فإنَّ شِفائي نَظْرةٌ إنْ نظَرْتُها إلى ثَافِلٍ يوْماً وَخَلْفي شنائِكُ

---

(٦) النجدة: الشّدّة. زاحك: معيية ، متعبة.

(٧) الرذايا: جمع رذيه، النّاقة المهزولة من الـسّير. ترائك: جمع تريكة بمعنى متروكة.

(٨) الخوص: الغائرة الأحداق. العواتك: جمع عاتكة، القوس إذا قدمت واحمرّت. شبّه المطايا الهزيلة بالقسيّ.

(٩) المقربة: التي تُقرّب وتُكرّم. دهم: سوداء؛ الطماطم: جمع طمطم، الذي في لسانه عجمة لا يفصح. يوفون: يطيلون. الوفور: ما سال على الأذنين من الشّعر. هنادك: رجال الهند. قال ابن جنّي: وظاهر القول يقتضي أن تكون الكاف زائدة، قال: ويقال: رجل هندي وهندكي.

(١٠) العدولي: نسبة الى قرية بالبحرين يقال لهما عَدَوْلَى. الدهنا: الدهناء، رمال في طريق اليمامة الى مكّة. الدّهالك: آكام سود هناك معروفة.

(١١) الرّقم: البرود المخطّطة. آرام: جمع ريم. الأثيل: اسم موضع. الأوارك: جمع الأراك، نوع من الشّجر.

(١٢) خشّت: دخلت. السّدر: شجر النّبق. العوالك: التي تلوك الطعام وتمضغه.

(١٣) أبقي الظعن: أرصدها وأراقبها، وقال في اللسان بعدما روى هذا البيت: يقول شبّهت الأظعان في تباعدها عن عيني ودخولها في السّراب بالغَزْل الذي تسديه الحائكة فيتناقض أوّلاً فأوّلاً. الأواقي: جمع أوقية فيثقل ويخفّف. السّدى من الثوب: ما مدّ من خيوطه طولاً. الحوائك: جمع حائكة.

(١٤) ثافل: جبل من جبال تهامة وهما جبلان، والأصغر منهما لبني ضمرة قوم عزّة. شنائك: ثلاثة أجبل صغار منفردات من الجبال بين قديد والجحفة من ديار خزاعة.

١٥ وإنْ بَدَتِ الخَيْماتُ مِنْ بَطْنِ أرْثَدٍ   لنا وفيافي المَرْختينِ الدَّكادِكُ
١٦ تجنَّبْتَ لَيْلى عَنْوَةً أنْ تَزُورَهَا   وأنتَ امرُؤٌ في أهلِ وُدّكَ تارِكُ
١٧ أقولُ إذا الحَيّان كَعْبٌ وعامِرٌ   تَلاقَوْا ولَفّتْنا هُناكَ المَناسِكُ
١٨ جزى الله حيّاً بالموَقَّرِ نَضْرَةً   وَجَادَتْ عَلَيهِ الرَّائحاتُ الهواتكُ
١٩ بكُلّ حثيثِ الوَبْلِ زَهْرٍ غَمَامُهُ   لَهُ دِرَرٌ بالقَسطَلَيْنِ حَوَاشِكُ
٢٠ كما قَدْ عَمَمْتَ المؤمِنينَ بنائلٍ   أبا خالدٍ صَلّتْ عليكَ الملائكُ

★ ★ ★

٢١ وَمَا يَكُ منّي قَدْ أتَاكَ فإنَّهُ   عِتَابٌ، أبا مروان، والقَلبُ سَادِكُ

---

(١٥) أرثد: اسم واد بين مكّة والمدينة في وادي الأبواء. المرختان: يمانيّة وشآمية، الأولى لعضل من بني الدّيش والثّانية لبني قريم. الفيافي الدّكادك: الصّحاري الغليظة.

(١٦) العنوة: القهر وأهل الحجاز يقولون الطّاعة، وفي لهجة كثيّر ، الاختيار والطّاعة. تارك: مبق .

(١٧) المناسك: مناسك الحجّ وعباداته.

(١٨) الموقّر: موضع بنواحي البلقاء. الهواتك: التي تمطر في الهتكة وهي ساعة من الليل.

(١٩) حثيث الوبل: غزير المطر. القسطلين: أراد القسطل فثنّاه على عادة الشّعراء والقسطل مجاور للموقّر. الحواشك: السّحائب التي حشك ماؤها أي غزر.

(٢٠) أبو خالد: كنية يزيد بن عبد الملك.

(٢١) السّادك: المولع بالشّيء. ويروى هذا البيت مع أبيات أخرى في مدح بشر بن مروان.

قافية اللام

— 78 —

قال يهجو بني ضمرة ويفتخر برهطة: [من الطويل]

١ (سَقَى دِمْنَتين لَمْ نَجِدْ لَهُمَا مِثْلا   بحَقْلٍ لَكُمْ يا عَزَّ قَدْ زَانتا حقلا)
٢ نَجَاءُ الثُّريّا كَلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ   يجودُهُما جُوداً ويُتْبِعُهُ وبْلا
٣ إذا شَحَطَتْ دارٌ لِعَزَّةَ لَمْ أجِدْ   لها في الأُولَى يلْحَيْنَ في وَصْلِها مِثْلا
٤ فَيَا لَيْتَ شِعْري والحَوَادثُ جَمّةٌ   مَتَى تَجْمَعُ الأيّامُ يوماً بها شَمْلا
٥ وَكَيْفَ يَنَالُ الحَاجِبِيّةَ آلفٌ   بيَلْيَلَ مُمْساهُ وقد جاوَزَتْ نَخلا
٦ فَيَا عَزَّ إنْ وَاشٍ وشَى بيَ عندكُمْ   فلا تُكْرِمِيهِ أَنْ تَقُولِي لهُ أهْلا
٧ كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بوَدّكِ عِنْدنا   لَقُلْنَا تزَحْزَحْ لا قريباً ولا سَهْلا

---

(١) حقل: مكان دون أيلة بستة عشر ميلاً كان لعزّة صاحبة كثيّر فيه بستان. وهذا البيت للأفوه الأودي واستعاره كثيّر (الأغاني ٢٢ : ١٦٤).

(٢) النجاء: المطر الشّديد. الوبل: المطر الغزير.

(٣) شحطت: بعدت. لحى: لام.

(٤) الشّمل: ما اجتمع من الأمر.

(٥) يليل: بين بدر وبين العقنقل الكثيب الذي خلفه قريش. نخل: قرية لبني فزارة بن عوف على ليلتين من المدينة.

(٦) الواشي: النّمّام.

(٧) تزحزح: ارحل.

٨ فَأَهْلاً وسَهْلاً بالـذي شَـدَّ وصْلنـا ولا مرْحباً بالقَائِلِ آصْرِمْ لهـا حبلا
٩ أَلَمْ يأنِ لي يَا قَلْبِ أن أترُكَ الجَهْلا وأن يُحدِثَ الشّيبُ المُلِمُّ لِيَ العَقْلا
١٠ على حِين صَارَ الرَّأسُ مِنّي كـأنّمـا عَلَتْ فوْقهُ نـدّافَـةُ العَطَـبِ الغَـزْلا

★ ★ ★

١١ وَنَحْـنُ مَنَعْنَـا مِـنْ تِهـامَـةَ كلِّهـا جُنُوبَ نَقَا الخوّارِ فالدَّمِـثَ السّهْلا
١٢ بِكُلّ كُمْيتٍ مُجفَـرِ الدَّفِّ سـابِـحٍ وكُـلِّ مِـزاقٍ وَرْدةٍ تعلِـكُ النِّكْلا
١٣ غوامضُ كالعقبانِ إن هي أُرْسلَـتْ وإن أُمْسكَتْ عن غَرْبها نَقلَـتْ نَقلا
١٤ عَلَيْهِنَّ شُعْثٌ كالمَخَـاريـقِ كلُّهُـمْ يُعـدُّ كَـريمـاً لا جَبَـانـاً وَلاَ وَغْلا
١٥ بِـأيـدِيهِـمُ خطّيّـةٌ وَعَلَيهِـمُ سَوَابغُ فِرْعَـونيّـةٌ جُـدِلَـتْ جَـدْلا
١٦ تَرَانـا ذَوِي عِـزٍّ وَيَـزْعُـمُ غَيْـرُنـا من آعدائِنـا أنْ لا يَـرَوْنَ لنـا مِثلا
١٧ نُحَارِبُ أَقْوَامـاً فنَسْبِـي نِسَـاءَهُـمْ وَنُصْفِدُهُمْ أَسْـراً وَنُـوجِعُهُـمْ قَتلا
١٨ (فَيُؤخَذُ مِنّـا العَقْـلُ دُونَ دمـائِنـا ونأبـى فلا نَسْتَـاقُ مِـنْ دمنا عقلا)

---

(٨) اصرم: اقطع.
(٩) ألَم يأن: ألَم يئن، من أنى يأني وآن يئين ويقال أَنَى لك أن تفعل كذا... ومعناها حان. الملمّ: النّازل.
(١٠) ندّافة العطب: نَدافة القطن التي تضربه بالمندف.
(١١) النّقا: الرّمل. الخوّار: اسم موضع. الدّمث: المكان اللّين ذو الرّمل.
(١٢) الدّفّ: الجانب. الجفر: العظيم من الشّياه. المزاق: الفرس التي يكاد يتمزّق عنها جلدها لسرعتها. النّكل: حديدة اللجام.
(١٣) غوامض: صغيرة خفيفة تنقضّ مسرعة كالعقبان. الغرب: حدّة النشاط. أمسكت: مُنعت.
(١٤) شعث: رجال مجعّدو الشعر. المخاريق: جمع مخراق، السّيف والسخيّ الجواد. الوغل: الدنيء المتطفّل.
(١٥) الخطّيّة: الرّماح. السّوابغ: الدّروع.
(١٧) نصفدهم: نقيدهم، نوثقهم.
(١٨) العقل: الدّية. استاق: من ساق يسوق. والبيت للأفوه الأودي أيضاً.

١٩ وَيَضْـرِبُ رَيْعَـانَ الكَتِيبـةِ صَفُّنَـا إذا أَقْبَلَـتْ حَتَّـى نُطَـرِّفَهـا رَعْلا
٢٠ وَأَثبتُـهُ دَاراً علـى الخَـوْفِ ثَمْلُهـا فرُوعُ عَوالي الغَابِ أَكْـرِمْ بهـا نَمْلا
٢١ وَأَبْعَـدُهُ سَمْعـاً وأَطْيَبُـهُ نَثـاً وأَعْظَمُـهُ حِلْمـاً وأبعـدُهُ جَهْلا
٢٢ وَأَقْـوَلُـهُ للضّيـفِ أهْلاً ومَـرْحباً وآمَنُـهُ جَـاراً وأوْسَعُـهُ جَبْلا
٢٣ فِسَائِلْ بِقَوْمي كُلَّ أجْـرَدَ سـابـحٍ وَسَلْ غَنَماً رُبّـي بضَمْـرَةَ أوْ سَخْلا
٢٤ سَوَاءٌ كـأَسْنـانِ الحمـارِ فَلا تَـرَى لذي كبرَةٍ منهُمْ عَلَى نَاشـىءٍ فَضْلا
٢٥ وَمَـا حَسَبَـتْ ضَمْـرِيّـةٌ جَـدَوِيّـةٌ سوى التّيْس ذِي القرنَين أنَّ لها بعلا
٢٦ فَأَبلغْ ليَ الذَّفراءَ والجَهْلُ كـاسْمـهِ ومَن يغوِ لا يَعْدَمْ على غِيِّـهِ عَـذْلا

— 79 —

— 79 —

وقال في عبد العزيز(★) : [من البسيط]

١ يـا أَيُّهـا المُتَمَنّـي أنْ يَكُـونَ فتًـى مِثلَ ابنِ ليلى لَقَدْ خَلَّى لَـكَ السُّبُلا

---

(١٩) ريعان الشّيء : أوّله. نطرّفها : نردّها. الرّعل : أن يقطع اللحم ويترك متعلّقاً لا يسقط.

(٢٠) ثملها : من قولك أنت ثمال المساكين أي غياثهم وعصمتهم. فروع عوالي الغاب : أي خيرها معتصماً ومستظلاً لمن يقصدها.

(٢١) النثا : ما أخبرت به عن الرّجل من حسن وشيء.

(٢٢) الجبْل : السّاحة.

(٢٣) أجرد سابح : أي جواد أجرد سريع. ضمرة : اسم موضع : سخل : جمع سخلة أي ولد الشّاة.

(٢٤) سواء : متساوون، ويضرب المثل بأسنان الحمار على الاستواء في الشرّ.

(٢٥) جدويّة : نسبة إلى جديّ بن ضمرة بن بكر بن كنانة. وقيل : إن الأحوص قال لكثيّر : ويحك أتذكر امرأة تنسب بها في شعرك وتستغزر لها الغيث في أوّل شعرك وتحمل عليها التّيس في آخره، فأطرق كثيّر وذلّ وسكن.

(٢٦) الذّفراء : ذات الرّائحة الخبيثة.

(★) قوله «ابن ليلى»، قال ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء ص ٦٢ قال ابن الأثير في المرصّع : ابن ليلى المسمّى به كثير ومن أشهر المسمّين به عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

٢ أَعْدُدْ ثلاثَ خلالٍ قـد جُمِعـنَ لـهُ هَلْ سَبَّ مِن أحدٍ أوْ سُـبَّ أوْ بَخِلا

— 80 —

وقال: [من المتقارب]

١ تَوَهَّمْتُ بـالخَيْـفِ رَسْمـاً مُحِيلا لِعَـزَّةَ تَعْـرِفُ مِنْـهُ الطّلـولا

٢ تَبَـدَّلَ بـالحيِّ صَـوْتَ الصَّـدى وَنَـوْحَ الحَمَـامَـةِ تَـدْعـو هَـديلا

٣ مَتَـى أَرَيَـنَّ كَمَـا قَـدْ أرَى لِعَـزَّةَ بـالمَحْـوِ يـومـاً حُمُـولا

٤ بِقَـاعِ النَّقيـعِ فَحِصْـنِ الحِمَـى يُبـاهِيـنَ بـالـرَّقْـمِ غَيْمـاً مُخيلا

٥ أنَحْـنَ القُـرُونَ فغَلَّلْنَهـا كعقـلِ العَسِيـفِ غَـرَابِيـبَ مِيلا

★ ★ ★

٦ كـأنّـي أكُـفُّ وَقَـدْ أمْعَنَـتْ بهـا مِـنْ سُمَيحَـةَ غَـرْبـاً سَجيلا

٧ وَمَـا أُمُّ خِشْـفٍ تَـرَعّـى بـهِ أرَاكـاً عَميمـاً ودَوْحـاً ظَليلا

---

(٢) خلال: جمع خَلّة أي الخصلة.

---

(١) الخَيف: الخيف الذي عناه كثيّر ليس بخيف منى بل خيف سلام، وسلام رجل من الأنصار وهي قرية سكانها خزاعة وفيها منبر. رسم محيل: رسم أتى عليه حول أي سنة.

(٢) الصدّى: ذكر البوم. الهديل: ذكر الحمام.

(٣) المحو: اسم موضع من ناحية ساية.

(٤) النّقيع: موضع حماه عمر بن الخطّاب لخيل المسلمين وهو من أودية الحجاز يدفع سيله الى المدينة يسلكه العرب الى مكة، وحمى النّقيع على عشرين فرسخاً أو نحو ذلك من المدينة. الرّقم: البرود المرقوقة. مخيلا: واعداً بالمطر.

(٥) القرون: جمع قرن، خصلة الشّعر. غلّلنها: حشونها بالطّيب وقيّدنها. العقل: الرّبط والعقد. العسيف: الأجير. الغرابيب: السّود يعني أغصان العنب. الميل: المائلة.

(٦) كأنّي أكفّ: كأنّي أملأ ملأً مفرطاً. أمعنت: بالغت فيها. سميحة: بئر قديمة في المدينة غزيرة الماء. غرباً سجيلاً: دلواً ضخمة وهي «مفعول به» لفعل «أكفّ». يشبّه دموعه حين يكفها بدلو عظيمة يستقي بها من بئر سميحة.

(٧) أمّ خشف: ظبية والخشف ولدها. أراكاً: نوع من الشّجر. العميم: العظيم. الدوح: نوع من الشّجر.

٨ وإنْ هِـيَ قـامَـتْ فَمَـا أَثْلَـةٌ   بعَلْيـا تُنـاوِحُ ريحـاً أصيلا
٩ بـأَحْسَـنَ مِنْهَـا، وإنْ أدبـرَتْ   فَـإرْخٌ بجُبّـةَ تَقُـرو خَميلا

★ ★ ★

١١ وَتَمْشِـي الهُـوَيْنـا إذَا أَقْبَلَـتْ   كَمَـا بَهـرَ الجَـزْعَ سَيلاً ثقيلا
١٢ فَطَـوراً يَسِيـلُ عَلَـى قَصْـدِهِ   وَطَـوراً يُـرَاجِـعُ كـي لا يسيلا
١٣ كَمَـا مَـالَ أَبْيَـضُ ذُو نَشْـوَةٍ   بِصَـرْخَـدَ بَـاكَـرَ كَـأساً شَمـولا
١٤ فـإنْ شِئْـتَ قُلْـتَ لَـهُ صـادقـاً   وَجَـدْتُـكَ بـالقُـفِّ ضَبّاً جَحـولا
١٥ مـن اللاّءِ يَحْفِـرْنَ تَحْـتَ الكُـدَى   ولا يَبْتَغِيـنَ الدِّمـاثَ السُّهـولا
١٦ وجرَّبـتَ صِـدقـيَ عِنْـدَ الحِفَـاظِ   وَلَكِـنْ تَعَـاشَيْـتَ أوْ كُنْـتَ فيلا

---

(٨) الأثلة: شجر صلب الخشب جيّده يكثر قرب المياه في الأراضي الرمليّة يرتفع عالياً في السّماء، يشبّه قوام المرأة به. تناوح: تقابل.

(٩) الإرخ: الفتيّ من البقر. جبّة: اسم موضع بالشّام. تقرو: تتبع، تقصد.

(١٠) الأقراب: جمع قرب أي الخاصرة. يقول إنها ضامرة الخصر ضخمة السّاقين.

(١١) بهر: غمر. الجزع: منعطف الوادي. شبّه مشي تلك المرأة بتدافع السّيل حين يتلّقاه منعطف الوادي فيصبح غاية في البطء.

(١٣) أبيض: أي رجل كريم سخيّ بماله. صرخد: بلد في الشّام كان مشهوراً بالخمر. شبّه تعرّج السّيل في تدافعه برجل نشوان.

(١٤) القفّ: ما ارتفع من الأرض وكان صلباً. الجحول: العظيم من الضِّباب. انتقل الشّاعر إلى موضع آخر.

(١٥) الكدى: جمع كدية، أي الموضع الصّلب المرتفع عن السّيل. الدّماث: الأراضي السّهلة اللّيّنة. قال ابن قتيبة: إنّما يحفر (الضّبّ) في الصّلابة خوفاً من انهيار الحجر عليه (المعاني الكبير: ٦٤٣).

(١٦) تعاشيت: تغافلت وتعاميت.

قال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي يمدح عبد الملك بن مروان: [من الطويل]

١ خَليلَيَّ إنْ أُمُّ الحَكيمِ تَحمَّلَتْ ... وَأَخْلَتْ لخيَماتِ العُذَيْبِ ظِلالَها

٢ فَلاَ تَسْقِياني مِنْ تِهَامةَ بعْدَهَا ... بِلالاً وإنْ صَوْبُ الرَّبيعِ أسالَها

٣ وَكُنتُمْ تَزينُونَ البَلاطَ فَفَارقَتْ ... عشيّةَ بِنْتُمْ زَيْنَها وجمَالَها

٤ وقدْ أصْبحَ الرَّاضُون إذ أنتمُ بها ... مَسُوسُ البِلادِ يَشتكونَ وبالَها

٥ فَقَدْ أَصْبَحَتْ شتّى تبثُّكَ ما بها ... وَلا الأرض ما يشكو إليكَ احتلالها

٦ إذَا شَاء أَبْكَتْهُ مَنَازِلُ قد خَلَتْ ... لِعَزَّةَ يوماً أَوْ مَنَاسِبُ قالَها

٧ فهل يُصْبِحَنْ يا عَزُّ من قَدْ قَتَلْتِهِ ... مِنَ الهمّ خِلواً نَفْسُهُ لا هوًى لَها

٨ وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ ردَّها ... غَداةَ الشَّبا أَجْمَالَهَا واحتمالَها

٩ وَقَد لفّنا في أوّل الدَّهرِ نْعمةٌ ... فَعِشْنا زَمَاناً آمنينَ انفْتِالَها

١٠ كآلفةٍ إلفاً إذا صَدَّ وِجْهَةً ... سِوَى وَجْهِهِ حَنَّتْ لهُ فارعوى لها

---

(١) تحمّلت: ارتحلت. العذيب: العذيبة في الأصل وقد اسقط الشاعر الهاء، والعذيبة ماء بين ينبع والجار.

(٢) تهامة: المنطقة الساحليّة من جزيرة العرب على البحر الأحمر، وهنا تهامة الحجاز. البلال: ماء المطر. الصّوب: المطر. أسالها: يعني جعل أودية تهامة تجري بالماء.

(٣) البلاط: صحن المسجد الحرام لأنّ أرض الكعبة مبلّطة بالرّخام.

(٤) الرّاضون: يعني نفسه لأنّه راضٍ ببقاء أمّ الحكيم إلى جانبه. المسوس: التّرياق. الوبال: المكروه، والشّدّة.

(٥) تبثّ: تنشر.

(٦) المناسب: قصائد النّسيب والحبّ.

(٨) ما شرطية جازمة فعلين بمعنى «إنْ». مِ الأشياء: من الأشياء. الشّبا: وادٍ بالأثيل من أعراض المدينة.

(٩) لفّنا: جمع شملنا وعمّنا. الانفتال: الانصراف والتحوّل.

(١٠) الآلفة: ذات الأليف ويعني النّاقة التي ارتحل عنها إلفها. حنّت: رجّعت بصوتها. ارعوى: عاد، رجع.

١١ فَلَسْتُ بِناسيها ولستُ بِتاركٍ ‏ إذا أعرضَ الأُدْمُ الجوازي سُؤالها
١٢ أأُدْرِكُ مِن أمّ الحكيِّم غبطةً ‏ بها خبّرتني الطيرُ أم قد أنى لَها
١٣ أقُولُ إذا ما الطّيرُ مرَّتْ سَحِيقةً ‏ لَعَلّكَ يوماً ـ فانتَظِرْ ـ أن تَنالَها
١٤ فإن تكُ في مصرٍ بِدَارِ إقامةٍ ‏ مجاورةً في السَّاكِنينَ رمالَها
١٥ سَتَأتيكَ بالرُّكبانِ خُوصٌ عَوامدٌ ‏ يُعَارِضْنَ مُبْراةً شَدَدْتُ حبالَها
١٦ عليهنَّ مُعْتَمُّونَ قد وجهّوا لها ‏ صَحابتهُم حتَّى تَجذَّ وصالَها
١٧ متى أخشَ عَدْوَى الدّارِ بيني وبينها ‏ أصِلْ بنواصِي النَّاجياتِ حبالَها
١٨ على ظَهرِ عاديّ تَلوحُ مُتُونُهُ ‏ إذا العِيسُ عالَتْهُ اسْبَطَرَّتْ فَعالَها
١٩ وَحَافيةٍ مَنْكُوبةٍ قَدْ وقيتُها ‏ بنعلي ولَمْ أَعْقِدْ عليها قبالَها
٢٠ لهنَّ منَ النعلِ التي قَد حَذَوْتُها ‏ من الحقّ لو دَافَعْتُها مثلُ ما لَها
٢١ إذا هَبَطَتْ وَعْثاً من الخطّ دَافَعَتْ ‏ عليها رَذايا قَد كَلَلْنَ كلالَها

---

(١١) الأدم: جمع أدماء وهي البيضاء من النّوق. أعرض: اعترضت ولاحت. الجوازي: جمع جازئة، الظّبية التي تستغني بالرّطب عن الماء.
(١٢) الغبطة: المسرّة والنعمة. أنى لها: حان موعدها.
(١٣) سحيقة: بعيدة، والمعنى أنّه يراقب مرور الطّير متفائلاً باللّقاء القريب.
(١٤) رمالها: صحراؤها.
(١٥) الخوص: النّوق الغائرة الأحداق. عوامد: هزيلة من شدّة السّير. المبراة: النّاقة التي توضع في أنفها البرى وهي حلقات من فضّة أو نحاس.
(١٦) معتمّون: يلبسون العمامة. تجذّ: تقطع.
(١٧) عدوى الدّار: يريد عدواء الدّار أي بعدها. النّاجيات: المسرعات من النّوق.
(١٨) العاديّ: الطريق القديم. عالته: ثقلت عليه وغلبته. اسبطرّت: أسرعت متبخترة. عالها: غلبها وثقل عليها.
(١٩) منكوبة: أصابت الحجارة خفّها فاصبح نكيباً. القِبال: زمام النّعل بين الإصبعين.
(٢٠) حذوتها: ألبستها في رجلها.
(٢١) الوعث: المكان السّهل تغرق فيه الأخفاف. الخطّ: الطّريق. الرّذايا: جمع رذيّة، النّاقة التي أصابها هزال شديد من السيّر. الكلل: شدّة التّعب.

٢٢ إذا رَحَلَتْ منها قَلوصٌ تبغَّمتْ   تَبَغُّمَ أُمِّ الخِشفِ تبغي غَزالَهَا
٢٣ تَذَكَّرْتُ أنَّ النَّفْسَ لم تَسْلُ عَنْكُمُ   ولم تقضِ مِنْ حبّي أُمَيّةَ بالَها
٢٤ وأنّي بذي دَوْرانَ تلقَى بكَ النَّوى   عَلَى بَرَدَى تَظعانَها فاحْتمالَها
٢٥ أَصَارِيمَ حَلّتْ مِنْهُمُ سَفْحَ راهطٍ   فأَكْنافَ تُبْنى مَرْجَها فتلالَها
٢٦ كَأنَّ القِيانَ الغُرَّ وسْطَ بيوتِهِمْ   نِعاجٌ بِجوٍّ مِن رُماحٍ خَلا لَها
٢٧ لهُم أنْدياتٌ بالعَشِيِّ وبالضُّحى   بَهاليلُ يرْجُو الرَّاغبونَ نوالها
٢٨ كَأَنَّهُمُ قصْراً مَصَابيحُ رَاهبٍ   بمَوْزَنَ روّى بالسّليطِ ذُبالَها
٢٩ يَجُوسُونَ عَرْضَ العبْقريَّة نَحْوَها   تمسُّ الحواشي أوْ تُلِمُّ نعالَها
٣٠ هُمُ أهلُ ألواحِ السّريرِ ويُمْنةٌ   قَرابينُ أرْدافاً لها وشِمالَها
٣١ يُحيّون بُهْلولاً به ردَّ ربُّهُ   إلى عبدِ شمسٍ عِزَّها وَجَمَالَها
٣٢ مَسَائِحُ فَوْدَيْ رأسهِ مُسْبَغِلَّةٌ   جَرى مِسْكُ دارينَ الأحمُّ خلالَها

---

(٢٢) القلوص: النّاقة الفتية. تبغّم: حنّ. أمّ الخشف: الظّبية. الخشف: ولدها.

(٢٣) البال: الأمل، يبدأ هنا بمدح بني أميّة.

(٢٤) دوران: ما بين قديد والجحفة. بردى: نهر في دمشق.

(٢٥) أصاريم: جمع صِرم وهي الجماعة من النّاس. راهط: المشهور فيه مرج راهط حيث دارت معركة شهيرة بين مروان بن الحكم والقيسيّة وهو على أميال من دمشق. تبنى: قرية من أرض البثنيّة لغسّان من ديار الشّام.

(٢٦) القيان: جمع قينة، الجاريّة والأمة. الغرّ: البيض. نعاج: بقر وحشيّة. رماح: نقا بالدّهناء، وقيل بنجد.

(٢٧) أنديات: جمع نديّ، الصّوت الحسن. بهاليل: أسياد كرام. النّوال: العطاء.

(٢٨) قصراً: في العشيّة. موزن: بلد بالجزيرة. السّليط: الزيّت. ذبال: جمع ذبالة، الفتيلة.

(٢٩) يجوسون. يتخلّلون ماشين. العبقريّة: نوع من البسط والثّياب منسوبة إلى قرية باليمن. والضمير في «نحوها» يعود إلى الأنديات في البيت رقم ٢٧.

(٣٠) السّرير: مجلس الملك. قرابين: جمع قربان وهو جليس الملك والمقرّب منه. الأرداف: الذين يجلسون عن يمين الملك.

(٣١) البهلول: السيّد الكريم.

(٣٢) المسائح: ذوائب شعر جانبي الرأس، وقيل المسيحة ما بين الأذن والحاجب من رأس =

٣٣ أحاطتْ يَداهُ بالخِلافةِ بعْدَما أرادَ رجالٌ آخرونَ اغْتيالَها
٣٤ فما تَركُوها عَنْوَةً عنْ مودَّةٍ ولكنْ بِحَدِّ المَشْرفيّ اسْتقالها
٣٥ هو المرْء يَجزي بالمودَّةِ أهلَها ويَحذُو بنَعلِ المُستَثيبِ قِبالَها
٣٦ بلوْهُ فأعطَوْهُ المقادةَ بعْدما أدَبَّ البلادَ سَهْلَها وجبالَها
٣٧ مَقانِبَ خَيْلٍ ما تزالُ مُظلّةً عليْهمْ فمَلّوا كلَّ يومٍ قتالَها
٣٨ دوافِعَ بالرَّوْحاءِ طوْراً وتَارَةً مَخارِمَ رَضْوى مرجَها فرِمالَها
٣٩ يُقيِّلنَ بالبزْواءِ والجيْشُ وَاقِفٌ مَزادَ الرّوايا يصْطَبِبْنَ فِضالَها
٤٠ وَقَد قابَلتْ مِنها ثرًى مستجيزةً مَباضِعَ في وجْهِ الضُّحَى فثُعالَها

= الإنسان. الفودان: جانبا الرأس. مسبغلّة: ضافية مسترسلة. دارين: قرية مشهورة بجودة مسكها. الأحمّ: الأسْود.

(٣٣) أحاطت: اكتنفت وحمت. اغتيالها: أخذها غيلة.

(٣٤) العنوة: من الأضداد، الطّوع وضدّها القسر. المشرفيّ: المنسوب إلى المشارف وهي قرى للعرب تدنو من الرّيف. استقالها: أخذها وحازها لنفسه.

(٣٥) المستثيب: الذي يحسن الجزاء. يقول إنّه يبادل أهل المودّة بالمودّة ويتمّم عطاءه فلا ينقصه.

(٣٦) بلوه: اختبروه. المقادة: القيادة. أدبّ البلاد: ملأها عدلاً، وقيل: جعلها تدبّ أي تمشي مشياً متمهّلاً لما استشعرته من الأمن والبركة.

(٣٧) مقانب: الفرقة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. مظلّة: دانية، قريبة وأصله من إلقاء الظّلّ.

(٣٨) الرّوحاء: قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة وهي قبل السّيّالة للمتّجه إلى المدينة من مكة ولا تزال معروفة حتّى اليوم. المخارم: جمع مخرم، منقطع أنف الجبل. رضوى: اسم جبل عظيم من جبال تهامة يطلّ على ينبع النخل ويشاهد من ينبع البحر.

(٣٩) يقيّلن: يشربن التّقييل وهو شرب وسط النّهار. البزواء: أرض بيضاء مرتفعة من الساحل بين الجار وودّان وغيقة، شديدة الحرّ، كان يسكنها بنو ضمرة رهط عزّة صاحبة كثّير. المزاد: جمع مزادة، قربة الماء. الرّوايا: الجمال التي يستقى عليها. يصطببن: يسكبن. الفضال: البقيّة من الماء في المزادة.

(٤٠) ثرى: أسفل وادي الحيّ بين الرويّة والصفراء على ليلتين في المدينة، مستجيزة: ماضية. مباضع: شُعب ثلاث تدفع في ثرى. ثعال: جبل قريب من مباضع.

٤١ يُعانِدْنَ في الأرْسانِ أجوازَ بُرزَةٍ عِتَاقَ المطايا مُسْنِفاتٍ حِبالَها
٤٢ فَغادَرْنَ عَسْبَ الوالِقيّ وناصِحٍ تَخُصُّ بهِ أمُّ الطّريقِ عِيالَها
٤٣ على كلّ خِنْذيذِ الضُّحى مُتمطِّرٍ وخيْفانةٍ قَدْ هذَّبَ الجَرْيُ آلَها
٤٤ وخيْلٍ بِعاناتٍ فسِنّ سُمَيْرةٍ لهُ لا يرُدُّ الذّائدونَ نِهالَها
٤٥ إذا قيلَ خيْلَ اللهِ يوْماً ألا ارْكبي رَضِيتَ بِكفّ الأرْدُنيّ انسِحالَها
٤٦ إذا عَرَضَتْ شهباءُ خطّارةُ القنا تُريكَ السُّيُوفَ هزَّها واستلالَها
٤٧ رَميتَ بِأبناءِ العُقيميّةِ الوَغى يؤمُّون، مَشْيَ المُشْبِلاتِ، ظلالَها
٤٨ كأنّهُمُ آسادُ حَلْيَةَ أصْبَحَتْ خَوادرَ تحمي الخيلَ ممّنْ دنا لَها
٤٩ إذا أخذوا أدراعَهُمْ فَتسربلوا مُقَلَّصَ مَسْرُوداتِها وَمُذالَها

---

(٤١) يعاندن: يبارين. أجواز: أوساط. برزة: شعبة تدفع على بير الرويثة العذبة، وقيل برزتان، هما شعبتان قرب الرويثة تصبّان في درج المضيق من يليل. عتاق: كرام. المسنفات: المتقدّمات في سيرهنّ، من أسنف البعير إذا قدّم عنقه للسّير. حبالها: أرسانها.

(٤٢) العسب: الولد أو ماء الفحل أي النّسْل. الوالقي: نسبة إلى الوالق، والوالق وناصح فحلان كانا لخزاعة. أمّ الطّريق: هنا الضّبع (التاج) وقيل هي معظم الطّريق. العِيال: أبناء الضّبع أو سباع الطّريق.

(٤٣) الخنذيذ: الفحل الطّويل من الخيل وقال الجاحظ، الكريم التامّ. المتمطّر: السّريع في جريه. الخيفانة: النّاقة أو الفرس السّريعة. آلها: شخصها.

(٤٤) عانات: بطريق الرقّة. سنّ سميرة: جبل من وراء قرميسين يسرة عن طريق الماضي إلى خراسان. الذائدون: الذين يسوقون الإبل. النهال: العطاش.

(٤٥) خيلَ: منصوب على النّداء. الأردنيّ: حسّان بن مالك بن بحدل لأنّه كان والياً على الأردن وفلسطين وبه مُهّدَ لمروان بن الحكم أمره فهزم الزبيريّة وقتل الضحّاك بن قيس الفهري يوم مرج راهط، وهو والد ميسون أمّ يزيد بن معاوية.

(٤٦) الشهباء: الكتيبة الشهباء التي يلمع سلاحها الحديدي. القنا: الرّماح. هزّها: هزّ السّلاح.

(٤٧) العقيمية: تصغير للتّعظيم، والعقمي، الرجل القديم الكرم والشّرف. المشبلات: اللبؤات العاطفات على أشبالهنّ. ظلالها: أي ظلال الوغى.

(٤٨) حلية: أجمة باليمن وهي مأسدة. الخوادر: الأسود المقيمة في خدورها.

(٤٩) تسربلوا: لبسوا. المقلص: القصير. المسرودات: الدّروع المنسوجة. المذال: السّابغ الطّويل.

٥٠ رأيتَ المَنايا شَارِعَاتٍ فَلا تكُنْ ... لها سَنَناً نَصْباً وَخَلِّ مجالَها
٥١ وَحَرْبٍ إذا الأعداءُ أنْشَتْ حِيَاضَها ... وقلّبَ أمراسُ السّواني مَحالَها
٥٢ وَرَدْتَ على فُرَّاطهِمْ فَدَهَمْتَهُمْ ... بأخطارِ مَوْتٍ يَلْتَهِمْنَ سِجالَها
٥٣ وَقَارِيةٍ أحْوَاضَ مجدِك دونَها ... ذياداً يُبيلُ الحاضناتِ سخالَها
٥٤ وشهباءَ تَردي بالسَّلوقيّ، فَوْقَهَا ... سَنَا بارقاتٍ تَكْرَهُ العينُ خالَها
٥٥ قصدتَ لها حتّى إذا ما لقيتَها ... ضَرَبتَ بِبُصْرِيّ الصَّفيحِ قَذالَها
٥٦ وكُنتَ إذا نَابَتْكَ يوماً مُلِمَّةٌ ... نَبَلْتَ لها أبا الوليدِ نِبالَها
٥٧ سَمَوْتَ فأدْركْتَ العَلاءَ وإنّما ... يُلقّى عليّاتِ العُلا مَن سما لَها
٥٨ وَصُلْتَ فَنَالتْ كفُّكَ المجدَ كلّهُ ... ولمْ تبْلُغِ الأيدي السّوامي مَصالها
٥٩ على ابْنِ أبي العاصي دِلاصٌ حصِينةٌ ... أجادَ المُسدّي سردَهَا وأذالَها

---

(٥٠) شارعات: رافعات أعناقها مقبلات. السّنن: الطريق الواضح. النّصب: المنصوب. يعني لا تكن هدفاً منصوباً بل حِدْ عن طريقها.

(٥١) أنشت: أنشأت مخفّفة. الأمراس: الحبال. السّانية: هي الدّلو أو النّاقة التي يُستقى عليها. المحال: البكرات. شبه الحرب بحوض ماء واستعار لها صفة الاستقاء بالأمراس المربوطة بالبكرات والدّلاء.

(٥٢) الفرّاط: أوّل المستقين من الحوض. السّجال: الدّلاء.

(٥٣) القارية: حدّ الرّمح والسّيف وهي أيضاً الأحواض المفعمة بالماء. ذياداً: دفاعاً عن الحوض. يبيل: يجعلها تقذف. الحاضنة: العاطفة على أولادها. السّخال: الأولاد.

(٥٤) الشهباء: الكتيبة التي يلتمع سلاحها. تردي: تمشي. السلوقيّ: الدّروع المنسوبة إلى سلوق وهي قرية باليمن. البارقات: السّيوف. الخال: البرق.

(٥٥) بصريّ الصّفيح: السّيوف المصنوعة في بصرى من ديار حوران. القذال: ما بين الأذنين من مؤخّر الرأس.

(٥٦) نابتك: أصابتك. ملمّة: حادثة. نبلت: أعددت لها النّبال. أبو الوليد: كنية عبد الملك بن مروان.

(٥٧) يلقّى: ينال.

(٥٨) السّوامي: المرتفعة، السّامية. المصال: المصدر من صال يصول.

(٥٩) دلاص: درع ملساء برّاقة. المسدّي: الذي نسج سداها ولحمتها. السّرد: النّسج وإدخال الحلقات بعضها ببعض. أذالها: أطال لها ذيلها.

٦٠ يؤودُ ضَعيفَ القوْمِ حملُ قتيرِهـا ... ويستَضْلِعُ الطَّرفُ الأشَمُّ احتمالَها
٦١ وسَوْداء مِطْراقٍ إلى آمِنِ الصَّفا ... أبيٍّ إذا الحَاوِي دَنَا فصَدا لَها
٦٢ كففْتُ يداً عنْها وأرْضَيتُ سَمْعَها ... مِنَ القولِ حتَّى صَدَّقتْ ما وعى لها
٦٣ وأشعرْتُها نفْثاً بليغاً فلوْ تَرَى ... وقد جُعلتْ أن تُرعيَ النّفْثَ بالها
٦٤ تسلّلتُها مِن حيثُ أدْركها الرُّقى ... إلى الكَفِّ لمّا سالمَتْ وانسلالَها
٦٥ وإني امرؤٌ قَدْ كُنْتُ أحْسَنْتُ مرَّةً ... وللمرءِ آلاءٌ عليَّ اسْتطالَها
٦٦ فأُقسِمُ ما مِنْ خُلّةٍ قد خَبرْتُهَا ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ قَدْ فضَلْتَ خلالَها
٦٧ وَمَا ظَنّةٌ في جنبكَ اليومَ منهمُ ... أُزَنُّ بها إلا اضْطَلَعتُ احتمالَها
٦٨ وكانوا ذوي نُعْمَى فَقَدْ حَالَ دُونَهَا ... ذوو أنعمٍ فيما مَضَى فاستَحالَها
٦٩ فلا تَكْفُرُوا مروانَ آلاءَ أهلِهِ ... بني عبد شمسٍ واشكروهُ فعالَها
٧٠ أبُوكمْ تَلاَفى قُبّةَ المُلْكِ بعدما ... هَوَى سَمْكها وغيّر الناسُ حالَها

---

(٦٠) يؤود: يثقل ويبهظ. القتير: رؤوس المسامير في الدّروع. يستضلع: يجده مضلعاً أي مثقلاً لأضلاعه. الطّرف: الحصان. القرم: السيّد الشّجاع.
(٦١) سوداء: أي حيّة سوداء. مطراق: شديدة الإطراق تحت الصّخر الآمن. الحاوي: مروّض الحيّات. صدا لها: صفّق لها بيديه ورفع صوته حتّى تخرج.
(٦٢) ما وعى لها: ما أحدث من جلبة وصوت.
(٦٣) أشعرتها: أعطيتها إشعاراً أي علامة. النّفث: النّفخ. ترعي النّفث بالها: تنصت وتتنبّه إليه.
(٦٤) الرّقى: جمع رقية، العوذة.
(٦٥) الآلاء: النِّعم. استطالها: أنعم بها عليه وتفضّل.
(٦٦) الخُلّة: الصّفة.
(٦٧) ظنّة: تهمة. أزنّ: أُتّهم بها وأرمى. اضطلعت بالأمر: تحمّلت تبعاته وأطَقْت احتماله.
(٦٨) استحالها: صيّرها محالاً.
(٦٩) لا تكفروا: لا تجحدوا.
(٧٠) أبوكم: أي مروان بن الحكم. تلافى قبّة الملك: استدركها قبل أن تضيع. السّمْك: من أعلى البيت حتّى أسفله، من قولهم سَمَك السماء أي رفعها.

٧١ إذا النَّاسُ سَامُوهـا حَيَـاةً زهيـدةً — هيَ القتلُ، والقتلُ الذي لا شوى لهـا
٧٢ أبَـى اللهُ للشُّـمِّ الألاءِ كـأنّهُـمْ — سُيُوفٌ أجادَ القينُ يومـاً صقـالهـا
٧٣ فللّـهِ عَيْنَـا مَـنْ رأى مـن عِصَـابـةٍ — تُناضِلُ عن أحْسَابِ قـومٍ نضـالَهـا
٧٤ وإنَّ أميـرَ المـؤمنيـنَ هُـوَ الذي — غَزَا كامناتِ النّصحِ منّي فنـالَهـا
٧٥ وإنّـي مُـدِلٌّ أدّعـي أنَّ صحبـةً — وأسبابَ عَهْدٍ لَـمْ أُقَطِّـعْ وصـالَهـا
٧٦ فلا تجعلنّـي فـي الأمـورِ كَعُصْبَـةٍ — تبـرّأتُ منهـا إذ رأيـتُ ضلالَهـا
٧٧ عدوٍّ، ولا أخرَى صديقٍ، ونصحُهـا — ضعيفٌ، وبَثُّ الحقّ لمّـا بـدا لهـا
٧٨ تبلّـجَ لمّـا جئـتُ واخضـرَّ عُـودُهُ — وبـلَّ وسيلاتـي إليـهِ بِلالَهـا

— 82 —

وقال: [من الطويل]

١ لَقَدْ أَزْمَعَتْ لِلْبَيـنِ هِنْـدٌ زِيَـالَهَـا — وزَمّوا إلى أَرْضِ العِرَاقِ جِمـالَهَـا

---

(٧١) ساموها: باروها وفاخروها. الشّوى: الأمر الحقير السّهل.
(٧٢) الشّمّ: من الشّمم أي الارتفاع. الألاء: الذين. القين: الحدّاد.
(٧٤) كامنات النّصح: النّصائح الخفيّة المستورة.
كان عبد الملك قد قال لعبد العزيز أخيه: لمَ قبلت من كثيّر قوله:

ومـازالتْ رقـاك تسـلّ ضغنـي — وتخـرج مـن مكـامنهـا ضبـابـي
ويـرقينـي لـك الرّاقـون حتّـى — أجابـك حيّـةٌ تحـتَ اللّصـاب

فبلغ ذلك كثيّراً فقال: والله لأقولنّ له مثله، فقال البيت.
(٧٥) مدلّ: مجترىء، واثق بمحبّته.
(٧٧) بثّ الحقّ: نشره.
(٧٨) تبلّج: ضحك وأشرق. اخضرّ عوده: كناية عن الانشراح. بلّ وسيلاتي: كناية عن أقامة الصّلة.

---

(١) الزّيال: التفرّق. زمّوا: جعلوا لجمالهم زماماً أي لجاماً.

٢ فما ظَبْيَةٌ أَدْمَاءُ وَاضِحَةُ القَرَا تَنُصُّ إلى بَرْدِ الظِّلَالِ غَزَالَهَا
٣ تَحُتُّ بقَرْنيها بَرِيرَ أَرَاكَةٍ وَتَعْطُو بظِلْفَيها إذا الغُصْنُ طَالها
٤ بأَحْسَنَ مِنها مُقلَةً ومُقَلَّداً وَجِيداً إذا دَانَتْ تَنُوطُ شِكالها

— 83 —

اجتمع عمر وجميل وكثيّر على باب عبد الملك، فلمّا أذن لهم: قال لهم أنشدوني أرقّ ما قلتم في القوافي، فأنشده كثيّر (أمالي القالي ٣:٦٧): [من الطويل]

١ بِأَبي وأُمّي أَنْتِ مِنْ مَظْلومةٍ طَبِنَ العَدُوُّ لها فغيَّرَ حَالَهَا
٢ لو أَنَّ عزَّةَ خَاصَمَتْ شَمْسَ الضُّحَى في الحسْنِ عندَ موفَّقٍ لقَضي لها
٣ وَسَعَى إليَّ بِصَرْمِ عَزَّةَ نِسْوَةٌ جَعَلَ المَلِيكُ خُدُودَهُنَّ نِعالها

— 84 —

وقال يمدح عبد العزيز بن مروان: [من الطويل]

١ أللشَّوْقِ لَمَّا هيّجَتْكَ المَنازِلُ بِحَيْثُ التَقَتْ مِن بَيْنَتين الغياطِلُ

---

(٢) أدماء: بيضاء البطن. القرا: الظّهر. تنصّ: تسوق وتحثّ.
(٣) تحتّ: تحرّك وتفرك. البرير: ثمر الأراك. تعطو: تتناول. طالها: ارتفع عنها.
(٤) المقلّد: موضع القلادة من النّحر والعنق. تنوط: تعلّق. الشِّكال: خيط يوضع بين التصدير والحقب، والحقب ما تشدّه المرأة على وسطها تعلّق حليّها به.

---

(١) طبن لها: خدعها.
(٢) الموفّق: القاضي العادل في أحكامه.
(٣) المليك: الله عزّ وجلّ.

---

(١) بينة: موضع من الجبى من وادي الرّوثية. الغياطل: جمع غيطل، طويلة حسنة.

٢ تَذَكَّرْتَ فانهَلّتْ لِعَيْنِكَ عَبْرةٌ   يَجُودُ بِهَا جَارٍ مِنَ الدَّمْعِ وابلُ
٣ لياليَ مِنْ عَيْشٍ لهوْنا بِوَجْهِهِ   زَماناً وسُعدى لي صَدِيقٌ مواصِلُ
٤ فدعْ عَنكَ سُعدى إنما تُسعفُ النّوى   قرانَ الثُّريّا مَرّةً ثُمّ تافِلُ
٥ إليكَ ابنَ لَيْلَى تَمْتَطِي العيسُ صُحْبَتي   تَرَامى بِنا مِن مَبْرَكَينِ المَنافِلُ
٦ تَخَلّلُ أحْوازَ الخُبيبِ كأنّها   قطاً قاربٌ أعْدادَ حُلْوانَ نَاهِلُ
٧ ومُسنِفَةٌ فَضْلَ الزِّمَامِ إذا انْتحى   بهِزّةِ هَادِيها على السَّوْمِ بازِلُ
٨ تَلَغَّبَها دُونَ ابنِ لَيْلى وَشَفَّها   سُهادُ السُّرى والسَّبْسَبُ المُتماحِلُ
٩ دِلاثُ العَتِيقِ ما وَضَعْتُ زِمامَهُ   مُنيفٌ به الهَادِي إذا احْتُثَّ ذَامِلُ
١٠ وأنتَ ابنَ لَيْلى خيرُ قومِكَ مَشْهَداً   إذا ما احْمأرّتْ بالعَبيطِ العَوَامِلُ
١١ جَمِيلُ المُحيّا أبْلجُ الوجهِ وَاضِحٌ   حَليمٌ إذا ما زَلْزَلَتْهُ الزَّلازِلُ
١٢ لهُ حَسَبٌ في الحيِّ وارٍ زِنَادُهُ   عَفارٌ وَمَرْخٌ حَثّهُ الورْيُ عاجِلُ

---

(٢) الوابل: الممطر.
(٣) لياليَ: مفعول به لفعل «تذكّرت» في البيت السابق. مواصل: مبادل في الحبّ.
(٤) قران الثّريّا: أي عندما يلتقي القمر بالثّريّا وذلك يكون مرّة واحدة كلّ شهر. تافل: تأفل.
(٥) مبركان: موضع قريب من المدينة. المناقل: المنازل.
(٦) تخلّل: تتخلّل، تجتاز. الأحواز: النّواحي. الخُبيب: موضع بمصر. قارب: وارد، والقرب هو سير الليل لورد الغد. أعداد: جمع عدّ وهي البئر لا ينضب ماؤها. حلوان: قرية بمصر. ناهل: ظامىء.
(٧) المسنفة: التي تقدّم عنقها للسيّر فيمتدّ زمامها إلى الأمام. الهادي: العنق. البازل: البعير شقّ نابه. السّوم: الخيل.
(٨) تغلّبها: أتعبها. شفّها: أنحلها. السبسب: الأرض المستوية. المتماحل: المترامي الأطراف.
(٩) دلاث: السّريع من الإبل. العتيق: الكريم الجيدّ. ما: ما المصدرية الدّالة على الزّمان. منيف: مرتفع، مشرف. الذّامل: الجمل يمشي مشي الذّميل، أي السّريع اللّين.
(١٠) احمأرت: أصبحت حمراء اللّون. العبيط: الدم الطَّريّ. العوامل: صدور الرّماح.
(١١) أبلج: مضيء مشرق، واضح ما بين الحاجبين. الزّلازل: الشّدائد.
(١٢) العفار والمرخ: نوعان من الشَّجر شديدا الاشتعال.

١٣ فمْن يَنْبُ عنّي نَبْوَةَ البخلِ أو يُـرِدْ ... لمعـروفِـهِ صَـرْفـاً فـإنَّـك بـاذلُ
١٤ أُديـرتْ حَمـالاتُ المكـارِمِ كلُّهَـا ... عَليكَ فلم تَبْخُـلْ فَفَضْلُـكَ شـامـلُ
١٥ وأنتَ أبو ضيفيـنِ : ضيـفٌ نَفَعْتَـهُ ... بنَفْحَةِ عُرْفٍ عـاجـلٍ فهـو زائـلُ
١٦ وآخرُ يَـرْجُـو منـكَ مـا نَـالَ قَبْلَـهُ ... أخـوه الذي جَهّـزتـه، فهـوَ نـازلُ
١٧ جَمَعْتَ خِلالاً كلُّ مَـنْ نـال مثلهـا ... لحملِ الثّقال المُضْلِعاتِ حمـائـلُ
١٨ رَحُبْتَ بها سَرْبـاً فـأجـزأتَ كلَّهـا ... بحفظٍ، فلم يَفْدَحَكَ ما أنتَ حامـلُ
١٩ وفيـكَ ابـنَ ليلـى عِـزَّةٌ وَبَسَالَـةٌ ... وَغَرْبٌ وَمَوْزُونٌ من الحِلْـمِ ثـاقِـلُ
٢٠ أَبَـأْتَ الذي وُلّيـتَ حتَّـى رأبتَـه ... وأنتَ لِذِي القُربى وَذِي الوُدِّ واصـلُ
٢١ وإنكَ تأبى الضَّيمَ في كُلِّ مَـوْطِـنٍ ... قديماً، وأنتَ الشيظمـيُّ الحُلاحـلُ

★ ★ ★

٢٢ بغـاكُـمْ رِجَـالٌ عِنْـدَ كُـلِّ ملمّـةٍ ... معينٌ عليكُـمْ مـا استطـاع وخـاذلُ
٢٣ فَما زلتُـمُ بـالنَّـاس حتَّـى كـأَنَّهُـمْ ... مِنَ الخوفِ طيرٌ أخذأتها الأجـادلُ
٢٤ طِعَانٌ يَفُضُّ الجُدْلَ عن آنُفِ الشَّبـا ... وَضَرْبٌ ببيضٍ أَخْلَصَتْهَا الصيـاقـلُ

---

(١٣) نبا، ينبو: أعرض، يُعرض. الصّرف: التحوّل.
(١٤) حمالات المكارم: ما يتحمّله الكرام من الأعباء والدّيات وغيره.
(١٥) زائل: مفارق.
(١٦) جهّزته: أنعمت عليه. نازل: حالّ عليك.
(١٧) المضلعات: الذي يهبط حمله.
(١٨) السَّرْب: الصّدر. أجزأه بالشّيء: أقنعه.
(١٩) الغرب: الحدّة والنّشاط. الموزون: الراجح الوزن. الثاقل: الثّقيل.
(٢٠) أبأت: جعلت منزلاً وكنفاً. رأبته: لأمت الصّدع.
(٢١) الشّيظميّ: الجسم الفتيّ. الحلاحل: السيّد الشّريف.
(٢٢) بغاكم: حاولوا البغي والظّلم. الملمّة: المصيبة. يقول إنّ خصومكم فريقان: واحد يعين أعداءكم وآخر يتخلّف عن نصرتكم.
(٢٣) أخذأتها: أخضعتها وكسرت شوكتها. الأجادل: الصّقور.
(٢٤) الجُدل: جمع جدلاء، الدّرع المجدولة. آنف: أنوف. الشّبا: جمع شباة، حدّ الرمح هنا. الصّياقل: السّيوف المصقولة.

٢٥ لَـوَامـعَ يَخْطفـنَ النُّفـوس كـأنّهـا مَصَابيحُ شَبَّـتْ أو بـروقٌ عَـوامـلُ
٢٦ إذا بلّت الخِرصانِ صَاحَتْ كُعوبُهَـا فَلَـمْ تَبْـقَ إلاّ المـارِنَـاتُ الذّوابـلُ

★ ★ ★

٢٧ وإلاَّ يُعقني الموتُ والموتُ غـالـبٌ لـه شَـرَكٌ مَبْثُـوثَـةٌ وحبـائـلُ
٢٨ أُحَبِّـرْ لَـهُ قـولاً تَنـاشَـدُ شعـرَهُ إذا ما التقَتْ بينَ الجبـال القبـائـلُ
٢٩ وتصدر شتَّى مـن مَصَـبٍّ وَمُصْعَـدٍ إذا ما خَلَـتْ مِمَّـنْ يحـلُّ المَنـازلُ
٣٠ يُغنّي بِهَا الرُّكْبَانُ من آلِ يَحْصُـبٍ وَبَصْـرَى وتـرويـهِ تميـمٌ ووائـلُ

★ ★ ★

٣١ وألاّ يلي وُدِّي ولا حُسْنَ مِـدْحَتِـي دنـيٌّ ولا ذو وَصْمَـةٍ متضـائـلُ

— 85 —

وقال يمدح بشِر بن مروان: [من الطويل]

١ عفا مَيْثُ كُلْفَى بَعْدَنـا فـالأَجَـاوِلُ فَأَثْمَادُ حَسْنى فَـالبِـرَاقُ القَـوَابـلُ
٢ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ سُعْدَى بِأَعنَـاءِ غَيْقَـةٍ وَلَمْ تُـرَ مِـنْ سُعْـدَى بِهِـنَّ مَنـازلُ

---

(٢٥) لوامع: سيوف لوامع. عوامل: ناشطة في العمل.
(٢٦) الخرصان: مثنّى خِرص، سنان الرّمح. المارنات: الرّماح الصّلبة اللّينة. الذّوابل: الرّماح الدّقيقة.
(٢٨) تناشد: تتناشد وفاعله «القبائل».
(٢٩) المصبّ: المنحدر. المصعد: الصّاعد في الأعالي.
(٣٠) آل يحصب، وبصري، وتميم، ووائل: قبائل عربيّة.
(٣١) الوصمة: العار في الحسب. متضائل: حقير.

---

(١) الميث: الرّمال اللّينة. كلفى: اسم موضع بين الجار وودّان. الأجاول: أبارق بجانب الرّمل عن يمين كلفى من شمالها. الأثماد: جمع ثمد، الماء القليل. حسنى: جبل قرب ينبع. البراق: اسم موضع.
(٢) الأعناء: النّواحي. غيقة: خبت في ساحل بحر الجار فيه أودية وحساء على شاطىء البحر فوق العذيبة، وهو قريب من بدر.

٣ وَلَمْ تَتَرَبَّعْ بالسُّرَيرِ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا الصَّيفُ خَيْماتُ العُذيبِ الظّلَائلُ
٤ أبَى الصَّبرَ عَنْ سُعدى هوىً ذو علاقةٍ ووجدٌ بِسُعْدى شَارَكَ القَلْبَ قاتلُ
٥ تَصُدُّ فلا تُرْمَى إذَا الشَّخْص فَاتَهَا وَتَرْمي إذا ما أَمْكَنَتْها المَقَاتِلُ
٦ مَتَى أسْلُ عَنْ سُعْدَى يَهِجْني لِذِكْرِهَا حَمَائِمُ أو أَطْلاَلُ دارٍ مواثِلُ
٧ أضرَّت بها الأَنْوَاءُ والرِّيحُ والنَّدَى وغَيّر مَغْنَاها الضُّحَى والأصائلُ
٨ وَوَاللهِ ما أدري وَلَوْ حُبَّ قربُها إلى النَّفس ماذا اللهُ في القُرْبِ فَاعلُ
٩ فَدَعْ عَنْكَ ما لا تَسْتَطِيعُ طِلابَهُ وَمَنْ لكَ عنه لو تفكّرْتَ شاغلُ
١٠ إلى طيّبِ الأثْوابِ قد أُلْهِمَ التّقى هجانِ البنين يعتريه المُعاقِلُ
١١ وَهُوبٌ، بأَعْناقِ المئينَ عَطَاؤهُ غَلَوبٌ على الأمرِ الذي هو فاعلُ
١٢ إذا قَالَ إنّي فَاعِلٌ تمَّ قولُهُ فأمْضى مَوَاعِيدَ الذي هو قائلُ
١٣ أُريدُ أبا مروانَ إنّي رَأَيْتُهُ كريماً وتَنْميه الفروعُ الأطاوِلُ
١٤ طويلُ القَميصِ لا يُذَمُّ جَنابُهُ نبيلٌ إذا نِيطَتْ عليه الحمائلُ
١٥ أمينٌ مُقِرُّ الصَّدْرِ، يَسْبقُ قَوْلَهُ بِفِعْلٍ، فيأبى أنْ يُخيّبَ آملُ
١٦ ولا هُوَ مَسْبُوقٌ بشيءٍ أرادَهُ ولا هو مُلْهيهِ عنِ الحقّ باطلُ

---

(٣) السّرير: موضع بقرب الجار. العذيب: أي العذيبة، وهي ماء بين ينبع والجار.
(٤) شارك القلب: اختلط به.
(٥) المقاتل: هنا العيون.
(٦) مواثل: جمع ماثل أي ظاهر وواضح.
(٧) الأنواء: الأمطار. الأصائل: جمع أصيل، أي آخر النّهار.
(٨) حُبَّ: كان محبّباً إلى النفْس.
(١٠) هجان البنين: أبناؤه كرام الأصل. المُعاقل: الذي يطلب مالاً ليدفع دية.
(١١) المئين: المئة من النّوق. غلوب: متغلّب، قادر.
(١٣) الأطاول: جمع الأطول.
(١٤) طويل القميص: كناية عن الشّرف. نيطت: عُلّقت.
(١٥) مقرّ الصّدّر: ثابت في قراره.

١٧ بنى لكَ أشرافَ المعالـي وسـورَهـا ـ بنا كلِّ بنيـانٍ لهـا متضـائـلُ ـ
١٨ أبٌ لـكَ راضَ الملـكَ حتَّـى أذلّـهُ وحتّى اطمأنّتْ بالـرِّجـال الزّلازِلُ
١٩ وَأَنْتَ أَبُـو شِبلَيـنِ شـاكٍ سِلاَحُـهُ خَفيَّـةُ مِنـهُ مَـأْلَـفٌ فـالغيـاطِـلُ
٢٠ لَـهُ بِجَنُـوبِ القَـادِسِيّـةِ فَـالشَّـرَى مَوَاطِـنُ لا يَمْشِـي بِهِـنَّ الأراجِـلُ
٢١ يـرى أنَّ أُحـدانَ الرِّجَـال غفيــرةٌ ويَقْدُمُ وَسْطَ الجمعِ والجمعُ حافـلُ

— 86 —

وقال كثيّر : [من الطويل]

١ أمِنْ آلِ سَلْمَى الرَّسْمَ أنتَ مُسَـائِـلُ نعَمْ والمغاني قـد دَرَسْـنَ مَـواثـلُ
٢ فَظَلْتَ بها تُغْضِي على حَـدِّ عَبْـرَةٍ كأَنَّكَ مِنْ تَجْرِيبِكَ الدَّهرَ جـاهِـلُ
٣ وغيَّــر آيــاتٍ بِبُــرْقِ رواوةٍ تنائي اللَّيـالـي والمَـدَى المُتَطَـاوِلُ
٤ وَقَدْ كَانَ ما فيه لِذِي اللُّـبِّ عِبْـرَةٌ ورأيٌ لذي رأيٍ فَهَل أَنْتَ عـاقِـلُ
٥ تَذَكَّـرُ إخـوانـاً مَضَـوا فتتـابَعُـوا وشَيبٌ عَلاَ مِنْكَ المَفَـارِقَ شَـامِـلُ

★ ★ ★

(١٨) أب: فاعل «بنى» في البيت السّابق. الزلاّزل: المخاوف والوساوس.
(١٩) شاكٍ سلاحه: سلاحه ذو شوكة حديديّة. خفيّة: أجمة في سواد الكوفة تنسب إليها الأسود. المألف: المكان الذي يألفه الحيوان. الغياطل: الأشجار الملتفّة.
(٢٠) القادسيّة: مدينة في العراق. الشّرى: مأسدة على شاطىء الفرات. الأراجل: المشاة الرّاجلون.
(٢١) يرى: أي الأسد. غفيرة: من فعل اغتفر أي لم يلتفت اليه احتقاراً له. أحدان الرّجال: من انفرد منهم.

(١) الرسم: مفعول به لاسم الفاعل مسائل. المغاني: الدّيار. موائل: ظاهرات.
(٢) تغضي: تسكت وتصبر.
(٣) برق: جمع برقة، الأرض الغليظة فيها حجارة ورمال. رواوة: من جبال مزينة وقيل هـي أوديـة بين الفرع والمدينة.
(٥) تذكّر: تتذكّر.

٦ غَوَادٍ مـن الأَشْـراط وَطْـفٌ تُقِلُّهَـا   روائـحُ أنـواءِ الثُّـريَّـا الهَـوَاطِـلُ

— 87 —

وقال يمدح عبد الملك بن مروان: [من الطويل]

١ صَحَا قَلبُهُ يا عَـزَّ أوْ كـادَ يَـذْهَـلُ   وأضْحى يُـريـدُ الصَّـرْمَ أوْ يتبَـدَّلُ
٢ (أيادي سَبا يا عَزَّ ما كُنْتُ بَعْدَكُـمْ   فلمْ يَحْلَ للعَيْنَيـنِ بعـدكِ مَنْـزِلُ)
٣ وَخَبّرَهـا الَواشُـون أنّـي صـرَمْتُهَـا   وَحَمَّلَهـا غَيْظـاً علـيَّ المُحمِّـلُ
٤ وإني لَمُنقَادٌ لهـا اليَـوْمَ بـالـرِّضَـى   ومُعْتَـذِرٌ مِـن سُخْطِهـا مُتنصِّـلُ
٥ أهِيمُ بأكْنَـاف المُجمَّـرِ مِـن مِنًـى   إلـى أُمِّ عَمْـروٍ إنَّنـي لمُـوكَّـلُ
٦ إذَا ذَكَرَتْهَـا النَّفْسُ ظَلَّـت كـأنَّمَـا   عليهـا مـن الوَرْدِ التِّهـاميِّ أفْكَـلُ
٧ وَفَاضَتْ دُموعُ العَينِ حَتَّى كـأنَّمـا   بِوَادي القِرَى مِنْ يَابِس الثّغرِ تُكحَلُ
٨ إذا قُلتُ أسْلُو غارَتِ العينُ بـالبُكـا   غِـراءً ومـدَّتْهـا مَـدَامِـعُ حُفَّـلُ

---

(٦) الأشراط: هما شرطان، كوكبان على أثر الحوت مفترقان شمالي وجنوبي بينهما في رأي العين على قدر ذراع. وطف: حافلة بالمطر دانية من الأرض. الرّوائـح: السّحـب التـي تجـيء عشيّة.

---

(١) يذهل: ينسى ويسلو.
(٢) لقد جاء هذا البيت بقافية رائية قافيتها «منظرُ».
(٣) صرم: قطع حبل المودّة.
(٤) متنصّل: بريء مما نُسب اليّ.
(٥) المجمر: مكان رمي الجمار من منىً. موكّل بالهيام: مقبل عليه.
(٦) الورد: الحمّى. الأفكل: الرّعدة والارتعاش.
(٧) الثّغر: نبات فيه حرارة يلذع العين إذا أصابها.
(٨) الغراء: الملاجّة، جاء في اللسان، غَارَيْت بين الشّيئين غِراءً إذا والَيْتَ (أي تابعت) وهو فاعلت من قولك غَريت به أغْرَى غَرَاءً. مدامع حفّل: مدامع غزيرة.

٩ إذَا مَـا أَرَادَتْ خُلَّـةٌ أن تُـــزِيلَنَـــا   أبَيْنـــا وقُلْنـــا الحـــاجبيّـــةُ أوّلُ

١٠ سَنُولِيكِ عُرْفـاً إنْ أرَدْتِ وِصَـالَنـا   وَنَحْـنُ لِتلْـكَ الحـاجبيّـةِ أوْصَـلُ

١١ لَهَـا مَهَـلٌ لا يُسْتطَـاعُ دِراكُـهُ   وسـابقَـةٌ فـي الحُـبّ مـا تتحـوّلُ

★ ★ ★

١٢ ترامـى بِنـا مِنْهَـا بِحَـزْنِ شَـراوَةٍ   مُفَـوِّزَةً أيْـدٍ إليْـكَ وأَرْجُـلُ

١٣ كأَنَّ وِفارَ القَـوْمِ تَحْـتَ رِحَـالِهَـا   إذا حُسِرَتْ عنها العَمَـائِـمُ عُنصُـلُ

١٤ يَـزُرْنَ أَمِيـرَ المـؤمِنيـنَ وعِنْـدَهُ   لِذِي المَدْحِ شُكْرٌ والصَّنيعةِ مَحمِـلُ

١٥ لَـهُ شيمَتـان مِنهُمـا أنسِيَّـةٌ   وَوَحْشِيَّةٌ إغـراقُهـا النَّهْـيَ مُعْجَـلُ

١٦ فَـرَاعِهِمَـا مِنْـهُ فَـإنّهُمـا لَـهُ   وإنّهُمـا مِنْـهُ نجـاةٌ ومَحْفِـلُ

١٧ وأنتَ المُعَلّى يومَ لُفّتْ قِـداحُهُـمْ   وجـالَ المَنِيـحُ وَسْطَهـا يتقلقـلُ

١٨ وَمِثْلُـكَ مـن طُلاَّبِهـا خَلصَتْ لـه   وَقَارُكَ مـرضـيٌّ ورَبْعُـكَ جحفـلُ

١٩ نهيتَ الأُلى رامـوا الخِلافَـةَ مِنْهُـمُ   بضربِ الطُّلَى والطَّعنِ حتَّى تنكّلـوا

---

(٩) الخلّة: الخليلة. حكي أنّ عائشة بنت طلحة بن عبيدالله بعثت إلى كثيّر فقالت له: يا ابن أبي جمعة، ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشّعر في عزّة وليست على ما تصف من الحسن والجمال، لو شئت صرفت ذاك إلى غيرها ممّن هو أولى به منها أنا أو مثلي فأنا أشرف وأوصل من عزّة وإنّما جرّبته بذلك فأنشد الأبيات (الشّعر والشّعراء ٤١٥ ـ ٤١٦).

(١١) المهل: التقدّم والسّبق.

(١٢) شراوة: موضع قريب من ترْيَم دون مدْيَن. مفوّزة: تقطع المفازة أي الصحراء الواسعة.

(١٣) الوفار: جمع وفرة أي الشّعر المجتمع على الرّأس. عنصل: بصل برّيّ.

(١٤) المحمل: المعتمد والمعوّل.

(١٥) الشّيمة: الصّفة والمزيّة. أنسيّة ووحشيّة: تؤنس وتوحش، كقولك حلو ومرّ في آن معاً. إغراقها: من قولك أغرق في الأمر إذا بالغ فيه. النّهي: الزّجر والمنع.

(١٦) نجاة ومحفل: خلاص وعطب.

(١٧) المعلّى: أفضل سهام الميسر حظّاً. القداح: سهام الميسر. المنيح: سهم لا نصيب له. شبّه الممدوح بالقِدْح المعلّى لأنّ له سبعة حظوظ وشبههم بالمنيح الذي لا حظّ له ولا خير فيه.

(١٨) الضمير في «طلاّبها» يعود إلى «الخلافة». جحفل: عظيم القدر.

(١٩) الطّلى: جمع طلية أي العنق.

٢٠ وأنكرْتَ أن مـارَوْكَ فـي مُسْتَنيـرةٍ لَكُـمْ حَقُّهـا، والحــقُّ لا يتبــدَّلُ
٢١ أبوكُـم تلافـى يـومَ نقْعـاءَ راهِـطٍ بَني عبدِ شَمْسٍ وهيْ تُنْفى وتُقتـلُ
٢٢ إذا النَّاسُ سامُوكُمْ من الأمْرِ خُطَّـةً لهـا خَمْطَـةٌ فيهـا السِّمـامُ المُثَمَّـلُ
٢٣ أبَـى اللهُ للشُّـمّ الأنـوفِ كـأنَّهُــمْ صَوارِمُ يَجْلوها بمؤتَةَ صَيقَلُ(★)

— 88 —

قال كثيّر: قال لي جميل: خذ لي موعداً من بثينة، قلت له: هل بينك وبينها علاقة؟ فقال لي: عهدي بها وهم بوادي الدوم يرحضون ثيابهم، فأتيتهم فأجد أباها قاعداً بالفناء فسلمت فردّ، وحادثته ساعة حتى استنشدني فأنشدته: «فقلت لها يا عز...» الأبيات، فضربت بثينة جانب الخدر وقالت: اخسأ، فقال لها أبوها: مهيم يا بثينة؟ فقالت: كلب يأتينا إذا نوّم الناس من وراء هذه الرابية. [قال كثيّر]: فأتيت جميلاً فأخبرته أنها واعدته وراء الرابية إذا نوّم الناس. (الشعر والشعراء: ٣٤٨ وفي الأغاني ٨: ١٠٧ قصة أكثر تفصيلاً، وانظر القصة في الزهرة: ١١١ - ١١٢). [من الطويل]

---

(٢٠) ماروك: ثاروا عليك. المستنيرة: الواضحة يعني الخلافة.

(٢١) أبوكم: يعني مروان بن الحكم. تلافى: تدارك. نقعاء راهط: معركة مرج راهط التي فاز فيها مروان بن الحكم على القيسيّة، والنقعاء: القاع الذي يمسك الماء.

(٢٢) الخمطة: الخمرة الحامضة ذات الرّيح. السِّمام المثمّل: السّمّ القاتل.

(٢٣) مؤتة: على اثني عشر ميلاً من أذرح، وفيها كانت الوقعة الشهيرة.

(★) وفي ياقوت ٢: ٧٤٣ والمغانم: ٤١٤ وفي المحكم (٣: ١٥٧) بيت قد يلحق بهذه القصيدة هو:

مـدلّ بـوادي ذي حمـاسٍ مـرايسٌ بجنبِ العريـن جـائـبُ العيـن أشهـلُ

- وأورد له ابن جنيّ (٢: ١٧٦ ب) البيت التالي:

ومـا يظنـنْ مـن خلـة فـي مـودّة ببخـل لنـا فـالحـاجبيّـة أبخــلُ

١ وقلتُ لها يا عَزَّ أرْسَلَ صَاحِبِي على نـأي دَارٍ والرَّسولُ مُوَكَّلُ
٢ بِأنْ تَجْعلي بيني وبينكِ مَوْعِداً وأنْ تأمُرِيني بالَّذِي فيهِ أفعَلُ
٣ وآخِرُ عَهْدِ مِنْكِ يَوْمَ لقيتِنِي بِأسْفَلِ وادي الدَّوْم والثوْبُ يُغسلُ

— 89 —

وقال كثير يمدح أبا بكر [ابن عبد العزيز] : [من الطويل]

١ أهَاجَك من سُعدى الغَداةَ طُلُولُ بِذي الطَّلح عَامِيٌّ بها ومُحيلُ
٢ وَمَا هَاجَه مِنْ مَنْزِلٍ لَعِبَتْ بِهِ لِعَوْجَاءِ مِرقالِ العَشِيِّ ذُيولُ
٣ بما قدْ تَرَى سُعدى بِهِ وكأنَّها طَلىً رَاشِحٌ للسَّارِحَاتِ خَذولُ
٤ رَأيتُ وعيني قرَّبَتْني لِمَا أرَى إليها وَبَعْضُ العاشِقِينَ قَتولُ
٥ عُيُوناً جَلاَها الكُحْلُ أمَّا ضَميرُها فَعَفٌّ وأمّا طَرْفها فجَهُولُ
٦ وركْبٍ كَأطْرافِ الأسِنّةِ عرَّسوا قَلائِصَ في أصْلاَبِهِنَّ نُحولُ
٧ إليك أبا بكر تروحُ وتغتدي بِرَحْلِيَ مِرداةُ الرّوَاحِ ذميلُ

★ ★ ★

(١) النأي : البعد .
(٣) وادي الدّوم : من ديار بني ضمرة قوم عزّة .

(١) الطّلح : شجر عظيم الشّوك صلب العود . ذو الطّلح : موضع بين بدر والمدينة . العاميّ : الذي مضى عليه عام .
(٢) عوجاء : ناقة ضامرة . مرقال : كثيرة الإرقال وهو ضرب من العدو السّريع . ذيول : جمع ذيل ، الذّنَب .
(٣) الطّلى : ولد الظبية . الرّاشح : الذي بدأ يعتمد على نفسه . السّارحات : الظّباء السّارحة . خذول : يتخلّف عن اللّحاق بها في سيرها .
(٤) قتول : قاتل .
(٥) عفّ : عفيف .
(٦) عرّسوا : نزلوا للإناخة آخر اللّيل . القلائص : النوق الفتيّة : الصّلب : الظّهر .
(٧) المرداة : الصّخرة . ذميل : سير سريع ليِّن .

٨ كثيرٌ عطـاءُ الفَـاعِليـنَ مَـعَ الغِنـى   بجود [   ] إن كاثروك قليـلُ
٩ وإنِّـي لأَثْـرِي أَنْ أَرَاكُـمْ بِغِبْطَــةٍ   وإنـي أَبـا بَكْــرٍ بِكُــمْ لجَميــلُ

★ ★ ★

١٠ وإنْ أَكُ قَصْراً في الرِّجَالِ فـإنّنـي   إذا حَـلَّ أَمْـرٌ سَـاحَتِـي لَطَـوِيــلُ

— 90 —

هجرت عزّة كثيراً وحلفت أن لا تكلمه فلما تفرق الناس من منى لقيته فحيت الجمل ولم تحيّه فقال: [من البسيط]

١ حَيَّتْكَ عزَّةُ بَعْدَ الهجْرِ وانْصَرَفَـتْ   فَحيِّ وَيْحَكَ مَنْ حَيَّـاكَ يـا جَمَـلُ
٢ لَوْ كُنْتَ حَيَّيْتَهَا مَـا زِلْـتَ ذا مِقَـةٍ   عندِي ولا مَسَّـكَ الإدْلاجُ والعمـلُ
٣ فَحَـنَّ مِـنْ وَلَـهٍ إذ قُلـتُ ذَاكَ لَـهُ   وظَـلَّ مُعْتـذراً قـدْ شَفَّـهُ الخَجَـلُ
٤ وَدَّ مِنْ جَزَعٍ مَـا كُنْـتُ أعْـرِفها   وَرَامَ تكْليمَهَـا لَـوْ تَنْطِـقُ الإبِــلُ
٥ ليتَ التَّحِيَّةَ كَانَتْ لي فـأشْكُـرَهَـا   مَكَانَ يـا جَمَـلٌ حُيِّيـتَ يعا رجُـلُ

---

(٩) أثري: أسرّ وأفرح وربّما كانت بمعنى أغتني.
(١٠) قصراً: قصيراً. أراد أنّه طويل في تحمّل المصاعب ودفع الشّدائد.

---

(٢) المقة: المحبّة. الإدلاج: السّير ليلاً.
(٣) وله: حزن شديد. شفّ: رقّ ونحل.
(٤) الجزع: الخوف.
(٥) مكان يا جمل: أي مكان حُيّيت يا جمل، حيث حذف عبارة « حيّيت » الأولى لدلالة الثانية عليها.

وقال كثيّر يمدح بشر بن مروان ـ وأمه قُطيَّة بنت بشر بن عامر بن مالك بن جعفر ابن كلاب(★) : [من الوافر]

١ أَلَـمْ تَـرْبَـعْ فَتُخبِـرَكَ الطُّلُـولُ   بِبَيْنَـةَ رَسْمُهـا رَسْـمٌ مُحيـلُ
٢ تحمّـلَ أهلُهـا وَجَـرى عليهـا   رِيـاحُ الصَّيـفِ والسّـربُ الهطـولُ
٣ تحـنُّ بهـا الدَّبـورُ إذا أَرَبَّـتْ   كمـا حَنَّـتْ مُـوَلَّهَـةٌ عَجُـولُ
٤ تَعَلَّـقَ نـاشئـاً مـن حُـبِّ سَلْمـى   هـوىً سَكَـنَ الفـؤادَ فمـا يـزولُ
٥ سَبَتْنـي إذْ شَبَـابي لـم يُعصَّـبْ   وإذْ لا يَسْتَبِـلُّ لهـا قتيـلُ
٦ فلـم يَمْلَـلْ مـودَّتهـا غُلامـاً   وقَـدْ يَنْسـى وَيَطَّـرِفُ الملـولُ
٧ فأدْرَكَـكَ المَشِيـبُ علـى هَـوَاهـا   فلا شَيْـبٌ نهـاكَ ولا ذهـولُ
٨ تَصِيـدُ ولا نُصـادُ وَمَـنْ أصـابـتْ   فلا قَـوَداً، وليس بـه حميـلُ

(★) كان بشر يكنّى أبا مروان شهد معركة مرج راهط (سنة ٦٤ هـ)، وكان منقطعاً إلى أخيه عبد العزيز قبل أن يصبح أخوهما عبد الملك خليفة، فلمّا ولي عبد الملك الخلافة جعل بشراً والياً على الكوفة، فكان في ولايته ليّناً سهل الحجاب طلق الوجه كريماً، فقصده كثير من الشعراء مادحين ومنهم الأخطل وجرير والفرزدق وكثيّر وغيرهم، ثمّ ضمّت إليه ولاية البصرة سنة ٧٤، فانحدر إليها ولم يطل مقامه بها، فقال إنّه أقام فيها شهرين أو أربعة أو ستّة؛ وتوفّي فدفن في البصرة، ورثاه الشّعراء، ومشى الفرزدق في جنازته ومعه فرس كان بشر أهداه له، فلمّا فرغ من دفنه عقد الفرس على القبر.

(١) ربع بالمكان: أقام. بينة: موضع من الجيّ، والجيّ من وادي الرويثة وهو من روافد وادي الصفراء. رسمها: آثارها. محيل: دارس.

(٢) تحمّل: ارتحل. السّرب: السّائل يعني المطر.

(٣) تحنّ: تصوّت. الدّبور: الرياح الغربيّة. أربّ: ألحّ ولزم. المولّهة: النّاقة التي اشتدّ وجدها على ولدها. العجول. الثّاكل التي فقدت ولدها.

(٤) ناشئاً: ظرف زمان أي منذ بداية نشأته.

(٥) لم يُعصّب: لم يستهلك. يستبلّ: يشفى من مرضه.

(٦) غلاماً: ظرف زمان. يطّرف: يسأم ويملّ.

(٧) الذّهول: النسيان والصّبر.

(٨) القود: قتل النّفس بالنّفس. الحميل: الكفيل الضّامن.

٩ هِجانُ اللَّونِ وَاضِحَةُ المُحيّا   قطيعُ الصَّوتِ آنِسَةٌ كَسولُ
١٠ وتبسِمُ عَن أغرَّ لَهُ غُروبٌ   فُراتِ الرّيقِ ليسَ بِهِ فُلولُ
١١ كأَنَّ صَبيبَ غاديةٍ بلِصْبٍ   تُشَجُّ بهِ شآمِيَةٌ شمُولُ
١٢ على فيها إذا الجَوْزَاءُ كانت   مُحَلِّقَةً وأَرْدَفَهَا رعيلُ
١٣ فدعْ ليلى فقد بَخُلَتْ وَصَدَّتْ   وصَدَّعَ بَيْنَ شَعْبَينا الفلولُ
١٤ وأحْكِمْ كُلَّ قَافيةٍ جَديدٍ   تُخيّرُهَا غرائبَ ما تقولُ
١٥ لأَبيضَ ماجدٍ تُهدي ثَنَاهُ   إليهِ، والثَّنَاءُ لَهُ قليلُ
١٦ أبي مروانَ لا تَعْدِلْ سِوَاه   بِهِ أحداً وَأَيْنَ بهِ عديلُ
١٧ بِطَاحيٌّ لَهُ نَسَبٌ مُصفّى   وأخلاقٌ لها عَرْضٌ وطولُ
١٨ فَقَدْ طَلَبَ المَكَارمَ فاحتواها   أغرُّ كأنَّهُ سَيْفٌ صقيلُ
١٩ تَجَنَّبَ كُلَّ فَاحِشَةٍ وَعَيْبٍ   وصافى الحمدَ فهو له خليلُ
٢٠ إذا السَّبعون لم تُسْكِتْ وليداً   وأصبحَ في مباركها الفحولُ

---

(٩) هجان: خالصة، صافية، بيضاء. المحيا: الوجه. قطيع الصّوت: كناية عن الخفر والحياء. كسول: منعّمة مترفة.

(١٠) أغرّ: أبيض، كناية عن الأسنان. الغروب: التحزيز في الأسنان. فرات: عذب. الفلول: الأثلام والشّقوق.

(١١) الصّبيب: الماء المنصّب. الغادية: السّحابة الممطرة. اللّصب: مضيق الوادي ويكون ماؤه صافياً. تشجّ: تخلط وتمزج. الشآمية: الخمرة من صنع الشّام. الشّمول: صفة للخمرة التي تشمل برائحتها النّدامى، وقيل الخمرة الباردة.

(١٢) على فيها: خبر «كأنّ» في البيت السّابق. محلّقة: عالية. أردفها: تبعها ولحق بها. الرَّعيل: المجموعة من النجوم.

(١٣) الفلول في الحبّ: الخصام والجفاء.

(١٤) تخيّرها: تختار لها.

(١٥) الأبيض الماجد: يعني به بشر بن مروان. الثناء: الشّكر.

(١٧) بطاحي: نسبة الى بطحاء مكّة.

(١٨) أغرّ: أبيض، واضح.

(١٩) صافاه: أصبح له صفيّاً أي صديقاً وخليلاً.

(٢٠) السّبعون: أراد بها السّبعين من الإبل التي نضب لبنها وجفّ ولم يعد يكفي طفلاً جائعاً =

٢١ وكان القطرُ أجلاباً وَصِرّاً تحثُّ بهِ شآميَةٌ بليلُ
٢٢ فإنَّ بكفّهِ ما دامَ حيّاً منَ المعروفِ أوديةً تَسيلُ
٢٣ تَقُولُ حليلتي لمّا رأتني أرقْتُ وَضَافَنِي هَمٌّ دخيلُ
٢٤ كأنّك قَدْ بدا لكَ بعدْ مُكْثٍ وَطَول إقامةٍ فينا رحيلُ
٢٥ فَقُلتُ أجَلْ، فَبَعْضَ اللَّوم إنّي قَديماً لا يلائِمُني العذولُ
٢٦ وَأبيضَ يَنْعَسُ السَّرْحَانُ فيه كأنَّ بَيَاضَهُ رَيْطٌ غَسيلُ
٢٧ خَدَتْ فيه برحلي ذاتُ لَوْثٍ منَ العيديِّ ناجيةٌ ذَمُولُ
٢٨ سَلوكٌ حِينَ تَشْتَبهُ الفَيَافِي وَيُخْطِىءُ قَصْدَ وِجْهَتِه الدَّليلُ
٢٩ إذا فَضَلَتْ معاقِدُ نِسْعَتَيْها وأصْبَحَ ضَفْرُها قَلِقاً يجولُ
٣٠ على قَرْواءَ قَدْ ضَمَرَتْ ففيها، ولم تَبْلُغْ سليقَتُها، ذبولُ
٣١ طَوَتْ، طيَّ الرِّداءِ، الخرْقَ حتّى تَقَارَبَ بُعْدُه، سُرُحٌ نَصُولُ

= ليسكته عن البكاء. أصبح: فعل ماضٍ تام وفاعله «الفحول». أي ظلّت الفحول في مباركها لا ترتعي العشب لهزالها.

(٢١) الأجلاب: السّحائب التي لا ماء فيها. الصرّ: شدّة البرد. الشّآمية: الرّياح الشمالية. والمعنى يكتمل في البيت اللاّحق.

(٢٣) ضافني: أصابني وحلّ بي. دخيل: باطن.

(٢٤) المكث: الإقامة.

(٢٥) بعض اللّوم: أي أقلّي الملامة. لا يلائمني: لا يصلحني. العذول: اللّوم.

(٢٦) الأبيض: أي الطّريق الأبيض. السّرحان: الذّئب، ونعاس الذّئب في الطريق كناية عن طوله. الرّيط: الملاءة من نسج واحد. الغسيل: المغسول.

(٢٧) خدا: أسرع في السّير. اللّوث: القوّة. العيديّ: الإبل المنسوبة إلى الفحل عيد وقيل المنسوبة إلى عاد. ناجية: سريعة. ذمول: تسير سير الذّميل أي السّريع اللّيّن.

(٢٩) فضلت: زادت. النّسعة: سير عريض من جلد تشدّ به الرّحال، وزيادته تدلّ على هزال أصاب النّاقة من شدّة السّير: الضّفر: ما يُشدّ به البعير من الشعر المضفور أي المجدول وإذا قلق وارتخى دلّ ذلك على أنّ النّاقة أصابها الهزال.

(٣٠) القرواء: الطّويلة السّنام. السّليقة: الطّبيعة.

(٣١) الخرق: الصّحراء لا ماء فيها. سرح: سريعة في سيرها. نصول: خرّاجة من بين الآكام والجبال.

٣٢ مـن الكُتْـمِ الحَـوَافِـظِ لا سَقـوطٌ إذا سَقَـــط المَطِـيُّ ولا ســـؤولُ
٣٣ تَكَـادُ تطيــرُ إفــراطـــاً وَسَغْبـاً إذا زُجِـرَت وَمُـدَّ لهــا الحبــولُ
٣٤ إلـى القَـرْمِ الذي فـاتَــتْ يــداهُ بفعـلِ الخيـرِ بَسْطَـةَ مَـنْ يُنيـلُ
٣٥ إذا مـا غَـالِـيَ الحمــدِ اشتــراهُ فمـــا إنْ يَسْتَقِـــلُّ ولا يُقيـــلُ
٣٦ أمينُ الصَّـدْرِ يَحْفَـظُ مـا تَـوَلّـى كمـا يُلْفـى القَــويُّ بــه النّبيـلُ
٣٧ نقــيٌّ طَــاهِــرُ الأثْــواب بَــرٌّ لكــلّ الخيــرِ مُصْطَنِـعٌ مُحيـلُ
٣٨ أبـا مـروانَ أنـت فتــى قــريشٍ وكَهْلُهُـــمُ إذا عُـــدَّ الكهـــولُ
٣٩ تُـوَلّيــهِ العَشِيــرةُ مــا عَنــاهَــا فلا ضَيْـــقُ الذراعِ ولا بخيـــلُ
٤٠ إليـكَ تُشِيــرُ أيــديهــمْ إذا مــا رَضُـوا أو غـالهُـمْ أمــرٌ جليـلُ
٤١ كِلا يَـوْمَيْـهِ بـالمعــروف طَلْــقٌ وكـلُّ فِعـــالِــهِ حَسَـنٌ جميـلُ
٤٢ جـوادٌ سـابـقٌ فـي اليُسْــرِ بحــرٌ وفــي العِلاّتِ وهّـــابٌ بَـــذولُ
٤٣ تــأنَّسُ بــالنَّبــاتِ إذا أتَــاهَــا لِـرُؤيــةِ وَجْهِـهِ الأرضُ المحــولُ
٤٤ لِبَهْجَـةِ وَاضِــحٍ سَهْــلٍ ، عليــه إذا رُئِـــيَ المهــابـــةُ والقَبُـــولُ

---

(٣٢) الكتم: جمع كتوم، أي النّاقة التي لا تشول بذنبها عند اللقاح ولا يعلم بحملها. الحوافظ: التي تحفظ أجنّتها فلا تسقطها من الإعياء. سؤول: شديدة الإلحاح والطلب.
(٣٣) الإفراط: السّبق والتقدّم. سغباً: جوعاً ولعلّ الكلمة «شغباً» أي هياجاً واحتداماً.
(٣٤) القرم: السّيد الكريم. بسطة الكفّ: كناية عن الكرم والجود.
(٣٥) يستقلّ: يجده قليلاً. يقيل: يلغي البيع ويفسخه.
(٣٧) بَرّ: صادق. محيل: ذو حول وقوّة.
(٣٩) عناها: ما كان من أمرها. ضَيْق: ضيّق، وضيق الذّراع هو قلّة الحيلة.
(٤٠) غالهم: أخذهم من حيث لا يعلمون فأهلكهم. ولعلّ الصّواب «عالهم» أي ثقل عليهم.
(٤١) طلق: سخيّ.
(٤٢) العِلاّت: الأحداث التي تجعل الجواد يأتي بالأعذار والعلل ليغطّي تقصيره.
(٤٣) تأنّس: تتأنّس، عكس تستوحش، وفاعله، «الأرض».
(٤٤) الواضح السَّهل: وجه الممدوح.

٤٥ لِأَهْلِ الوُدِّ والقُرْبَى عَلَيْهِ صَنَائِعُ بَثَّهَا بَرٌّ وَصُولُ
٤٦ أيادٍ قَدْ عُرِفْنَ مظاهرَاتٍ لَه فيها التطاوُلُ والفضولُ
٤٧ وعَفْوٌ عن مُسيئِهِمُ وَصَفْحٌ يَعُودُ به إذا غَلِقَ الحجولُ
٤٨ إذا هُوَ لم تُذكّرْهُ نُهَاهُ وَقَارَ الدّينِ والرأيُ الأصيلُ
٤٩ وللفقراءِ عَائِدَةٌ وَرُحْمٌ ولا يُقْصَى الفقيرُ ولا يَعيلُ
٥٠ جنابٌ واسعُ الأكنافِ سَهْلٌ وَظِلٌّ في مَنَادِحِهِ ظليلُ
٥١ وَكَمْ مِنْ غَارِمٍ فرَّجْتَ عنه مغارمَ كُلُّ مَحْمَلِها ثقيلُ
٥٢ وذي لَدَدٍ أريتَ اللدَّ حتّى تَبَيّنَ واستبانَ له السَّبيلُ
٥٣ وأمرٍ قد فَرَقْتَ اللَّبْسَ منه بِحِلْمٍ لا يجورُ ولا يميلُ
٥٤ نمى بك في الذؤابةِ من قُرَيشٍ بِنَاءُ العِزّ والمجدُ الأثيلُ
٥٥ أَرُومٌ ثَابِتٌ يَهْتَزُّ فيه - بأكرمِ مَنْبِتٍ - فَرْعٌ أصيلُ

---

(٤٥) صنائع : أعمال برّ.
(٤٦) أياد : أعمال بيضاء. مظاهرات : متتاليات. التّطاول : الفضل والزّيادة.
(٤٧) الحجول : القيود. وغلق الحجل : كان فكّه عسيراً، وغلق الأسير إذا لم يُفْدَ.
(٤٨) نهاه : عقله الذي ينهاه عن الشرّ.
يقول : إذا كان عقل الجاهل لا ينهاه عن الإساءة فإنّ بشراً يقابله بالتّسامح والعفو.
(٤٩) العائدة : المعروف. الرُّحم : الرّحمة. يعيل : يحتاج الى المساعدة.
(٥٠) منادحه : دياره الرّحبة الواسعة.
(٥١) المغارم : عكس المغانم، الدّين والخسارة.
(٥٢) اللّدد : الخصام الشّديد.
(٥٣) فَرَقْتَ : أزلْتَ. اللّبس : الشّكّ.
(٥٤) الأثيل : الرّاسخ، المتأصّل في الشّرف.
(٥٥) الأروم : الأصل.

وقال: [من الطويل]

١ أَقُولُ وقد جاوَزْنَ مِن صَدرِ رَابغٍ مَهَامِهَ غُبراً يَرْفَعُ الأُكْمَ آلُهـا
٢ أَأَلْحَيَّ أَم صِيرَانُ دَوْمٍ تَنَاوَحَتْ بتِرْيَمَ قَصْراً واستَحَثَّتْ شِمالُها
٣ أرى حِينَ زالَتْ عِيرُ سَلْمى بِرابغٍ وَهَاجَ القُلوبَ السَّاكناتِ زوالُها
٤ كأنَّ دُمُوعَ العَينِ لمّا تخَلَّلَتْ مخارِمَ بِيضاً مِن تمَنّي جِمالُها
٥ قبِلنَ غُروباً مِن سُمَيْحَةَ أَنْزَعَتْ بِهنَّ السَّواني واسْتدارَ مَحالُها
٦ لَعَمْرُكَ إنَّ العَيْنَ عَنْ غيرِ نعمةٍ كذاكَ إلى سَلْمى لَمُهْدًى سِجَالُها
٧ عذَرْتُكَ في سَلْمَى بآنِفَةِ الصِّبا ومَيْعَتِهِ إذْ تَزْدَهيكَ ظِلالُها

* * *

٨ ومُلْتَمِسٍ منّي الشَّكِيَّةَ غَرَّهُ لِيانُ حَوَاشِي شِيمَتي وجَمالُها
٩ رَميتُ بأَطرافِ الزِّجاجِ فَلَمْ يُفِقْ عَنِ الجَهْلِ حتَّى حكّمتهُ نِصالُها

(١) رابغ: وادٍ يقطعه الحاجّ بين البزواء والجحفة دون عزور. المهامه: الصّحاري الواسعة لا ماء فيها. الآل: السّراب.

(٢) الصّيران: النّخل أو الشجر المجتمع ولا مفرد له. الدّوم: شجر له ثمار لذيذة كالتفّاح. تناوحت: تقابلت. ترْيَم: وادٍ بين المضايق ووادي ينبع قريب من مدين. قصراً: عشاءً. استحثّت: حثّت واندفعت.

(٣) أرى: عائدة إلى قوله أألحيّ. العير: القافلة.

(٤) تخلّلت: قطعت. مخارم: منقطع أنوف الجبال. تمنّي: منطقة جبليّة بين ثنيّة هرشى والمدينة.

(٥) قبلن: أي استلمن الدّلو حين تخرج من البئر. الغروب: الدلاء الكبيرة. سميحة: بئر في ديار الأنصار. السّواني: الإبل التي يُستقى عليها. المحال: البكرة العظيمة. وجملة «قبلن» خبر كأن في البيت السّابق.

(٦) النّعمة: البهجة والفرح. السّجال: الدّلاء إنّ عينه ترسل مدامعها هديّة لسلمى من غير بهجة.

(٧) آنفة الصّبا: أوّل الشّباب وريعانه. تزدهيك: تستخفّك.

(٨) الشّكيّة: ما يُشكى منه. اللّيان: رخاء العيش ونعيمه.

(٩) الزّجاج: جمع. رج، الحديدة في أسفل الرّمح. النّصال: جمع نصل، حديدة الرّمح التي في أعلاه.

١٠ وَذِي كَـرَمٍ يـومـاً أَرادَ كَـرَامتـي (وعربة) ودّي رَغْبَةً هَـلْ ينـالُهـا
١١ بَـذَلْـتُ لَـهُ مِثْلاً وَكُـلُّ تَحِيَّـةٍ مَـنَ المَرْءِ مَـرْدُودٌ عليـه مثـالُهـا

— 93 —

وقال في رثاء خالد بن عبد الله الأسدي(*): [من الطويل]

١ على خالدٍ أَصْبَحْتُ أبكي لخـالـدٍ وَأَصْدُقُ نَفْساً قـد أُصِيـبَ خليلُهـا
٢ تـذكـرتُ منـه بعـدَ أوَّلِ هجعـةٍ مساعيَ لا أدري علـى مـن أُحيلهـا
٣ وكنـتَ إذا نَـابَـتْ قـريشـاً ملمّـةٌ وقـال رجـالٌ سـادةٌ: مـن يُـزيلُها
٤ تكـونُ لهـا لا معجَباً بَنَجـاحِهـا ولا يَحْمِـلُ الأثقـالَ إلا حَمُـولها
٥ فأيـنَ الذَّي كَـانـتْ معـدٌّ تَنُـوبُـهُ وَيَحْتَمِـلُ الأَعْبَـاءَ ثُـمَّ يَعـولُهـا

— 94 —

قال صاحب الخزانة (٣: ٥٨٢): ذكر أهل الأخبار أن كثيراً لما دخل على عبد العزيز أنشده قصيدته التي منها «إذا ابتدر الناس المكارم...» فأعجب به وقال: حكمك يا أبا صخر، قال: فإني أحكم أن أكون مكان ابن رمانة (كاتب

(١٠) وعربة: دون إعجام للباء في الأصل.

(*) الأسدي، لعلّه «الأسيدي» خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص أحد رجالات بني أميّة، اشترك مع عبد الملك في حرب مصعب وبعد انتصار عبد الملك على مصعب سنة ٧٠ هـ ولاّه البصرة فبقي والياً عليها إلى أن ضمّت لبشر بن مروان، وبعد وفاة بشر ردّت إليه إلى أن تولّى الحجّاج العراق، فعزله عنها.
(١) أصدقه: عدّه صادقاً.
(٢) الهجعة: النّومة الخفيفة في أوّل الليّل.
(٣) نابت: أصابت. ملمة: كارثة.
(٥) معدّ: العرب عامّة. يعولها: يقوم بأمرها.

عبد العزيز وصاحب أمره)، فقال له عبد العزيز: ترى حالك، ما أردت ويلك، ولا علم لك بخراج ولا بكتابة، اخرج عني، فخرج كثير نادماً على ما حكى، ثم لم يزل يتلطف حتى دخل عليه فأنشده «وان ابن ليلى فاه لي بمقالة...». [من الطويل]

١ إذا ابتَدَرَ النَّاسُ المَكَارِمَ بَذَّهُمْ   عَرَاضَةُ أَخْلاقِ ابنِ لَيْلَى وَطُولُها

★ ★ ★

٢ وإنَّ ابنَ ليلى فَاهَ لي بِمَقَالَةٍ   وَلَوْ سِرْتُ فيها كُنْتُ مِمّن يُنيلُها
٣ عَجِبْتُ لِتَرْكِي خُطَّةَ الرُّشْدِ بَعْدَمَا   بَدَا لِيَ مِن عَبْدِ العَزيزِ قَبُولُها
٤ وَأَمِّيَ صَعْبَاتِ الأُمُورِ أَرُوضُها   وقد أمْكَنَتْني يومَ ذاكَ ذَلُولُها
٥ حَلَفْتُ بِربّ الرّاقِصَاتِ إلى منًى   يَغُولُ البلادَ نَصُّها وَذَمِيلُها
٦ لئِن عَادَ لي عبدُ العزيزِ بِمِثلِهَا   وَأَمْكَنَني مِنها إذاً لا أُقِيلُها
٧ فَهَل أَنْتَ إن راجعْتُكَ القَوْلَ مرّةً   بأَحْسَنَ منها عَائِدٌ فمُنيلُها

---

(١) بذّهم: تغلّب عليهم وفاقهم، والأخلاق توصف بالطّول والعرض.
(٢) فاه: تكلّم. سرت فيها: سعيت في طلبها. ينيلها: يحصل عليها وينالها من الممدوح.
(٣) الخطة: الأمر والقصّة والمسألة، وخطّة الرّشد هي تحكيم عبد العزيز إياه فيما يطلب.
(٤) أمي: المصدر من فعل أمّ أي قصد. أروضها: أذلّلها. الذّلول: السّهل المنقاد.
(٥) الرّاقصات: الإبل التي تمشي الخبب. يغول: يقطع. النّصّ والذّميل: نوعان من العدو السريع.
(٦) لا أقيلها: لا أردّها.
(٧) منيلها: معطيها، وقيل لمّا سمع عبد العزيز هذا البيت قال له: أمّا الآن فلا، ولكنْ قد أمرنا لك بعشرين ألف درهم.

وقال يمدح: [من الكامل]

١ حَيِّ المَنَازِلَ قَدْ عَفَتْ أطْلالُها ... وَعَفَا الرُّسومَ بِمُورِهِنَّ شَمالُها

٢ قَفْراً وقَفْتُ بها فَقُلْتُ لِصَاحبي ... والعَينُ يَسبُقُ طَرْفَها إسْبالُها

٣ أقوى الغَيَاطِلُ مِن حِرَاجِ مَبَرَّةٍ ... فَخُبُوتُ سَهْوَةَ قَدْ عَفَتْ فرِمالُها

٤ وَتَقاصَرَتْ أُصُلاً شُخُوصُ أُرُومِهَا ... حَتَّى مَثَلْنَ وَأعْرَضَتْ أغْفالُها

★ ★ ★

٥ الضَّارِبُونَ أَمَامَهَا وَوَراءَهَا ... بمُهَنَّدَاتٍ قَدْ أُجِيدَ صِقالُها

٦ الحِلْمُ أثبَتُ مَنْزِلاً في صَدرِهِ ... مِن هضْبِ صِنْدِدَ حَيْثُ حَلَّ خيالُها

٧ ولَوَجْهُهُ عِندَ المَسَائِلِ إذْ غَدا ... وَغَدَتْ فَوَاضِلُ سَيْبِهِ وَنَوَالُها

٨ بالخير أَبْلجُ مِن سِقايَةِ رَاهِبٍ ... تُجْلى بِمَوْزَنَ مُشْرِقٌ تِمْثالُها

---

(١) المور: التراب.

(٢) قفراً: منصوب على الحال. الإسبال: إرسال الدّمع.

(٣) الغياطل: جمع غيطلة الأجمة. الحراج: جمع حرجة، الغيضة أو الشّجر الملتفّ. مَبَرَّة: أكمة دون الجار إلى المدينة. خبوت: جمع خبت، الرّمل السّهل اللّيّن. سهوة: اسم موضع.

(٤) الماثل: من الأضداد، المنتصب والذّاهب وهنا بالمعنى الثّاني. أصلاً: وقت الأصيل. أرومها: أعلامها. أغفالها: الصّحاري التي لا أعلام فيها ولا جبل يُهتدى بها.

(٥) مهنّدات: سيوف من الهند.

(٦) صِندد: جبل بالحجاز.

(٧) المسائل: الطّلب. السّيب: العطاء والسّخاء والكرم.

(٨) أبلج: أشدّ بياضاً وإشراقاً وهي خبر المبتدأ «وجهه». السّقاية: الإناء من الفضّة. موزن: اسم موضع.

وقال: [من الطويل]

١ أمِن طَلَلٍ أَقْوَى مِنَ الحَيِّ مَاثِلُهْ ... تُهيِّجُ أَحْزَانَ الطَّروبِ منازلُهْ
٢ بَكَيْتَ، وما يُبكِيكَ مِنْ رَسْمِ دِمْنَةٍ ... أضرَّ بِهِ جَوْدُ الشَّمالِ ووابلُهْ
٣ سَقى الرَّبْعَ مِنْ سَلْمى بنَعفِ رُوَاوَةٍ ... إلى القَهْبِ أَجْوَادُ السَّمِيِّ ووابلُهْ
٤ وإنْ كَانَ لا سُعْدى أطَالَتْ سُكُونَهُ ... ولا أهْلُ سُعدى آخِرَ الدَّهرِ نازلُه
٥ وإنِّي لأَرْضَى مِن نَوَالكِ بالَّذي ... لوَ ٱبْصَرَهُ الواشي لقرَّتْ بلابلُهْ
٦ بلَى وَبأَنْ لا أَسْتَطيعُ وبالمُنى ... وبالوَعْدِ والتَّسويفِ قد مَلَّ آملُهْ
٧ وَحُبُّكِ يُنسيني مِنَ الشَّيءِ في يدي ... ويُذهِلُني عَنْ كُلِ شَيءٍ أُزاوِلُهْ
٨ سَيَهْلِكُ في الدُّنيا شَفِيقٌ عليْكُمُ ... إذا غَالَهُ مِن حَادِثِ الدَّهرِ غائلُهْ
٩ ويُخْفِي لَكُمْ حُبّاً شَديداً ورَهبةً ... وَلِلنَّاس أشْغالٌ وحُبُّكِ شاغِلُهْ
١٠ كَرِيمٌ يُميتُ السِّرَّ حتَّى كَأَنَّهُ ... إذا استبْحَثُوهُ عَنْ حَديثِكِ جاهلُهْ
١١ يَوَدُّ بِأَنْ يُمسي سَقِيماً لعلّها ... إذا سَمِعَتْ عَنْهُ بِشَكْوَى تُراسلُهْ
١٢ وَيَرْتَاحُ للمَعْرُوفِ في طَلَبِ العُلى ... لتُحْمدَ يوماً عِنْدَ ليلى شَمَائِلُهْ

---

(١) أقوى: أقفر. ماثله: ما انتصب منه. الطّروب: هنا الحزين

(٢) الجود: المطر. الوابل: المطر الشّديد.

(٣) النّعف: ما استرقّ من الرّمل. رواوة: من قبلي بلاد مزينة. القهب: جبل. أجواد: جمع جود، المطر. السّميّ: أمطار الربيع. وتكرار القافية يدلّ على أنّ البيت من قصيدة أخرى أو أنّ أبياتاً سقطت بين الثّاني والثّالث.

(٤) السّكون: السَّكن والإقامة.

(٥) قرّت: هدأت وسكنت. البلابل: جمع البَلبَل، الهياج والحركة. وهذا البيت والذي يليه هما لجميل بثينة.

(٧) أزاوله: أمارسه.

(٨) غاله: أهلكه.

(١٠) استبحثوه: بحثوا الأمر معه.

(١٢) شمائله: طبائعه.

١٣ وعى سِرَّكُم فـي مُضْمَرِ القَلْبِ والحَشَا شَفِيقٌ عَليكُـمْ لا تُخـافُ غـوائِلُـه
١٤ وأكتُمُ نفسي بعض سِرّي تكـرُّمـاً إذا ما أضاع السّرَّ في الناس حـامِلُـهْ
١٥ فَلَو كُنْتُ في كَبْلٍ وَبُحْتُ بلَوْعَتـي إليـه لأنَّـتْ رَحْمَـةً لـي سَلاسِلُـهْ
١٦ وَلَوْ أكَلَتْ مِنْ نَبْتِ عيْني بهيمـةٌ لهيّـجَ منهـا رَحْمَـةً حِيـنَ تـأكُلُـهْ
١٧ وَيُدْرِكُ غيري عِنْدَ غيـرِكِ حَظَّـهُ بِشِعْرِي ويُعيِيني بـه مـا أُحـاوِلُـهْ
١٨ فلا هَانَتِ الأشْعَارُ بَعدي وبَعدَكـم مُحِباً وَمَاتَ الشِّعرُ بعدي وقائلُه(★)

— 97 —

وقال يمدح عبد الملك بن مروان: [من الطويل]

١ أهَـاجَـكَ لَيْلَـى إذْ أجَـدَّ رَحِيلُهَـا نَعَمْ وَثَنَتْ لَمَّا احـزَألَّـتْ حمـولُهـا

★ ★ ★

---

(١٣) وعى: حفظ. غوائله: الدّواهي من قبله.
(١٥) الكبل: القيد. أنّت: تأوّهت. والبيت والذي يتبعه نسبهما القالي في أماليه إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبه ابن مسعود مضيفاً بعدهما:
ولمّـا عصـانـي القلـبُ أظهـرتُ عـولـةً وقلـتُ ألا قلـبٌ بقلبـي أبـادلـه.
(١٧) يعييني: يمتنع عليّ. والضمير في «به» يعود إلى «شعري».
(١٨) قوله «هانت» لا يتّفق مع لفظة «محبّاً» المنصوبة بعده. وربّما كان في البيت تحريف.
(★) وفي نوادر الهجري (الورقة: ١٤١) بيت لعلّه من القصيدة وهو:
لقد أدركت بالبخـل جـودي ومـا صفـا إلـى بـاخـل بـالجـود مـن لا يُبـاذلـه
وفي ابن جني (١: ٧/أ) بيت آخر وهو:
ذهـوب بـأعنـاق المسـنّ عطـاؤه غلـوبٌ علـى الأمـر الذي هـو فـاعلـه
وفي ابن جني (٢: ٥٤/أ) بيت آخر وهو:
إلـى ملـك لا ينصـف السيـف سـاقـه أجـل لا وإن كـانـت طـوالاً حمـائلـه

---

(١) احزألّت: ارتفعت وانتصبت.

٢ لَقَدْ سِرْتُ شَرْقِيَّ البِلادِ وغَرْبَهَا وقد ضَرَبَتْني شَمْسُها وظُلولها

★ ★ ★

٣ يَنُوء فَيَعْدُو مِنْ قَرِيبٍ إذا عَدا وَيَكمُنُ في خَشْبَاءَ وَعْثٍ مَقيلُها

★ ★ ★

٤ سَيَأتِي أميرَ المؤمنينَ ودونَهُ صِمادٌ من الصَّوّانِ مَرْتٌ مُيولُها
٥ فَبِيدُ المُنقّى فَالمشارِفُ دونَهُ فرَوْضَةُ بُصْرَى أعرَضَتْ فبسيلُها
٦ ثَنائي تُؤدّيهِ إليكَ وَمِدْحَتي صُهَابِيَّةُ الألوان بَاقٍ ذميلُها
٧ عَسُوفٌ بأَجْوَازِ الفَلا حِمْيَرِيَّةٌ مَرِيشٌ بِذِئْبانِ السَّبِيبِ تَليلُها
٨ يُغَادِي بِفَارِ المِسْكِ طَوْراً وَتَارَةً تُرَى الدِّرْعُ مُرفضّاً عليه نثيلُها
٩ وقد شخصتْ بالسَّابريَّةِ فوقه مُعلبَّةَ الأنبوبِ ماضٍ أليلُها

---

(٢) الظّلول: جمع ظلّ.
(٣) الخشباء: مؤنّث أخشب، القفّ الغليظ، وقيل الخشباء هي الغيضة. الوعث: الطريق العسير الصعب. والبيت ربّما كان في وصف حمار الوحش.
(٤) الصّماد: جمع صمد، أي المكان الغليظ المرتفع لا يبلغ أن يكون جبلاً. المرت: الأرض التي لا نبات فيها. الميول: جمع ميل، وهو ما ينتهي إليه مدّ البصر، وقيل أربعة الآف ذراع أو أربعة آلاف خطوة.
(٥) المنقّى: موضع بين أحد والمدينة. المشارف: المرتفعات أو هي مشارف الشّام. بصرى: بأرض حوران. بسيل: قرية بحوران.
(٦) ثنائي: فاعل الفعل « سيأتي » الوارد في البيت الرابع. صهابية: فيها صهبة أي بياض تخالطه حمرة. الذّميل: ضرب من سير الإبل سريع.
(٧) العسوف: النّاقة التي تمرّ على غير هداية. أجواز: أوساط. حميرية: مهريّة لأنّ مهرة من حمْير. الذّئبان: الشّعر على عنق البعير ومشفره. السّبيب: الشّعر المتدلّي على وجه الفرس من ناصيته. التّليل: العنق.
(٨) فار المسك: نافجة المسك أي وعاؤه، سمّيت فارة لأنّ الروائح الطيّبة تفور منها والأصل فأرة فخُفّفت. الدّرع النّثيل: المنثول، من نثل عليه درعه مثل نثرها إذا صبّها، ونثلها عنه نزعها، كما يقال خلع عليه الثوبَ وخلعه عنه.
(٩) السّابريّة: قطعة من الثياب الدقيقة النّسج جعلت راية. معلّبة: مشدودة بالعلباء وهي عصبة صفراء ممتدّة. الأليل: الحربة.

١٠ ترى ابنَ أبِي العَاصي وَقَدْ صُفَّ دُونهُ ثَمانونَ ألفاً قدْ تَـوَافَـتْ كُمُـولُهـا
١١ يُقلّـبُ عَيْنَـيْ حَيَّـةٍ بِمَحَـارَةٍ أضَـافَ إليهـا السَّـارِيـاتِ سَبيلُهـا
١٢ يَصُـدُّ ويُغْضِـي وَهْـوَ لَيـثُ خفيّـةٍ إذا أمْكَنَتْـهُ عَـدْوَةٌ لا يُقِيلُهـا
١٣ بَسَطْتَ لِبَاغِي العُرْفِ كَفّـاً بسيطـةً تنالُ العِدَى بلْهَ الصَّديـقَ فضُـولُهـا
١٤ ولم يكُ عن عَفـرٍ تَفَـرُّعُـكَ العُلـى وَلَكِنْ مَوَارِيـثُ الجُـدُودِ تـؤولهـا
١٥ حمَوْا مَنْزِلَ الأمْلاكِ مِنْ مَرْجِ راهطٍ ورَمْلَـةِ لُـدٍّ أنْ تُبـاحَ سُهـولُهـا

— 98 —

وقال كثيّر أيضاً متغزلاً: [من الطويل]

١ ألا حَيِّيَـا لَيْلَـى أجَـدَّ رَحيلَـي وَآذَنَ أصْحـابـي غَـداً بقُفُـولِ
٢ تَبَـدَّت لَـهُ لَيلَـى لِتَغْلِـبَ صَبْـرَهُ وَهَاجَتْكَ أُمُّ الصَّلْـتِ بعـدَ ذُهُـولِ
٣ أُريـدُ لأنْسَـى ذِكْـرَهـا فَكَـأنَّمَـا تَمَثَّـلُ لِـي ليلـى بكُـلِّ سَبيـلِ

---

(١٠) توافت كمولها: اكتمل عديدها وتمّ، فقد جمع كامل على كمول مثل شاهد على شهود.
(١١) المحارة: الحجر الذي تستكن فيه الحيّة. السّاريات: الأمطار التي تسقط ليلاً.
(١٢) العدوة: الوثبة. الخفيّة: الشّجر المتلفّ. لا يقيلها: لا يفوتها.
(١٣) باغي العرف: طالب المعروف. بسيطة: كريمة. بله: اسم فعل بمعنى «دعْ» يدلّ على الأمر. الفضول: الأفضل.
(١٤) العفر: يقال ما شرفك عن عفر أي هو قديم غير حديث. تؤول: تسوس وتحسن الرّعاية، وتتولّى الأمر.
(١٥) رملة لدّ: يعني رملة فلسطين.

---

(١) أجدّ الرحيل: استحكم. القفول: الرجوع.
(٢) الذّهول: السّلوّ والنسّيان.
(٣) تمثّل: تتمثّل، أي تتصوّر. سبيل: طريق. تجمع المصادر على أنّ البيت لجميل حين يقول:
أريـد لانسـى ذكـرهـا فكـأنّمـا تمثّـل لـي ليلـى علـى كـلّ مـرقـب
وقد جاء الفرزدق كثيّراً يقول: «ما أشعرك يا كثيّر في قولك: أريد لأنسى....» يعرض له =

٤ إذا ذُكِرَتْ ليلى تَغَشَّتْكَ عَبْرَةٌ تُعَلُّ بها العَيْنان بَعْدَ نُهُول
٥ وكم مِن خليلٍ قال لي لو سألتَها فَقَلتُ نَعَمْ ليلى أضنُّ خليل
٦ وَأبْعَدُه نَيلاً وأوْشَكُهُ قِلًى وإنْ سُئِلَتْ عُرفاً فَشَرُّ مَسُول
٧ حَلَفْتُ بربِّ الرّاقصاتِ إلى منًى خِلال المَلا يَمْدُدْنَ كُلَّ جَديل
٨ تَراهَا وِفاقاً بَيْنَهُنَّ تَفَاوُتٌ وَيَمْدُدْنَ بالإهْلال كُلَّ أصيل
٩ تَوَاهَقْنَ بالحُجّاج مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ وَمِنْ عزوَرٍ والخَبْتِ خَبْتِ طَفِيل
١٠ بِكُلِّ حَرَامٍ خَاشِعٍ مُتَوجِّهٍ إلى الله يَدْعُوه بِكُلِّ نقيل
١١ على كُلِّ مِذْعَانِ الرّواحِ مُعيدَةٍ وَمَخْشِيَّةٍ ألاَّ تُعيد هزيل
١٢ شَوَامِذَ قَدْ أرْتَجْنَ دُونَ أجنَّةٍ وَهُوجٍ تَبَارَى في الأزِمَّةِ حُول

= بسرقة البيت، فقال كثيّر: أنت اشعر منّي يا فرزدق في قولك:

ترى النّاس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى النّاس وقّفوا

وهو بيت لجميل أيضاً، سرقه الفرزدق: (الأغاني ٩ :٣٣٥).

(٤) تغشّى: انتاب وأصاب. العَبرة: الدّمعة. تُعلّ: تسقى للمرّة الثّانية. النّهول: النّهل، الشّرب للمّرة الأولى.

(٥) لو: هنا بمعنى ليتك. أضنّ: أبخل.

(٦) أوشكه: أقربه وأسرعه. القلى: البغض. العرف: المعروف وصنع الجميل. مسول: مسؤول «مخفّفة».

(٧) الرّاقصات: الإبل المسرعة. الملا: الفضاء. الجديل: الزّمام المجدول.

(٨) وفاقاً: متوافقة في سيرها. الإهلال: رفع الصوّت بذكر الله أو بالدّعاء له أو بغيره. الأصيل: آخر النّهار.

(٩) تواهق: تبارى في السّير. بطن نخلة: بستان بني عامر وهو المجمعة، وقيل وادٍ من الحجاز بينه وبين مكّة مسيرة ليلتين. عزور: ثنيّة الجحفة. الخبت: المطمئنّ من الأرض. طفيل: اسم موضع، وهو خبت من رمل في وسطه جبيل صغير شديد السّواد يتّصل بهرشى.

(١٠) النّقيل: الطّريق.

(١١) المذعان: الخاضعة الذّليلة من الإبل. معيدة: قد عاودت السّفر. المخشيّة ألاّ تعيد: التي يُشكّ في قدرتها على السّفر مرّة ثانية.

(١٢) الشّوامذ: الرّافعات الأذناب، والناقة إذا استبان لقحها شمذت بذنبها. أرتجن: أغلقن =

١٣ يَمينَ امْرىء مُسْتَغْلِظٍ بِأَلِيَّةٍ ليُكذِبَ قِيلاً قَدْ أَلَحَّ بقيلِ
١٤ لَقَدْ كَذِبَ الوَاشُونَ مَا بحتُ عندَهُمْ بليلى ولا أرْسَلْتُهُمْ برسيلِ
١٥ فإن جَاءَكِ الوَاشون عنّي بكذبةٍ فرَوْهَا ولم يأتوا لها بحويلِ
١٦ فَلا تَعْجلي يَا ليلَ أنْ تَتَفَهّمي بِنُصْحٍ أتى الوَاشُون أمْ بِحُبُولِ
١٧ فإنْ طِبْتِ نَفْساً بالعَطَاء فَأجْزلي وَخَيْرُ العَطَايا، لَيْلَ، كلُّ جزيلِ
١٨ وإلاَّ فَإجْمَالٌ إليَّ فإنّني أُحِبُّ من الأخلاقِ كُلّ جَميلِ
١٩ فإنْ تَبذُلي لِي منكِ يَوماً مَوَدَّةً فَقِدْماً صَنَعتِ القَرْضَ عِنْدَ بَذُولِ
٢٠ وإنْ تَبْخَلي يَا لَيْلَ عَنّي فإنّني تُوَكّلُني نَفْسي بكلّ بخيلِ
٢١ وَلَسْتُ بِراضٍ من خليلي بنائلٍ قليلٍ ولا رَاضٍ لَهُ بقليلِ
٢٢ وَلَيْسَ خَلِيلي بالمَلُولِ ولا الّذي إذا غِبْتُ عنهُ باعني بخليلِ
٢٣ ولكنْ خَلِيلي مَنْ يَدُومُ وِصَالُهُ وَيَحْفَظُ سِرّي عِنْدَ كُلّ دخيلِ
٢٤ ولم أرَ مِن ليلى نَوَالاً أعُدُّه ألا رُبّما طَالَبْتُ غيرَ مُنيلِ
٢٥ يلومُكَ فِي ليلى وَعَقْلُكَ عِنْدَهَا رِجَالٌ ولم تَذْهَبْ لَهُمْ بعقولِ

= أرحامهنّ على أولادهنّ، ومنه: أرتج على القارىء، إذا وقف فلم يدر ما يتلو كأنّه أغلق عليه. الحول: جمع حائل، التي لا تلقح من الإبل.

(١٣) الأليّة: اليمين والقسم. القيل: القول.

(١٤) الرّسيل: الرّسول والرّسالة.

(١٥) فروها: افتروها واختلقوها. الحويل: المحاولة، أو الشّاهد والبيّنة.

(١٦) الحبول: جمع حبل، أي الدّاهية، ويروى بالحاء والخاء.

(١٧) طاب نفساً: ارتاح وانشرح.

(١٨) الإجمال: الاعتدال.

(٢١) النائل: العطاء.

(٢٢) الملول: الذي يسأم.

(٢٣) الدخيل: العالم بأمورك الداخليّة.

(٢٤) غير منيل: لا يعطي.

(٢٥) لم تذهب لهم بعقول: لم يقعوا في حبّها فتذهب عقولهم.

٢٦ يَقُولونَ وَدِّعْ عَنْكَ ليلى ولا تَهِمْ بِقَاطِعَةِ الأقْرَانِ ذاتِ حليلِ
٢٧ فَمَا نَقَعَتْ نَفْسِي بما أمرُوا بِهِ ولا عجِجْتُ مِنْ أقْوَالِهِمْ بفَتيلِ
٢٨ تَذَكَّرْتُ أتْراباً لِعَزَّةَ كالمَهَا حُبينَ بِليطٍ ناعمٍ وَقَبُول
٢٩ وَكُنْتُ إذا لاقيتهُنَّ كَأنَّني مُخَالِطَةٌ عقلي سُلافُ شَمُول
٣٠ تَأطَّرْنَ حتَّى قُلْتُ لَسْنَ بَوَارِحاً رَجَاءَ الأماني أنْ يقِلْنَ مقيلي
٣١ فأبدَيْنَ لي مِنْ بينهنَّ تجهّماً وأخلفْنَ ظنّي إذْ ظَنَنتُ وقيلي
٣٢ فلأياً بِلأيٍ ما قَضَيْنَ لُبَانَةً مِن الدّار واستَقْلَلنَ بَعد طويلِ
٣٣ فَلَمَّا رأى واسْتَيْقَنَ البَيْنَ صَاحِبي دَعَا دَعْوةً يا حَبْتَرَ بْنَ سَلُول
٣٤ فَقُلْتُ وَأسرَرْتُ النَّدَامَةَ لَيْتَني وَكُنْتُ امرءاً أغتشُ كلَّ عَذُول
٣٥ سَلَكْتُ سَبيلَ الرَّائِحَاتِ عَشِيَّةً مَخَارِمَ نِصْعٍ أو سَلَكْنَ سَبيلي
٣٦ فَأسْعَدْتُ نَفْساً بالهوى قَبْلَ أنْ أرى عَوَادِيَ نأيٍ بيننا وشُغُول
٣٧ نَدِمْتُ عَلَى مَا فاتني يَوْمَ بنتُمُ فيا حَسْرَتَا ألاَّ يَرَيْنَ عويلي

---

(٢٦) لاتهم: من الهيام أي شدّة الوجد. الأقران: علاقات المودّة. الحليل: الزّوج.

(٢٧) نقعت: ابتلّت وارتوت، يقال: شرب حتى نقع. عجت: انتفعت. الفتيل: الشّيء.

(٢٨) الأتراب: الأقران. المها: الغزلان. حبين: أُعْطِينَ. ليط: لون.

(٢٩) السّلاف: أفضل الخمر. الشّمول: الخمرة الباردة.

(٣٠) تأطّرن: تلبثّن، وأصل التأطر التعطّف والتثنّي. يقِلن مقيلي: أي أن يخترنَ مكان استراحتهنّ حيث اتّخذت مكاناً لقيلولتي.

(٣١) التّجهّم: التنكّر والعبوس. أخلفن: كذّبن. قيلي: قولي.

(٣٢) اللأي: البطء والصّعوبة والشّدّة. اللّبانة: الحاجة. استقللن: تحملّن مرتحلات.

(٣٣) حبتر: اسم رجل، وأصل الحبتر، القصير.

(٣٤) أسرَّ: كتم وأخفى. اغتشه: اتّهمه بالغشّ. العذول: العاذل اللاّئم.

(٣٥) المخارم: جمع مخرم، أي منقطع أنف الجبل. النّصع: جبل (أو جبال) بين الصّفراء وينبع.

(٣٦) العوادي: الأشغال التي تصرف المرء عن أموره.

(٣٧) ويروي «يوم بينة» مكان «يوم بنتم» و«بينة» موضع من الجيّ أي وادي الرّويثة بين العرج والرّوحاء. العويل: الصّياح.

٣٨ كَأَنَّ دُمُوعَ العَينِ واهيةُ الكُلى   وعتْ ماء غَربٍ يوم ذاك سجيلِ
٣٩ تَكَنَّفَها خُرقٌ تَواكَلْنَ خَرْزَها   فَأَرْخَيْنَهُ والسَّيرُ غَيْرُ بجيلِ
٤٠ أَقيمي فإنَّ الغَوْرَ يا عَزَّ بَعْدَكُمْ   إلىَّ إذا ما بِنْتِ غَيْرُ جميلِ
٤١ كَفَى حَزَناً للعينِ أن رَاءَ طَرْفُها   لِعَزَّةَ عيراً آذنتْ برحيلِ
٤٢ وَقَالوا نَأَتْ فاخْتَرْ من الصبَّرِ والبُكَا   فَقُلْتُ البُكا أَشْفى إذاً لِغَليلي
٤٣ فَوَلَّيْتُ محزوناً وَقُلْتُ لِصَاحبي   أَقَاتلتي لَيْلَى بغيرِ قتيلِ
٤٤ لِعَزَّةَ إذْ يَحْتَلُّ بالخَيف أهْلُها   فأوحشَ منها الخَيْفُ بَعْدَ حُلُولِ
٤٥ وبَدَّل منها بَعْدَ طُولِ إقامةٍ   تَبَعُّثُ نَكْبَاءِ العَشيِّ جفولِ
٤٦ لَقَدْ أَكْثَرَ الوَاشُونَ فينا وفيكُمُ   وَمَالَ بِنا الواشون كلَّ مَميلِ
٤٧ وما زِلْتُ مِنْ ليلى لَدُنْ طَرَّ شاربي   إلى اليومِ كالمُقْصَى بكُلِّ سَبيلِ

---

(٣٨) الكلي: جمع كلية، أي الرقعة تكون في أصل الوعاء من الجلد الذي يوضع فيه الماء. شبّه دموعه بالماء الذي يجري من وعاء غير محكم الإقفال. وعت: حفظت ومنها الوعاء. الغرب: الدّلو العظيمة. السّجيل: الدّلو الضّخمة.

(٣٩) الخرق: جمع خرقاء، أي المرأة التي لا تحسن العمل الجيّد. الخَرز: الثّقب. السّير: الجلد. بجيل: غليظ. يقول إنّ هؤلاء النسوة لم يحسنّ العمل في صنع وعاء الماء فظلّ الماء يرشح منه.

(٤٠) الغور: غورتهامة حيث تقطن عزّة.

(٤١) راء: رأى. العير: القافلة.

(٤٢) نأت: بعدت. الغليل: حرارة الحبّ.

(٤٣) ويروى «تولّيت» مكان «فولّيت».

(٤٤) الخَلْف: ما انحدر من الجبل وارتفع عن مسيل الماء.

(٤٥) تبعُّث: اندفاع. النكباء: الريّح تهب بين ريحين وكأنّما تتنكّب كلّ منهما. الجفول: التي تنثر التّراب.

(٤٦) المميل: المصدر من فعل مال.

(٤٧) طرّ: نبت ونما. لدن: ظرف زمان وحقّها لزوم الإضافة ولا يكون ما بعدها إلا مجروراً. المُقصى: المنفيّ المبعد.

وقال يمدح عبد العزيز بن مروان: [من الطويل]

١ أَلمّـا عَلَـى سَلْمَـى نُسَلِّـمْ وَنَسْـأَلِ سُؤَالَ حَفِـيٍّ بـالحبيـبِ مـوكَّـلِ
٢ سِبَتْهُ بِعَذبِ الرّيقِ صَافٍ غُـرُوبُـهُ رَقِيـقِ الثّنـايـا بـارِدٍ لـم يُفَلَّـلِ
٣ وَأَسْـوَدَ ميّـالٍ علـى جِيـدِ ظَبْيَـةٍ مِن الأُدْمِ حَوْراءِ المَدَامِعِ مُغْـزِلِ
٤ وَأَتْلَـعَ بَـرّاقٍ كـأنَّ اهْتِـزازَهُ إذا انتَصَفَتْ للـرّوْعِ هِـزَّةُ مُنصُـلِ
٥ وَمَا قَرْقَـفٌ مِـن أَذْرُعَـاتٍ كَـأَنَّهـا إذا سُكِبَتْ مِن دَنِّهـا مـاءُ مفصِـلِ
٦ يُصَبُّ على نَاجُـودِهَـا مَـاءُ بـارِقٍ وَعَاهُ صفاً في رَأْسِ عَنقـاء عَيْطَـلِ
٧ بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهـا لمَـن ذَاقَ طَعْمَـهُ وَقَدْ لاحَ ضَوْءُ النَّجْمِ أو كادَ ينجلي
٨ أخاضَتْ إليَّ اللَّيْـلَ خَـوْدٌ غَـريـرَةٌ جَبَانُ السُّرَى لم تَنتَطِقْ عن تفضُّـلِ
٩ إليكَ ابـنَ مَـرْوانَ الأغَـرَّ تَكَلَّفَـتْ مَسَـافَـةَ مَـا بيـنَ البُضَيْـعِ فيَلْيَـلِ
١٠ جَـرَى نَاشِياً لِلمَجْدِ في كُـلِّ حَلْبَـةٍ فَجَـاءَ مَجِـيءَ السَّـابِـقِ المُتهَلِّـلِ

(١) الحفيّ: الملحّ في السؤال عن حال الآخرين. موكّل به: أي قصر همّه عليه.
(٢) سبته: أسرته. الغروب: التحزيز في الأسنان وهي صفة مستحبّة. يفلّل: يثلّم.
(٣) الأسود: الشّعر الأسود. الأدم: الظّباء البيض. حوراء: شديدة البياض والسّواد. مغزل: غزالة ذات ولد.
(٤) الأتلع: العنق الطّويل. المنصل: السّيف وقد بان نصله.
(٥) القرقف: الخمرة. أذرعات: مكان في الشّام يضرب فيه المثل بجودة خمره. المفصل: الشقّ يفصل بين صخرتين في الجبل ويكون ماؤه في غاية الصّفاء.
(٦) النّاجود: زقّ الخمر. الصّفا: الصّخرة الملساء. عنقاء: هضبة مرتفعة. عيطل: طويلة شامخة. البارق: السّحاب ذو البرق.
(٨) أخاضت: جعلتني أخوض وأقتحم. الخود: المرأة الشّابّة. غريرة: حديثة السّنّ والتجربة. جبان السّرى: توصف به الأنثى التي تلازم بيتها لترفها. لم تنتطق: لم تشدّ عليها الإزار لعمل البيت. عن تفضّل: كناية عن أنّ سواها يقوم بأعباء الخدمة.
(٩) الضمير في تكلّفت يعود إلى النّاقة، وربما يكون قد وصفها في أبيات سقطت في القصيدة. البضيع: من أرض مصر. يليل: من ديار خزاعة في الحجاز.
(١٠) ناشيا: ربّما كانت ناشئاً مخفّفة. المتهلّل: المشرق الوجه.

١١ متى يعْتهِدْهُ الرّاغبونَ فيكثروا　　على بابهِ يَكْثُرْ قِراهُ فيَعْجَلِ
١٢ ويُعطِي عَطَاءً تَنْتَهِي دُونَهُ المُنى　　عَطَاءَ وَهوبٍ للرَّغائبِ مُجْزِلِ
١٣ أشَدُّ حَيَاءً مِنْ فتاةٍ حَيِيّةٍ　　وأمضى مَضاءً مِن سِنانٍ مؤلَّلِ
١٤ وأخْوَفُ في الأعداء مِن ذي مهابَةٍ　　بخَفّانَ وَرْدٍ وَاسِعِ العَينِ مُطفِلِ
١٥ له جَزَرٌ في كُلِّ يومٍ يجُرُّهُ　　إلى لَبُوَاتٍ في العَرِينِ وَأَشْبُلِ
١٦ إذا وَفَدَتْ رُكْبانُ كَعْبٍ وَعَامرٍ　　عَلَيكَ وأَرْدُوا كُلَّ هوْجاءَ عَيهلِ
١٧ لَقُوكَ بقَوْلٍ مِنْ ثَنَائيَ صادِقٍ　　تخيَّرْتُهُ حُرَّ القَصيدِ المُنَخَّلِ
١٨ ثَنَاءً يُوَافِي بالمواسِمِ أهْلَها　　ويُنْشِدُهُ الرُّكْبَانُ في كُلِّ محْفلِ (★)

— 100 —

وقال يمدح ابن الحنفيّة: [من الوافر]

١ أقَرَّ اللهُ عَيْني إذْ دَعَاني　　أَمينُ اللهِ يَلْطُفُ في السّؤالِ
٢ وَأَثْنَى في هَوَايَ عليَّ خيْراً　　وَيَسْأَلُ عَن بنيَّ وَكَيْفَ حالي
٣ وَكَيْفَ ذكرْتُ حَالَ أبي خُبيبٍ　　وَزلّةَ فِعْلهِ عِنْدَ السُّؤالِ

(١١) اعتهد: استمطر الجود، أو جدّد العهد، والعهاد أوّل مطر السّنة. القرى: الكرم.
(١٢) مجزل: وفير، كثير.
(١٣) السّنان: الرّمح. المؤلّل: ذو الحربة العظيمة النّصل (اللسان: مادة، ألل).
(١٤) خفّان: مأسدة معروفة. الورد: الأسد الأحمر اللّون: المطفل: ذو الأطفال.
(١٥) الجزر: الفريسة.
(١٦) أردوا: ساروا سير الرّديان وهو نوع من سير الإبل. الهوجاء: النّاقة ذات الحدّة والنّشاط. العيهل: النّاقة السريعة النّجيبة الشّديدة.
(★) وأورد له ابن جنّي (٢: ٢٣٥ ب) قوله، ولعله من هذه القصيدة:
كأن ثلوجاً وردها خيبريّة　　لذكرتها تعلو عظامي بأفكل

(١) أمين الله: يعني محمّد بن الحنفيّة.
(٣) أبو خبيب: عبدالله بن الزبير.

٤ هُـوَ المَهْـديُّ خَبَّـرْنـاهُ كَعْـبٌ   أَخُو الأَحْبارِ في الحِقَـبِ الخـوالي

— 101 —

وقال: [من الوافر]

١ عَـرَفْـتُ الدّارَ كـالخِلَـلِ البَـوَالي   بِفَيْـفِ الخَـائِعَيْـنِ إلـى بَعَـالِ
٢ دِيـارٌ مِـنْ عُـزَيْـزَةَ قَـدْ عَفـاهـا   تَقـادُمُ سَـالِـفِ الحِقَـبِ الخـوالي
٣ كـأنَّ حُمُـولَهُـمْ لَمَّـا تَـوَلَّـتْ   بيَلْيَـلَ والنَّـوَى ذَاتُ انْفتـالِ
٤ وَعَـدَّتْ نحـوَ أيْمَنِهَـا وَصَـدَّتْ   عَنِ الكُثْبَـانِ مِـنْ صُعْـدِ وخـالِ
٥ (شَوَارِعُ فِي ثرى الخَـرْمـاء ليسـتْ   بجـاذِيـةِ الجُـذُوعِ وَلاَ رِقـالِ)
٦ فَسَجّفْـنَ الخُـدُورَ بكـلّ وجـهٍ   نَقـيٍّ لـونُـهُ كَسَنَـا الهلالِ
٧ بِكُـلِّ تِلاَعَـةٍ كَـالبَـدْرِ لمّـا   تَنَـوَّرَ واستَقَـلَّ علـى الجبـالِ
٨ كَـأَنَّ الرِّيـحَ تَثْنـي حِيـنَ هَبَّـتْ   ـ ولو ضَعُفَتْ ـ بهنَّ فـروعَ ضَـالِ

---

(٤) خبّرناه: أخبرنا إيّاه. كعب: يريد كعب الأحبار.

---

(١) الخلل: جمع خلّة، غمد السّيف المغطّى بالجلد. الفيف: المكان المستوي، وقيل الصّحراء التي لا ماء فيها. الخائعان: شعبتان تدفع واحدة في يليل والأخرى في غيقة، وهو وادي الصّفراء. بعال: جبل بين الأبواء وجبل جهنية.
(٢) عزيزة: تصغير عزّة. الحقب: السنوات. الخوالي: الماضية.
(٣) يليل والنّوى: موضعان. انفتال: انصراف.
(٤) صعْد: اسم موضع. خال: أكمة صغيرة، وقيل جبل ببلاد غطفان.
(٥) شوارع: جمع شارعة، أي النخلة القريبة من الماء. الخرماء: عين بالصّفراء. جاذية: محاذية للأرض. الرّقال: جمع رقلة، أي النخلة الطويلة تفوت اليد.
(٦) سَجّفنَ: سترنَ. سنا: نور.
(٧) التّلاعة: المرأة الطويلة القامة والعنق. استقلّ: ارتفع.
(٨) ضال: ربّما كانت نوعاً من الشّجر ولم أقع على تفسير لها.

٩ كَسَوْنَ الرَّيطَ ذا الهُدْبِ اليَمَاني خُصوراً فَوْقَ أعجازٍ ثِقالِ
١٠ وَيَجْعَلْنَ الخَلاَخِلَ حينَ تُلْوى بأَسُوُقِهِنَّ في قَصَبٍ خِدالِ
١١ وكنتُ قُبيلَ أن يُخْلِفْنَ ظَنّي أُكَذِّبُ بالتفرُّق والزِّيالِ
١٢ فَلَمَّا أَنْ رَأَيتُ العِيسَ صبّتْ بذي المأْثُول مُجْمِعَةَ التَّوالي
١٣ وَقَحَّمَ سَيْرُنا من قُور حِسْمى مَرُوتَ الرَّعْي ضَاحِيَةَ الظلالِ
١٤ وَأَرْغَمَ ما عَزَمْنَ البَيْنُ حَتَّى دَفَعْنَ بذِي المَزَارِعِ والنِّجالِ
١٥ فَقُلْتُ وَقَدْ جَعَلْنَ بِراقَ بَدْرٍ يَميناً والعُنابةَ عَنْ شِمَالِ
١٦ وأَشْمَتَّ العِدَى حتَّى كَأَنّي وإيّاها لَهُمْ غَرَضُ النِّبالِ
١٧ وأبعد ما بدا لَكَ غَيْرَ مُشْكٍ خليلاً لَسْتَ أنتَ له بقالي
١٨ أَقُولُ لها عُزَيْزَ مَطَلْتِ دَيْني وَشَرُّ الغَانياتِ ذَوُو المِطَالِ
١٩ فَقَالَتْ ويبَ غيرِكَ كيف أَقْضِي غريماً ما ذَهَبْتُ له بمالِ

---

(٩) الرّيط اليماني: الملاءة من صنع اليمن.

(١٠) الأسوَق: جمع ساق. الخدال: العظيمة الممتلئة.

(١١) الزّيال: الفراق.

(١٢) ذو المأثول: من نواحي المدينة. العيس: النوق البيضاء.

(١٣) قحّم: طوى أي لم ينزل الرّاكب في المنازل. القور: الجبال الصغيرة. حسمى: جبال بين أيلة وجانب تيه بني إسرائيل الذي يلي أيلة وبين أرض عذرة. المروت: الصحراء القفر.

(١٤) النّجال: موضع بين الشّام وسماوة كلب.

(١٥) براق: جمع برقة، أي الأرض الغليظة التي اجتمعت فيها الحجارة. العنابة: قارة سوداء أسفل من الروثية بين مكة والمدينة وهي إلى المدينة أقرب، وقيل: العنابة موضع على مرحلة من فيْد إلى المدينة. والمفعول به لفعل «قلت» لم يرد، وربّما تكون قد سقطت أبيات من القصيدة.

(١٧) القالي: المبغض.

(١٨) عُزيز: تصغير عزة مرخّم. مطل: سوّف وأجّل.

(١٩) ويب غيرك: ويحاً لك. الغريم: الدّائن، الخصم.

٢٠ فَـأُقْسِـمُ لَـوْ أتَيـتُ البحـرَ يـومـاً لاِشْـربَ مـا سَقَتْنـي مِـنْ بُلالِ
٢١ وأُقْسِـمُ أنَّ حُبّـكِ أُمَّ عمـرٍو لَـدَى جَنْبِي ومُنْقَطَـعِ السّعـالِ

— 102 —

وقال يمدح عبد العزيز بن مروان: [من الكامل]

١ إرْبَـعْ فحَـيِّ مَعـارِفَ الأطْلالِ بالجزْعِ مِـن حُـرُضٍ فَهُـنَّ بَـوالِ
٢ فَشِراجَ رِيمَـةَ قَـدْ تَقَـادَمَ عَهْـدُهَـا بـالسَّفْـحِ بيـنَ أُثَيِّـلٍ فبَعـالِ
٣ وَحْشـاً تعـاوَرَهـا الرِّيَـاحُ كَـأنَّهـا تَـوْشيـحُ عَصْـبِ مُسَهَّـمِ الأغيـالِ
٤ لمّا وَقَفْتُ بِهَـا القَلـوصَ تبـادَرتْ حَبـبُ الدُّمُـوعِ كَـأنَّهـنَّ عَـزالي
٥ وَذَكَرْتُ عَزَّةَ إذْ تُصَـاقِـبُ دَارُهَـا بِـرُحَيِّـبٍ فَـأُرابِـنٍ فَنُخَـالِ

---

(٢٠) ذكر ابن قتيبة أنّ عزّة اتّهمت كثيّراً بأنّه قال:

بـآيـة مـا اتيتُـكِ أمّ عمـرو فقمتِ بحـاجتـي والبيـت خـالـي

فقال: لم أقله ولكنّي قلت: فأقسم لو أتيت... (البيت). البلال: الماء أو كلّ ما يبلّ به الحلق.

(٢١) ويروى عجز البيت: لداء غير منقطع السؤال

---

(١) الرّبع: الإقامة. حرض: وادٍ من وادي قناة من المدينة على ميلين. بوالٍ: باليات، دارسات.

(٢) الشّراج: جمع شرْج، مسيل الماء من الحرّة الى السّهل. ريمة: وادٍ لبني شيبة قرب المدينة بأعلاه نخل لهم. أثيّل: منها مشترك وأكثرة لبني ضمرة، وذو أثيل وادٍ كثير النّخل بين بدر والصفراء لبني جعفر بن أبي طالب. بعال: جبل.

(٣) وحشاً: قفراء. تعاورها: تتداولها الرّياح جنوباً وشمالاً. العصب: نوع من البرود اليمنيّة. المسهّم: المخطّط. الأغيال: الواسع من الثياب.

(٤) القلوص: النّاقة الفتيّة. تبادرت: تساقطت مسرعة. حبب الدّموع: الدّموع التي تشبه الحبب. العزالي: جمع عزلاء وهي مصب الماء من القربة.

(٥) تصاقب: تواجه وتجاور. رحيّب: على التصغير، موضع من نواحي المدينة. أُرابن: اسم منزل على نقا مَبْرَك ينحدر من جبل جهينة على مضيق الصفراء قرب المدينة. نُخال: وادٍ يصبّ في الصفراء بين مكّة والمدينة.

٦ أيَّامَ أهْلُونَا جَمِيعاً جيرَةٌ بِكُتَانَةٍ فَفُراقِدٍ فَثُعالِ
٧ سَقْياً لِعَزَّةَ خُلّةً سَقْياً لها إذْ نَحْنُ بالهَضَبَاتِ مِن أمْلالِ
٨ إذْ لا تُكَلِّمُنَا وَكَانَ كَلامُهَا نَفْلاً نُؤمِّلُهُ مِنَ الأنفالِ
٩ وَبِجِيدِ مُغزِلَةٍ تَرودُ بِوَجْرَةٍ بَجَلاَتِ طَلْحٍ قد خُرِفن وَضالِ
١٠ إذْ هنَّ في غَلَسِ الظّلامِ قَوَارِبٌ أعدَادَ عَيْنٍ مِن عُيون أثالِ
١١ يَجْتَزْنَ أوْدِيَةَ البُضَيعِ جوازِعاً أجْوَازَ عَيْنُونَا فنَعْفَ قِبالِ
١٢ ترْمِي الفِجَاجَ إذا الفِجَاجُ تَشَابَهَتْ أعْلامُهَا بِمَهَامِهِ أغْفالِ
١٣ بِرَكَائِبٍ مِنْ بَيْنِ كُلِّ ثَنِيَّةٍ سُرُحِ اليَدَيْنِ وبازِلٍ شِمْلالِ
١٤ نَاجٍ إذا زُجِرَ الرّكَائِبُ خَلْفَهُ فلَحِقْنَهُ وثُنِينَ بالحَلْحالِ

---

(٦) كتانتان: هضبتان مشرفتان على الجار من جانب الرّمل. فراقد: من شقّ غيقة تدفع إلى وادي الصفراء. ثعال: شعبة بين الرّوحاء والرويثة.

(٧) سقياً: دعاء لها بالخير. الأملال: جمع ملل، منزل على طريق المدينة الى مكّة على ثمانية وعشرين ميلاً إلى المدينة.

(٨) النّفل: الزّيادة.

(٩) (هناك أبيات سقطت). المغزلة: أمّ الغزال، ويكون عنقها أشدّ امتداداً لحذرها على ولدها. وجرة: اسم موضع في الصحراء تكثر فيه الوحوش. البجلات: جمع بجلة، أي الشجرة الصغيرة. خُرِفْن: أصابهنّ مطر الخريف. الضّال: نوع من الشّجر.

(١٠) غلس الظّلام: ظلمة آخر اللّيل. قوارب: واردات القرب. أعداد: جمع عدّ، الماء الجاري الذي له مادّة لا تنقطع. أثال: موضع على طريق الحاج بين الغمير وبستان ابن عامر.

(١١) البضيع: موضع بمصر، وقيل: موضع قريب من غوطة دمشق. جوازعاً: خائفات. عينونا: قرية من وراء البَثَنيّة من دون القلزم في طرف الشّام. النّعف: ما انحدر من الجبل وارتفع عن منحدر الوادي. قبال: جبل عال بقرب دومة الجندل.

(١٢) المهامه: الصّحاري. الأغفال: الصّحاري ليس فيها أعلام يهتدي بها المسافرون.

(١٣) سرح اليدين: سريعة. البازل: الجمل المسنّ. الشملال: الخفيف السّريع.

(١٤) النّاجي: السّريع. ثنين: زُجِرنَ للمرّة الثّانية. الحلحال: زجر الإبل بقولك لها «حَلْ» أو «حَلٍ» واشتُقّ الاسم منها، فقيل «الحلحال».

١٥ يَهْدِي مَطَايا كالحَنيِّ ضَوامِراً   بنياطِ أغْبَرَ شاخِصِ الأميالِ
١٦ تَمْطُو الجَدِيلَ إذا المكَاكِي بَادرَتْ   جُحْلَ الضِّباب محافِرَ الأدحالِ
١٧ وتَعانَقَتْ أُدْمُ الظِّبَاءِ وَبَاشَرَتْ   أكْنَافَ كُلِّ ظليلَةٍ مِقْيالِ
١٨ فكَأنّهُ إذْ يغْتَدي مُتَسَنِّماً   وَهْداً فوَهْداً ناعِقٌ برِئالِ
١٩ كَالمِضْرَحيّ عَدَا فَأصْبَحَ وَاقعاً   من قُدْسَ فَوْقَ مَعَاقِلِ الأوعالِ

★ ★ ★

٢٠ فَنَبَذْتُ ثَمَّ تَحِيَّةً فَأعَادَها   غَمْرُ الرِّدَاءِ مُفضْفَضُ السِّرْبالِ
٢١ يُعطي العَشِيرَةَ سُؤْلَهَا وَيَسُودُها   يَوْمَ الفَخارِ وَيَومَ كلِّ نَبالِ
٢٢ وَبَثَثْتَ مَكْرُمةً فقَدْ أعْدَدْتَها   رَصَداً ليومِ تَفَاخُرٍ ونضالِ
٢٣ غمرُ الرِّداءِ إذَا تبسَّمَ ضاحِكاً   غَلِقَتْ لضَحْكَتِهِ رِقابُ المالِ

---

(١٥) الحنيّ: القوس المنحنية. النياط: المسافة البعيدة عبر الصّحراء، فكأن مفازة نيطت بأخرى أي عُلّقتْ بها. الأغبر: صفة للطريق. الأميال: الأعلام في الطرق يُهتدى بها.

(١٦) تمطو: تمدّ. الجديل: الزّمام المجدول. المكاكي: جمع مكاء، أي طائر صداح. بادرت: سابقت. الجُحْل: جمع جَحل، أي العظيم من الضّباب. الأدحال: الأوكار.

(١٧) الظّليلة: الشّجرة ذات الظلّ. مقيال: تطيب القيلولة تحتها.

(١٨) الهاء في «كأنّه» تعود الى الجمل النّاجي في البيت رقم ١٤. متسنّماً: معتلياً. الرئال: صغار النّعام تسكن السّهول ولا ترقى إلى الجبال العالية.

(١٩) المضرحيّ: الصّقر. قدْس: اسم جبلين بالحجاز، أحدهما قدس الأبيض والآخر قدس الأسود.

(٢٠) غمر الرّداء: كناية عن سعة المعروف والكرم. مفضفض السّربال: واسع الثوب والدّرع.

(٢١) السؤال: الحاجة. النّبال: أي الحرب حيث تستخدم النّبال.

(٢٢) رصداً: انتظاراً.

(٢٣) غلقت: حصلت للموهوب له ويئس من ردّها واسترجاعها من قولك غلق الرّهن إذا حصل للمرتهن ولم يسترجعه الرّاهن. رقاب المال: أي رقاب الإبل والماشية والأنعام، لأنّ الأنعام إذا أخذت رقابها فكأنّما أصبحت ملكاً لمن يأخذها. لقد جعل معروفه وجوده بمنزلة الرّداء الذي يصون عرضه بالجود كما يصون جسده بالثوب.

— 103 —

وقال: [من السريع]

١ يَا عَيـن بَكـي لِلَّـذي عَـالَنـي مِنْـكِ بِـدَمْـعٍ مُسْبِـلٍ هـامِـلِ
٢ يـا جَعْـدَ بَكِّيـهِ ولا تَسْـأَمـي بُكـاءَ حَـقٍّ لَيْسَ بـالبـاطـلِ
٣ إنْ تَسْتُـرِي المَيْـتَ علـى مِثْلِـهِ في النّاس مِنْ حَافٍ وَمِنْ نـاعـلِ

— 104 —

وقال(★): [من الخفيف]

١ مَـا عَنَـاكَ الغَـدَاةَ مِـنْ أَطْلالِ دَارِسَاتِ المقَـامِ مُـذْ أَحْـوالِ
٢ بـاديَ الرَّبـعِ والمعـارفِ منهـا غَيْـرَ رسْـمٍ كعُصْبـةِ الأغيـالِ
٣ مَا تَرى العَيْـنُ حَـوْلَهَـا مِـن أنيسٍ قُـربَها غَيْـرَ رَابِـدَاتِ الرّئـالِ

★ ★ ★

٤ يَـا خَلِيلـي الغَـدَاةَ إنَّ دُمُـوعـي سبَقَـتْ لَمْـحَ طَـرْفِهـا بـانْهِمـالِ

---

(١) عالني: نابني ونزل بي. هامل: منحدر.
(٢) جعد: ترخيم جعدة، اسم امرأة.
(٣) النّاعل: الذي ينتعل الحذاء.

(★) تغزّل عمر بن أبي ربيعة برملة بنت عبدالله بن خلف أخت طلحة الطّلحات حين حجّت، فبلغت أبياته كثيّراً، فغضب وذكر نسوة من قريش فساقهنّ في شعره من الحجّ حتّى بلغ بهنّ إلى ملل ثم أشفق فجاز ولم يزد على ذلك، وهو قوله في قصيدته التي أوّلها: «ما عناك الغداة من أطلال» (الأغاني ١ :٢٠٥ ـ ٢٠٦)

(١) عناك: من العناء أي التّعب. أحوال: أعوام.
(٢) العصبة: هنة تلتف على القتادة ولا تنزع عنها إلا بعد جهد، والهنة خصلة من النّبات والقتادة شجرة ذات شوك كالإبر. الأغيال: الغابات.
(٣) الرّابدات: التي في سوادها نقط بيض وحمر. الرّئال: أولاد النّعامة.
(٤) انهمال: انحدار.

٥ قُمْ تَأَمَّلْ وأنتَ أبصَرُ منّي   هلْ ترى بالغَميمِ مِنْ أجمالِ
٦ قاضِياتٍ لُبانَةً مِنْ مُناخٍ   وَطَوافٍ وَمَوْقِفٍ بالجبالِ
٧ حُزِيَتْ لي بحَزْمِ فَيْدَةَ تُحْدَى   كاليَهُوديِّ مِن نَطاةِ الرِّقالِ
٨ قِلْنَ عُسْفَانَ ثمَّ رُحْنَ سِراعاً   طالِعاتٍ عَشِيَّةً مِنْ غَزَالِ
٩ قارِضاتِ الكَديدِ مُجتَزِعَاتٍ   كُلَّ وادي الجُحُوفِ بالأثْقالِ
١٠ قَصْدَ لَفْتٍ وهُنَّ مُتَّسِقَاتٌ   كالعَدَوْليِّ لاحِقاتِ التَّوالي
١١ حينَ وَرَّكْنَ دَوَّةً بيَمينٍ   وسُرَيْرَ البُضَيعِ ذاتَ الشَّمالِ
١٢ جُزْنَ وادي المِياهِ مُحْتَضِراتٍ   مَدْرَجَ العَرْجِ سَالِكاتِ الخلالِ
١٣ والعُبَيْلاءُ مِنْهُمُ بيَسارٍ   وَتَرَكْنَ العَقيقَ ذاتَ النِّصالِ

---

(٥) الغميم: موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة.

(٦) اللّبانة: الحاجة. من مناخ وطواف وموقف: أراد الطّواف بالكعبة والإقامة بعرفات.

(٧) حزيت: رفعت، وحزاها الآل أي رفعها السّراب. حزم فيدة: اسم موضع. نطاة: عين بخيبر وقيل خيبر نفسها. الرقال: جمع رقلة أي النّخلة التي فاتت اليد.

(٨) قلن: جعلن قيلولتهنّ. عسفان: قرية جامعة كانت لبني المصطلق من خزاعة كثيرة الآبار والحياض تقع بين الجحفة ومكّة، ولا تزال معروفة حتّى اليوم. غزال: ثنية بين الجحفة وعسفان.

(٩) قارضات: مائلات. الكديد: موضع بين مكّة والمدينة، بين منزلتي أمج وعسفان، بينه وبين عسفان سبعة أميال، وهو ماء عين جارية عليها نخل كثير. اجتزع: قطع. وادي الجحوف: لعلّه يعني ما يشمل الجحفة وما يليها، ووردت «الحجون» في الأغاني.

(١٠) لفت: ثنية بين مكّة والمدينة. متّسقات: منتظمات. العدولي: السّفن المنسوبة إلى عدولى بالبحرين.

(١١) ورّكن: عدلن أي جعلن حيال وركها. دوّة: موضع تلقاء البضيع من وراء الجحفة بستة أميال. السُّرير: (مصغّراً) وادٍ بالحجاز قرب المدينة. البضيع: ظريب عن يسار الجار أسفل من عين الغفاريين واسم العين النجح.

(١٢) محتضرات: حاضرات على الماء. المدرج: الطّريق. العرج: عقبة بين مكّة والمدينة على جادّة الحاج. الخلال: الطّرق النّافذة بين الرّمال.

(١٣) العبيلاء: تصغير العبلاء من أعمال المدينة. ذات النّصال: موضع. العقيق: كلّ وادٍ شقّه السّيل قديماً فوسّعه.

١٤ طَـالِعَـاتِ الغَمِيسِ مِـن عَبّـودٍ سـالكـاتِ الخـويِّ مِـنْ أمْلالِ
١٥ وَطَـوَتْ جَـانِبَـيْ كُتَـانَـةَ طَيّـاً فجَنـوبَ الحِمَـى فَـذَاتَ النّضـالِ
١٦ فَسَقَـى اللهُ مُنتَـوَى أُمّ عَمْـرٍو حَيْـثُ أمّـتْ بـهِ صُـدُورُ الرّحـالِ
١٧ تَسْمَـعُ الرَّعـدَ فـي المَخيلَـةِ منهـا مِثْلَ هَـزْمِ القُـرومِ فـي الأشْـوالِ
١٨ وَتَـرَى البَـرْقَ عـارضـاً مُسْتطيـراً مَـرَحَ البُلْـقِ جُلْـنَ فـي الأجْلالِ
١٩ أو مَصَـابيـحَ رَاهِـبٍ فـي يَفـاعٍ سَغَّـمَ الزَّيـتَ سَاطِعـاتِ الذُّبـالِ
٢٠ حَبّـذا هُـنَّ مـن لُبـانَـةِ قَلْبِـي وَجَـدِيـدُ الشَّبـابِ مـنْ سِـرْبـالـي
٢١ رُبَّ يَـوْمٍ أتيتُهُـنَّ جميعـاً عِنْـدَ بَيْضَـاءَ رَخْصَـةٍ مِكْسـالِ
٢٢ غيـرَ أنّـي امـرؤٌ تَعَمَّمْـتُ حِلْمـاً يَكْـرَهُ الجَهْـلَ والصِّبـا أمثـالـي
٢٣ ويُلامُ الحَلِيـمُ إنْ هُـوَ يـومـاً راجعَ الجَهْـلَ بعـد شَيْـبِ القَـذالِ

---

(١٤) الغميس: موضع مرّ النبي (ﷺ) عليه يوم بدر. عبّود: جبل في فرش ملل ويروى عبّوس. الخـويّ: موضع بالعقيق. أملال: أراد ملل فجمعها وما حولها، وهو اسم موضع.

(١٥) كتانة: عين بين الصفراء والأثيل، «قيل هضبة مشرفة على الجار من جانب الرّمل. الحمى: حمى ضريّة. ذات النّضال: اسم موضع.

(١٦) المنتوى: المنزل الذي ينتوونه أي يقصدونه أو يقيمون به.

(١٧) المخيلة: صفة لمحذوف وهو سحابة مخيلة أي تحسبها ماطرة. الهزم: الصّوت. القروم: الفحول: الأشوال: جمع شول والشّول جمع شائلة وهي النّاقة التي خفّ لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها.

(١٨) استطار: تفرّق. البلق: جمع الأبلق والبلقاء وهو الذي في لونه سواد وبياض. الأجلال: ما تلبسه الدّابة من سرح لتصان به.

(١٩) اليفاع: ما ارتفع من الأرض. سغّم: من سغّم الطين ماءً أو الطّعام دهناً بمعنى روّاه به وسقاه وبالغ في ذلك. والزيت، منصوبة على نزع الخافض لأنّه أراد «سغّم بالزيت». الذّبال: فتيلة السّراج. وساطعات، مفعول به ثانٍ لفعل سغّم. يقول إنّ الرّاهب أشبع ذبالة سراجه زيتاً فاشتدّ نورها ودام.

(٢٠) لبانة: حاجة. سربالي: لباسي.

(٢٣) القذال: ما بين الأذنين من مؤخّر الرأس.

— 105 —

وقال: [من الطويل]

١ وَأَنْـتِ لعينـي قُـرَّةٌ حِيـنَ نَلْتَقِـي وَذِكْرُكِ في نَفْسِي إذا خَدِرَتْ رجلي

٢ وإن رَمِدَتْ عَيْنَاي يَـوْمـاً كحَلْتُهـا بعينيكِ، لم أبْغِ الذّرورَ من الكُحْـلِ

— 106 —

وقال كثير أيضاً وحكي أنه قال: هي خير قصائدي: [من الطويل]

١ ألا يَـا لَقَـوْمـي لِلنَّـوَى وانفِتَـالِهـا وَلِلصَّرْمِ مِنْ أَسْمَاءَ ما لَـم نُـدَالِهـا

٢ عَلَـى شِيمـةٍ لَيْسَـتْ بجِـدِّ طَلِيقـةٍ إلينـا، ولا مَقْلِيَّـةٌ مِـن شِمـالهـا

٣ هو الصَّفح منها خَشْيَـةً أَنْ تَلُـومَهـا وَأَسْبَابُ صَـرْمٍ لـم تَقَـعْ بِقِبـالهـا

٤ وَنَحْنُ على مِثْلٍ لأَسْمَاءَ لـم نَجُـزْ إليها، ولـم نَقْطَـعْ قـديـمَ خلالهـا

٥ وَشَوْقي إذا استيقنتُ أنْ قَدْ تَخَيَّلَـتْ لبينِ نَوى أسماءُ بعـضَ اختيـالهـا

٦ وَأَسْمَــاءُ لاَ مَشْنُــوعــةٌ بملامــةٍ إلينــا، ولا مَعْـذُورَةٌ بــاعتلالهـا

٧ وإنّي عَلَى سُقْمِـي بِـأَسْمَـاءَ والّذي تُرَاجِعُ منّي النَّفْسُ بعد انْـدمـالهـا

---

(١) قرّة العين: ما يُسَرُّ به الإنسان ويطمئنّ. والعرب تزعم أنّ خدر الرِّجْل يذهب عند ذكر الحبيب.

(٢) الذّرور: ما يُذرّ في العين من كحل أو دواء.

---

(١) انفتالها: انتقالها وتحوّلها. الصّرم: القطيعة. ندالها: من دلوت الرَّجل وداليته إذا رفقت به وداريته.

(٢) الشيمة: الخليقة والسّجيّة. طليقة: سخيّة كريمة. الشّمال: الشمائل والأخلاق.

(٣) قبالها: شبيهها ونظيرها.

(٤) خلالها: صداقتها التي لا خلل فيها.

(٥) البين والنّوى: البعد. الاختيال: التّخيّل.

(٦) مشنوعة. مستقبحة مذمومة. الاعتلال: اختلاق العلل والأعذار.

(٧) تراجع منّي النّفس: يعاودني الحنين والشّوق. اندمالها: الشّفاء والتماثل من المرض.

٨ لأرتاح من أسماء للذّكرِ قد خَلا ... وللربعِ من أسماء بعد احْتمالها
٩ وإنْ شَحَطَتْ يوماً بَكَيْتُ وإنْ دَنَتْ ... تَذَلَّلْتُ واستكْثَرْتُهَا باعتزالها
١٠ وَأُجْمِعُ هِجْراناً لأَسْمَاءَ إنْ دَنَتْ ... بها الدَّارُ لا مِنْ زُهْدَةٍ في وِصَالها
١١ فما وَصَلَتْنا خُلّةٌ كوصالها ... ولا ماحَلَتْنا خُلّةٌ كَمِحالِها
١٢ فهل تجزيَنْ أسماءُ، أورقَ عودُها ... ودامَ الذي تَثْرَى بهِ من جمالها
١٣ حَنِيني إلى أَسْمَاءَ والخَرْقُ دونَها ... وإكْرَامِيَ القومَ العِدَى منْ جَلاَلها
١٤ هل آنتَ مُطيعي أيُّها القَلْبُ عَنْوَةً ... وَلَمْ تَلْحُ نَفْساً لم تُلَمْ في احتيالها
١٥ فَتَجْعَلَ أَسْماءَ الغَدَاةَ كَحَاجَةٍ ... أجمّتْ فلمّا أخْلَفَتْ لم تبالها
١٦ وَتَجْهَلَ مِنْ أَسْمَاءَ عَهْدَ صَبَابةٍ ... وَتَحْذُوَهَا مِنْ نَعْلِهَا بمثالها
١٧ لعمرُ أبي أَسْمَاءَ مَا دَام عَهْدُها ... عَلَى قَوْلِها ذاتَ الزُّمين وحالها
١٨ وما صَرَمَتْ إذْ لَمْ تَكُنْ مستثيبةً ... بعاقبةٍ، حبلَ امرىءٍ من حبالها
١٩ فواعجبا منْ شَوْبِها عَذْبَ ما ِها ... بِمِلْحٍ، وما قد غيّرَتْ من مقالها

---

(٨) خلا: ولّى ورحل. الاحتمال: الرّحيل. وصدر البيت خبر «إنّي» في البيت السّابق.

(٩) شحط: بعد. تذلّلت: خضعت. استكثرت: أردت الشيء الكثير.

(١٠) الزهدة: الزّهد.

(١١) المماحلة: الصدّ والعداوة.

(١٢) أورق عودها: دعاء بأن يطول شبابها ونضارتها. تثرى: تفرح وتُسرّ.

(١٣) الخرق: الصحراء تتخرّق فيها الرّياح. من جلالها: من أجلها.

(١٤) عنوة: طوعاً. لم تلحُ: لم تلُمْ.

(١٥) أجمّت: دنت واقتربت. تبالها: تكترث لها.

(١٦) حذاه من نعله بمثالها: عامله بالمثل. وتحذوها منصوبة بالإضافة على «فتجعل» في البيت السّابق.

(١٧) ذات الزّمين: زمن من الأزمنة، وهي تصغير زمن. «وحالها» معطوفة على «قولها».

(١٨) لم تكن مستثيبة بعاقبة: أي لم تكن ترجو خير العاقبة على عملها.

(١٩) الشّوب: الخلط والمزج، من شاب يشوب شائبة.

٢٠ ومن نَشْرِها ما حُمّلَتْ من أَمَانَةٍ وَمِنْ وَأيها بالوعدِ ثم انتقالِها
٢١ وَكُنَّا نَرَاها بادِيَ الرَّأْيِ خُلّةً صَدُوقاً على ما أُعطيَتْ منْ دَلالها
٢٢ وَلَيلةِ شَفّانٍ يبلُّ ضَرِيبُهَا بنا صَفَحاتِ العِيسِ تحتَ رِحالها
٢٣ سَرَيْتُ ولولا حُبُّ أسماءَ لم أبِتْ تُهَزْهِزُ أثوابي فُنونُ شمالها

---

(٢٠) الوأي بالوعد: ضمان وفائه. يعجب من إخلافها في وعودها.
(٢١) البادي من الرأي: ما يبدو منه من غير نظر أو تفكير.
(٢٢) ليلة شفّان: ليلة باردة ذات ريح. الضّريب: الثّلج والبرد. العيس: النّوق البيض.
(٢٣) فنون: حالات. الشّمال: ريح الشمال.

قافية الميم

— 107 —

وقال من قصيدة: [من الطويل]

١ إلى ظُعُنٍ يتْبَعْنَ في قتَرِ الضُّحى ... بِعُدْوَةِ وَدَّانَ المَطِيَّ الرَّواسما

٢ تخلّلْنَ أَجْزَاعَ الضَّئيدِ غُدَيّةً ... وَرُعْنَ امرءاً بالحاجِبيّةِ هائما

٣ ومَرَّتْ تحُثُّ السَّائِقَاتُ جِمالَهَا ... بها مُجْتَوى ذي مَعْيَطٍ فالمَخارِما

٤ فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيّامُ نهْبَلَ كُلُّها ... وَوَاجَهْنَ دَيْموماً من الخَبْتِ قاتما

٥ تَيَامَنَّ عَنْ ذِي المرّ في مُسْبَطِرَّةٍ ... يَدُلُّ بِها الحادي المُدِلُّ المراوِما

(١) القتر: الغبرة. عدوة: مكان مرتفع. ودّان: أسفل هرشى على ميلين مما يلي المغرب يقطعها المصعدون من حجّاج المدينة وينصبّون فيها صادرين من مكّة. الرّواسم: التي تسير الرسيم وهو سير سريع.

(٢) الجزْع: منعطف الوادي. الضئيد: موضع رمل بقرب ودّان. الحاجبيّة: عزّة.

(٣) المجتوى: الموضع الذي يجتوي فيه الإنسان أي يكره المقام فيه وإن كان في نعمة. ذو معيط: موضع في بلاد مزينة. المخارم: جمع مخرم، أي منقطع أنف الجبل.

(٤) نهبل: اسم موضع. الديموم: الصّحراء الواسعة. الخبت: الرّمل الذي لا ينبت غير الأرطى.

(٥) ذو المرّ: اسم موضع، ولعلّه يعني مرّ الظّهران على مرحلة من مكّة. مسبطرّة: ممتدّة مستقيمة. المدلّ: العارف بمهارته. المراوم: المطالب.

وقال كثير يمدح يزيد بن عبد الملك(★): [من الطويل]

١ لِعَـزَّةَ أَطْلالٌ أَبَـتْ أن تَكَلّمـا ... تَهِيـجُ مَغَـانِيهـا الطَّـروبَ المُتَيَّمـا

٢ كـأنّ الرِّيـاحَ الذَّارِيَـاتِ عَشِيَّـةً ... بـأطلالهـا يَنْسِجْـن رَيْطـاً مُسهَّمـا

٣ أَبَتْ وأَبَى وَجْـدِي بِعَـزَّةَ إذْ نَـأَتْ ... على عُـدوَاءِ الدَّارِ أنْ يتصـرَّمـا

٤ وَلَكِنْ سَقَى صَوْبُ الرَّبيـع إذا أَتَـى ... علـى قَلَهِـيَّ الدَّارِ والمُتَخَيَّمـا

٥ بِغادٍ مـن الوَسْمِـيّ لمّـا تَصَـوَّبَـتْ ... عَثَـانيـنُ وَادِيـهِ علـى القَعْـرِ ديّمـا

٦ سقى الكُدْرَ فَاللَّعْباءَ فَالبُرْقَ فالحِمَى ... فَلَوذَ الحِصى مِنْ تَغلَمَيـنِ فـأظلمـا

٧ فأرْوَى جَنُوبَ الدَّونَكَين فَضَاجِعـاً ... فَدَرَّ فَأَبْلَى صَـادِقَ الوَبْـلِ أَسْحَمـا

٨ تَثُـجُّ رُوَايـاهُ إذا الرَّعْـدُ زَجَّهـا ... بِشَابَةَ فالقُهْـبِ المـزادَ المُحـذْلمـا

(★) ذكر الشّاعر بأنّ القصيدة في مدح يزيد بن عبد الملك، ولكنّه لم يورد أبيات المديح واكتفى بأبيات الغزل؛ ونحن نعلم أن يزيد بن عبد الملك تولّى الخلافة من ١٠١ - ١٠٥ هـ، وأنّ كثيّراً توفي سنة ١٠٥ فهذه القصيدة تقع في هذه الفترة الزمنيّة وتمثّل فترة متأخرة من عمر الشّاعر.

(١) الطّروب: الحزين.

(٢) الذّاريات: التي تنثر التراب وتذروه اي تفرّقه. الريط المسّهم: الرّداء المخطّط.

(٣) عدواء الدّار: بعدها ونأيها. يتصرّم: ينقضي.

(٤) قلهيّ، أو قلهيّا: ماء لبني سليم غزير. المتخيم: مكان الخيام.

(٥) الغادي: السّحاب الذي يمطر غدوة. الوسميّ: المطرة الأولى. العثانين: جمع عثنون، أي أوّل المطر. ديّم: دائم غير مقلع.

(٦) الكدر واللّعباء: ماءان لبني سليم. البرق: اسم موضع كما يبدو. لوذ الحصى: موضع. تغلمان: موضع في بلاد بني فزارة.

(٧) الدّونكان: واديان في ديار بني سليم. ضاجع: وادٍ في ديار بني سليم. أبلى: جبال على طريق الآخذ من مكّة إلى المدينة على بطن نخل. الأسحم: السّحاب الأسود لكثرة مائه.

(٨) تثج: تصبّ. الرّوايا: إبل السّقي. زجّها: ساقها ودفعها. شابة: اسم جبل بين السّليلة والرّبذة. القهب: جبال من حمى الرّبذة. المزاد: جمع مزادة وهي قربة الماء. المحذلم: المملوء.

٩ فَأَصْبَحَ مَنْ يَرْعى الحِمَى وجَنوبَهُ بذي أفَقٍ مُكّاؤهُ قد تَرَنَّما
١٠ دِيَارٌ عَفَتْ مِنْ عَزَّةَ الصَّيْفَ بعدما تُجِدُّ عليهنَّ الوَشِيعَ المثمَّما
١١ فَإِنْ أَنْجَدَتْ كان الهوى بكَ مُنجداً وإنْ أتْهمَتْ يوماً بها الدَّارُ أتْهما
١٢ أجَدَّ الصِّبا واللَّهوُ أن يَتَصرَّما وأنْ يُعْقِباكَ الشَّيْبَ والحِلمَ منهما
١٣ لَبِسْتَ الصِّبا واللَّهْوَ حتَّى إذا انقضى جَدِيدُ الصِّبا واللّهوِ أعرضت عنهما
١٤ خَلِيلين كَانَا صَاحِبَيْكَ فَوَدَّعا فَخُذْ منهما ما نوَّلاك وَدَعْهما
١٥ على أنَّ في قلبي لِعزَّة وَقْرَةً مِنَ الحُبِّ ما تَزْدَادُ إلا تتيُّما
١٦ يُطَالِبُها مُسْتَيقِناً لا تُثيبُهُ ولكن يُسلّي النَّفْسَ كي لا يلوَّما
١٧ يَهَابُ الّذي لم يُؤْتَ حلماً كلامَها وإنْ كَانَ ذا حلمٍ لديها تحلّما
١٨ تَرُوكٌ لِسِقْطِ القَولِ لا يُهْتَدَى به ولا هِيَ تُسْتَوْصى الحَدِيثَ المكتَّما
١٩ وَيَحْسَبُ نسْوانٌ لهنَّ وسيلةً من الحُبّ، لا بَلْ حُبُّها كان أقدما
٢٠ وعُلّقْتُها وَسْطَ الجواري غَرِيرَةً وما قُلّدَتْ إلا التّميمَ المنظَّما
٢١ عَيوفُ القَذى تأبى فلا تَعْرِفُ الخنا وترمي بعينيها إلى مَنْ تَكَرَّما

---

(٩) الحمى: حمى الرّبذة، اسم موضع. ذو أفق: مكان. المكّاء: طائر مغرد من نوع القنبرة.
(١٠) تجد: تجعله جديداً. الوشيع: من السّعف تلقى على خشبات سقف البيت لتسدّ ما بينها. المثمّم: من الثّمام وهو عشب زهره كالسنبلة.
(١١) أنجدت وأتهمت: سكنت نجداً وتهامة.
(١٢) يتصرّم: ينقضي وينصرم.
(١٤) نوّلاك: وهباك، أعطياك.
(١٥) الوقرة: الصّدع والثّلمة.
(١٦) لا تثيبه: لا تجزيه.
(١٨) تستوصى: تقبل الوصيّة.
(٢٠) الغريرة: السّاذجة الصّغيرة السّنّ. قُلّدت: أُلبست القلادة من الحلي في عنقها. التّميم: كلّ ما يعلّق على الصغير اتّقاءً للعين.
(٢١) القذى: هنا كلّ ما يقلق.

٢٢ إلى أَنْ دَعَتْ بالدِّرعِ قبلَ لِـداتهـا | وَعَادَتْ تُرى منهـنَّ أبهـى وأفخمـا
٢٣ وَغَالَ فُضُولَ الدِّرع ذي العَرْضِ خَلقُها | وأتْعَبَـتِ الحجْلَيـنِ حتَّـى تقصَّمـا
٢٤ وَكَظَّـتْ سِـوارَيهـا فلا يـأْلُـوانِها | لَدُنْ جـاورا الكفَّيـنِ أنْ يتقـدّمـا
٢٥ وتُدْنِي على المتنيـن وَحْفـاً كـأنَّـهُ | عَنَاقِيدُ كرْمٍ قـد تَـدَلّـى فـأنعمـا
٢٦ من الهيفِ لا تَخزى إذا الرِّيحُ الصقَتْ | على متنهـا ذا الطُّـرَتَيْـنِ المنمنمـا
٢٧ وَكُنْتُ إذا مـا جِئْتُهَـا بعـد هجـرةٍ | تقَـاصـرَ يـومَئِـذٍ نهـاري وأغيمـا
٢٨ فَـأَقْسَمْـتُ لا أَنْسَـى لِعـزَّةَ نَظْـرَةً | لها كِدْتُ أُبدي الوجدَ منّي المجمجما
٢٩ عَشِيَّةَ أوْمـتْ، والعيـونُ حـواضِـرٌ | إليَّ، بـرَجْـع الكـفّ أن لا تَكلّمـا
٣٠ فأعْرَضْـتُ عَنْهَـا والفـؤادُ كـأنّمـا | يـرى لـو تنـاديـه بـذلـك مَغْنمـا
٣١ فَإنَّكَ عَمْرِي هَـل أُرِيـكَ ظَعَـائِنـاً | بصَحْنِ الشَّبا كالدَّوْمِ من بَطْنِ ترْيما
٣٢ نَظَرْتُ إليها وَهْيَ تَنْضُـو وَتَكْتِسَـي | مِـنَ القَفْـرِ آلاً كلَّمـا زَالَ أقْتمـا
٣٣ وَقَدْ جعَلَتْ أَشْجَـانَ بِـرْكٍ يَمِينَهَـا | وَذَاتَ الشِّمَال مِنْ مُـريخـةَ أشْـأمـا

(٢٢) الدّرع: لباس طويل تلبسه المرأة. اللّدات: الأتراب.

(٢٣) غال: تحيّف وجار على. فضول: عرض واتّساع. الحجل: الخلخال. تقصّما: تكسّرا.
إنّ اكتناز بدنها جعل الدّرع يضيق عليها والخلخال يضيق على ساقيها.

(٢٤) كظّت: ملأت. السّواران لا يتقدّمان الى كفّ اليد لامتلائها.

(٢٥) الوحف: الشّعر الأسود. أنعم: أمعن في الامتداد.

(٢٦) الهيف: جمع هيفاء، الدّقيقة الخصر.
يقول إنّها لا تنزعج من الرّياح حين تهبّ لأنّها ليست خفيفة العجيزة. يقول جميل بثينة في حبيبته:
تـرى الزّلّ يلعـنّ الرّيـاح إذا جـرت | وبثنـةُ إنْ هبَّـت لهـا الرّيـح تفـرح

(٢٧) يـوميذٍ: يومئذٍ مخفّفة للضّرورة الشّعرية. أغيم: صار ذا غيم كناية عن قِصَره.

(٢٨) المجمجم: المخفي في الصّدر.

(٣١) الظّعائن: القوافل المرتحلة. الشّبا: وادٍ بالأثيل من أعراض المدينة. الدّوم: شجر له ثمر في حجم التفّاح. تريْم: وادٍ بين المضايق ووادي ينبع. شبّه الظّعائن بأشجار الدّوم.

(٣٢) تنضو وتكتسي الآل: تخرج من السّراب حيناً وتدخل فيه حيناً آخر. أقتم: اشتدّ سواده.

(٣٣) الأشجان: مسايل الماء. بِرْك: نقب يخرج من ينبع الى المدينة عرضه نحو من أربعة أميال أو خمسة وكان يسمّى مبركاً. مريخة: قرن أسود قرب ينبع بين برك ودعان.

٣٤ مَـوَلّيـّةً أيْسـارَهَـا قَطَـنَ الحِمَـى   تَوَاعَدْنَ شِرْباً مـن حَمَـامَـةَ مُعلَمـا
٣٥ نَظَرْتُ إليهـا وهـيَ تُحْـدى عشيّـةً   فـأتبعْتُهُـمْ طَـرْفـيَّ حتَّـى تتمّمـا
٣٦ تَرُوعُ بأكْنَافِ الأَفَـاهيـدِ عِيـرُهـا   نَعَامـاً وَحُقْبـاً بـالفَـدافـدِ صُيَّمـا
٣٧ ظَعَائِنُ يَشْفِينَ السَّقيـمَ مِـنَ الجَـوَى   بـهِ ويُخَبّلْـنَ الصَّحِيـحَ المُسلَّمـا
٣٨ يُهِنَّ المُنَقَّى عِنْـدَهُـنَّ مـن القَـذَى   ويُكْـرِمـنَ ذا القـاذورةِ المتكـرِّمـا
٣٩ وَكُنْتُ إذا ما جئتُ أجْلَلْنَ مجلسـي   وأبـدَيـنَ مِنّـي هيبَـةً لا تَجَهُّمـا
٤٠ يُحَـاذِرْنَ مِنّـي غَيْـرَةً قـد عَلِمنْهـا   قـديمـاً فمـا يَضْحَكْـنَ إلاَّ تبسُّمـا
٤١ يُكَلّلنَ حَدَّ الطَّرفِ عن ذي مهابـةٍ   أبـانَ أُولاتِ الدَّلِّ لمَّـا تـوسّمـا
٤٢ تَـرَاهُـنَّ إلاَّ أَنْ يـؤدّيـنَ نظـرَةً   بمؤخِـرِ عَيْـنٍ أو يُقلِّبْـنَ معصَمـا
٤٣ كَـوَاظِـمَ لا يَنْطِقْـنَ إلاّ مَحُـورَةً   رَجِيعـةَ قَـوْلٍ بَعْـدَ أَنْ يتفهّمـا
٤٤ وَكُـنَّ إذا مـا قُلْـنَ شيئـاً يسُـرُّهُ   أَسَـرَّ الرِّضـا فـي نفسـه وتجـرّمـا
٤٥ فَأَقْصَرَ عـن ذاك الهـوَى غيـرَ أنَّـهُ   إذا ذُكِرَتْ أَسْمَاءُ عاجَ مُسلِّما (★)

(٣٤) مولّية: تاركة ومعرّضة. قَطَن: جبل لبني عبس كثير النّخل والمياه بين الرّمّة وأرض بني أسد. الشّرب: بالكسر، الماء بعينه. معلماً: مشهوراً.

(٣٦) الأفاهيد: قُنَيْنات فلق بقفار خرجان من نواحي المدينة على موطىء طريق الرّبذة من النّخل. الحقب: جمع أحقب، حمار الوحش. الفدافد: الصّحاري. صيّم: صائمون.

(٣٧) الجوى: شدّة الحبّ. يخبّلن: يفسدن العقل.

(٣٨) ذو القاذورة: من الرّجال الذي لا يبالي ما قال وما صنع.

(٣٩) أجْلَلنَ: من الجلال والعظمة. الهيبة: الوقار. التّجهّم: العبوس وعدم الرّضى.

(٤١) كلّل: أعيا وأتعب.

(٤٢) ينظرن خلسة أو يتظاهرن بانشغالهنّ بمعاصمهنّ.

(٤٣) كواظم: صامتات. المحورة: الجواب على الحوار. رجيعة القول: الرّدّ على القول.

(٤٤) التجرّم: ادّعاء الجرم وهو غير حاصل.

(★) وقد قدّمنا أنّ قسم المدح من القصيدة لم يصلنا؛ وفي المصادر بيتان في المدح على وزن هذه القصيدة ورويّها وهما:

١ فمـا وجـدوا منـكَ الضّـريبـة هـدَّةً   هيـاراً ولا سَقْـطُ الألِيَـة أخـرمـا
٢ عـدوّ تلادِ المـالِ فيمـا ينـوبـه   مَنُـوعٌ إذا مـا منعُـهُ كـان أحـزمـا

وقال يمدح عبد الملك بن مروان: [من الطويل]

١ وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الوِدَادَةُ أَنَّنِي   بما في ضَمِيرِ الحَاجِبِيّةِ عالِمُ
٢ فإنْ كَانَ خَيْراً سَرَّنِي وعلِمْتُهُ   وإنْ كَانَ شرّاً لم تلُمْني اللّوائمُ
٣ وما ذَكَرَتْكِ النّفْسُ إلاّ تفرّقتْ   فَريقينِ منها عَاذِرٌ ليْ ولائمُ
٤ فَريقٌ أبى أن يقبَلَ الضّيْم عَنْوَةً   وآخِرُ مِنها قابلُ الضَّيْمِ راغمُ
٥ أروحُ وأغدُو من هَوَاكِ وأسْتَري   وفي النّفْس ممّا قد عَلِمْتِ علاقمُ

★ ★ ★

٦ إلى أهْلِ أجنادَين مِن أرْضِ مَنْبِجٍ   على الهوْلِ إذ ضَفْرُ القُوَى مُتَلاحمُ
٧ وَمَا لَسْتُ من نُصْحي أخاكَ بمُنكَرٍ   ببُطْنانَ إذْ أهْلُ القبابِ عماعِمُ
٨ سيأتي أميرَ المؤمنينَ وَدُونَهُ   رُحابٌ وأنْهارُ البُضَيعِ وَجَاسِمُ
٩ ثَنائي تُنَمّيهِ عليَّ ومِدْحَتي   سَمَامٌ على رُكبانهنَّ العمائمُ

---

(١) وددت: تمنّيت. الحاجبيّة: عزّة من بني حاجب.
(٢) اللّوائم: اللاّئمات. علمت: اكتفى بمفعول واحد لأنّه بمعنى عرفت.
(٣) تفرّقت نفسه فريقين: انتابته مشاعر متناقضة.
(٤) الضيم: الظّلم والإذلال.
(٥) أستري: أسري أي أسير ليلاً. العلاقم: كلّ شيء مرّ.
(٦) أجنادين: موضع في فلسطين بين الرّملة وبيت جبرين. منبج: قرية في الشّام. ضفر القوى: أي طاقاته مضفورة متلاحمة. القوى: طاقات الحبال.
(٧) بُطنان: موضع من أرض الشّام كان عبد الملك يشتو فيه في الحرب بينه وبين مصعب ومصعب يشتو بمسكن. عماعم: جماعات متفرّقة.
(٨) البُضيع: من عمل غوطة دمشق. رحاب: من عمل حوران. جاسم: من عمل جولان.
(٩) السّمام: النّوق السّريعة. ثنائي، فاعل «سيأتي» في البيت السّابق.

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، ومات سنة خمس ومائة يوم مات عكرمة مولى ابن عباس وصلّي عليهما بعد الظهر(★): [من الطويل].

١ لِعَزَّةَ مِن أيّامِ ذي الغُصْن هاجَني ... بِضَاحِي قَرارِ الرَّوضَتَينِ رُسومُ

٢ فرَوضةُ أَلْجَامٍ تَهيجُ ليَ البُكا ... وروضاتُ شوْطَى عهدُهنَّ قديمُ

٣ هِيَ الدّارُ وحْشاً غيرَ أنْ قد يحلّها ... ويغنى بها شَخْصٌ عليَّ كريمُ

٤ فما بِرِباعِ الدّارِ أنْ كُنْتُ عالماً ... ولا بِمَحَلِّ الغانياتِ أهيمُ

٥ سألتُ حكيماً أينَ صَارَتْ بها النَّوى ... فخبّرني ما لا أُحبُّ حَكيمُ

٦ أجَدُّوا فأمّا آلُ عزَّةَ غدوَةً ... فَبَانُوا وأمّا وَاسِطٌ فمُقيمُ

٧ فَمَا للنّوى لا بَارَكَ اللهُ في النَّوى ... وَعَهْدُ النَّوى عندَ المُحِبِّ ذميمُ

٨ لَعَمْري لئِن كَانَ الفؤادُ من النَّوى ... بغى سَقَماً إنّي إذنْ لَسَقِيمُ

٩ فَإمّا ترَيْنِي اليومَ أُبْدي جَلادةً ... فإنّي لَعَمْري تَحْتَ ذاكَ كليمُ

١٠ وما ظعنَتْ طوْعاً ولكنْ أزالَها ... زَمَانٌ نَبا بالصَّالحينَ مَشُومُ

(★) هذه القصيدة قالها كثيّر في عزّة لما أُخرجت الى مصر.

(١) ذو الغض: وادٍ قريب من المدينة وهو من أودية العقيق. الضّاحي: الظّاهر البارز. القرار: جمع قرارة، المطمئنّ في الأرض.

(٢) روضة ألجام: أو آجام، روضة نحو البقيع. روضات شوطى: بحرّة بني سليم، وشوطى من دوافع العقيق تدفع فيه من الحرّة.

(٣) وحشاً: قفراء. يَغنى: يقيم ويسكن.

(٤) الرّباع: جمع ربع، الدّار وما حولها.

(٥) حكيم: السائب بن حكيم وهو رواية الشاعر. النّوى: البعد.

(٦) أجدّ: اجتهد في سيره. بانوا: رحلوا بعيداً. واسط: جبل بالحجاز تنبطح عنده سيول النّقيع.

(٧) ذميم: مكروه.

(٩) الجلادة: الصّبر. كليم: جريح.

(١٠) ظعنت: رحلت. مشوم: مشؤوم مخفّفة.

١١ فَـوَاحَـزَنـا لمــا تفَــرّقَ وَاسِــطٌ وأهـلُ الَّتـي أهـذي بهـا وأحــومُ
١٢ وقـال لــيَ البُلاّغ ويْحَــك إنَّهــا بغيـركَ حَقّــاً يــا كَثيــرُ تهيــمُ
١٣ أتشْخصُ والشَّخصُ الذي أنت عـادِل بــه الخلـدَ بيـنَ العـائـدات سقيـمُ
١٤ يُـذَكّـرُنيهـا كُـلُّ ريـحٍ مَـرِيضـةٍ لهـا بـالتّلاع القَــاوِيــاتِ نسيــمُ
١٥ تمرُّ السُّنونَ المـاضيـاتُ ولا أرى بصَحْـنِ الشَّبـا أطلالَهُـنَّ تَــريــمُ
١٦ وَلَسْتُ ابنةَ الضَّمْريّ منـكِ بنـاقـمٍ ذُنُـوبَ العِـدَى إنّـي إذنْ لظلــومُ
١٧ وإنّي لذو وَجْدٍ إلئِـنْ عَـادَ وَصْلُهـا وإنّـي عَلـى ربّــي إِذَنْ لَكَــريــمُ
١٨ إذا برَقَتْ نحـو البُـوَيْـبِ سَحَـابـةٌ لعينيـكَ منهـا لا تجــفُّ سجــومُ
١٩ وَلَسْتُ بِرَاءٍ نحـوَ مِصْـرَ سَحَـابـةً وإن بَعُــدَتْ إلا قَعَــدْتُ أشيــمُ
٢٠ فَقَدْ يُوجَدُ النِّكسُ الدنيُّ عن الهـوى عَزوفاً وَيَصْبُو المرءُ وَهْـوَ كَـريـمُ
٢١ وَقَـال خَلِيلـي: مَـا لَهَـا إذ لقيتَهــا غَـدَاةَ الشَّبـا فيهـا عليـكَ وُجــومُ
٢٢ فقُلْــتُ لــهُ: إنَّ المــودَّة بَيْننـــا على غَيْـرِ فُحْشٍ والصَّفـاءُ قـديـمُ
٢٣ وإنّي وإنْ أعـرَضْـتُ عنهـا تجلّـداً علـى العهـد فيمــا بيننــا لمُقيــمُ

---

(١١) واسط: يريد أهل واسط. أهذي بها: أجنّ بحبّها.
(١٢) البلاّغ: المخبرون. كثير: الشّاعر نفسه.
(١٣) العائدات: اللّواتي يزرن المريض.
(١٤) القاويات: الخاليات، من أقوت الدّار إذا خلتْ.
(١٥) الشّبا: وادٍ بالأثيل من أعراض المدينة فيه عين يقال لها خيف الشّبا. تريم: تنتقل من مكانها.
(١٦) ابنة الضمريّ: من بني ضمرة وهم قوم عزّة.
(١٨) البويب: مدخل أهل الحجاز إلى مصر. سجوم: دموع منهمرة.
(١٩) راءٍ: من فعل رأى. أشيم: أنظر أين ستمطر.
(٢٠) النّكس: الرّجل الضعيف. عزوفاً: منصرفاً ومبتعداً. يصبو: يحنّ ويميل.
(٢١) الشبّا: وادٍ بالأثيل. الوجوم: السكوت على غيظ أو حزن.
(٢٣) أعرضت عنها: صددت وملت.

٢٤ وإنَّ زمـانـاً فـرَّق الدَّهــرَ بَيْنَنــا وبينكُـمُ فـي صَــرْفِـهِ لَمَشْــومُ
٢٥ أفي الدِّينِ هـذا إنَّ قلبـكِ سَـالـمٌ صَحِيحٌ وقلبـي مِـنْ هَـوَاكِ سقيـمُ
٢٦ وإنَّ بجـوفـي مِنْـكِ داءً مُخـامـراً وَجَـوْفُـكِ ممَّـا بـي عليـكِ سليـمُ
٢٧ لَعَمْرُكِ ما أنْصَفْتِنِي فـي مـودَّتـي ولكنّنـي يـا عَــزُّ عَنْــكِ حليــمُ
٢٨ عليَّ دِمَـاءُ البُـدْنِ إن كـان حبُّهـا على النأي أو طُـولَ الزمـان يـريـمُ
٢٩ وأُقْسِمُ ما استبـدلـتُ بعـدكِ خُلّـةً ولا لكِ عندي في الفُؤاد قسيمُ(★)

— ١١١ —

وقال في عزّة: [من الطويل]

١ يَقُولُ العِدَا يا عَزَّ قَدْ حَـالَ دُونكُـمْ شُجاعٌ على ظَهْرِ الطَّـرِيـقِ مُصَمِّـمُ
٢ فقُلـتُ لهـا واللهِ لـو كَـانَ دُونكُـمْ جَهَنَّـمُ مـا راعَـتْ فـؤادي جهَنَّـمُ

---

(٢٤) الصّرف: المصيبة. مشوم: مشؤوم مخفّفة.
(٢٥) أفي الدّين: يعني، هل يسمح الدّين بذلك؟!
(٢٦) الجوف: هنا القلب.
(٢٨) البدن: النّوق التي تنحر في الحجّ. النأي: البعد. يريم: ينتقل ويتبدّل.
(٢٩) الخُلّة: الصّديقة. القسيم: الشّريك المقاسم.
(★) وزاد في «الأغاني» بعد البيت ٢٨ قوله:

تلـمُّ ملمـاتٌ فينسيـن ذكـرهـا ويُـذكـر منهـا العهـدُ وهـو قـديـمُ

ـ وزيد في بعض نسخ الدّيوان الأبيات الآتية وهي:

وإنّـي لَمُسْتسـقٍ لهـا الله كلّمـا لـوى الدّيـنَ معتـلٌّ وشـحَّ غـريـمُ
سحـائـبَ لا مـن صَيِّـبٍ ذي صواعقٍ ولا محـرقـاتٍ مـا لهـنّ حميـمُ
ولا مخلفـاتٍ حيـن هجـن بنسمـةٍ إليهـنّ هـوجـاء المهـبّ عقيـمُ
إذا مـا هبطـن القـاعَ قـد مـات نبْتُـه بكَيْـنَ بـه حتّـى يعيش هشيـمُ

---

(١) الشّجاع: بالضّمّ والكسر الحيّة الذّكر.
(٢) راعت: أخافت.

٣ وكيف يَرُوعُ القلبَ يا عَزَّ رائعٌ   وَوَجْهُكِ في الظَّلْماء للسَّفْرِ مَعْلَمُ
٤ وما ظَلَمَتْكِ النَّفْسُ يا عَزَّ في الهوى   فلا تَنْقَمي حُبّي فَمَا فيهِ مَنقَمُ

— 112 —

وقال كثير: [من االكامل]

١ أمِنَ آلِ قَيلَةَ بالدَّخولِ رُسُومُ   وَبحَومَلٍ طَلَلٌ يَلوحُ قَديمُ
٢ لعِبَ الرِّياحُ بِرَسْمِهِ فأجَدَّهُ   جُونٌ عَوَاكِفُ في الرَّمادِ جُثومُ
٣ سُفْعُ الخُدُودِ كأنّهُنَّ، وَقَدْ مَضَتْ   حِجَجٌ، عَوَائِدُ بَيْنَهُنَّ سَقيمُ
٤ أَجْوَازُ دَاويَةٍ خِلالَ دِماثِها   جُدَدٌ صَحَاصِحُ بَيْنَهُنَّ هُزومُ
٥ وَلَقَدْ أَرَدْتُ الصَّبرَ عنكِ فعاقَني   عَلَقٌ بقَلْبي مِنْ هَواكِ قَديمُ
٦ كَذِبَ العَوَاذِلُ بَلْ أرَدْنَ خيانتي   وبَدتْ روائعُ لِمَّتي وقتومُ

---

(٣) معلم الطريق: دلالته وعلامته.
(٤) نقم: عاب وعاقب.

---

(١) قيلة: اسم امرأة. الدخول وحومل: موضعان اختلف في تحديدهما، وهما في بلاد بكر بن كلاب كما يقول محمد بن حبيب أو في بلدان الشّام كما يقول أبو الحسن.

(٢) أجدّه: جعله جديداً. جون: هنا اللون الأسود وتعني الأحمر. وهي من الأضداد. عواكف: جمع عاكفة، مقيمة. الجثوم: جمع جاثم، اللاّزم الأرض، ويعني بها أثافي الموقد السّوداء.
(٣) الأسفع: الأسود. الخدود: الصّفحات. العوائد: العائدات التي تزور المريض.
(٤) الدّاوية: الصّحراء الملساء. الدّماث: الأراضي المستوية. الجدد: جمع جادّة، الطريق. صحاصح: مستوية. الهزوم: جمع هزم، أي ما اطمأنّ من الأرض.
(٥) العلق: الهوى والعشق يكون للرّجل في المرأة.
روائع اللّمّة: أول ظهور الشّيب ويكون عادة في اللّمّة أي في جانبي الرأس. القتوم: الشحوب والتغيّر ويكون مع بداية الكهولة.

٧ وَلَقَدْ شَهِدْتُ الخَيلَ يحملُ شِكَّتي   مُتَلَمِّظٌ خَذِمُ العِنَانِ بهيمُ
٨ عَتَدُ القِيَادِ كأنَّهُ مُتحجِّرٌ   حَرِبٌ يُشَاهِدُ رَهْطَهُ مَظْلُومُ
٩ باقي الذَّمَاءِ إذا مَلَكْتَ مُناقِلٌ   وإذا جمعتَ بِهِ أجَشٌّ هزيمُ
١٠ عَوْمَ المُعيدِ إلى الرَّجَا قَذَفَتْ بِهِ   في اللُّجّ دَاوِيَةُ المَكانِ جَموُمُ

— 113 —

وقال: [من الطويل]

١ وأنْتِ التي حبّبْتِ شغبى إلى بَدا   إليَّ وأوْطاني بِلادٌ سِواهُما
٢ وحلّتْ بهذا حلّةً ثمَّ أصْبَحَتْ   بأُخرى فطابَ الوادِيانِ كلاهُما
٣ إذا ذرَفتْ عيناي أعْتلُّ بالقَذى   وعزَّةُ لوْ يدري الطّبيبُ قذاهُما
٤ فلو تُذرِيان الدَّمع مُنذُ استهلّتا   على إثرِ جازي نعمةٍ لجزَاهُما

---

(٧) متلمّظ: ذو لمظة وهي بياض في جحفلة الفرس السفلى من غير الغرّة وكذلك إن سالت غرّته حتّى تدخل في فمه فيتلمّظ بها فهي اللّمظة. الخذم: السّريع. البهيم: من الخيل ما ليس فيه لون يخالف معظم لونه.

(٨) عتد: شديد. المتحجّر: المتشدّد. الحرِب: القائد الغضبان.

(٩) الذّماء: بقيّة النّفس. مناقل: سريع نقل القوائم. أجشّ: خشن الصّوت وهي صفة مستحبّة في الخيل. هزيم: ذو صوت شديد قويّ. جمعت به: من قولنا، جمع رجليه به إذا أراد قتال العدوّ.

(١٠) العوم: السّباحة فوق الماء. المعيد: الحاذق العالم بالأمور. الرّجا: جانب الحوض والبئر. الجموم: التي تجمّع ماؤها وغزر.

---

(١) شغبى: منهل بين طريق مصر والشّام. بدا: موضع قريب من شغبى.

(٢) يقول إنّ حبيبته حلّت بشغبى وبدا ففاح الواديان تضوّعاً وعبيراً.

(٣) القذى: ما يسقط في العين فيجعلها تدمع.

(٤) إنّ عَزّة لا تجازي الشّاعر خيراً على دموعه.

— 114 —

وقال: [من الطويل]

١ وَيَوم الوَغى يَومُ الطِّعانِ إذا اكتسى مُحَجَّلُ خَيْلِ الملتقى وبهيمُها

٢ مِنَ الماءِ لوناً واحداً فتَشَابَهَتْ وغَيّرَ ألوانَ الجيادِ حَمِيمُها

٣ وَصَارتْ إلى شَهْبَاءَ ثَابِتَةِ الرَّحَى مقنّعةٍ أُخرى تَزُولُ نجومُها

٤ وطارتْ خلالَ الضَّرْبِ أيدٍ وأرْجُلٌ وَحَانتْ رِقَابٌ لم تُعَقَّدْ تميمُها

★ ★ ★

٥ وإنّي بخيرٍ ما بقيتَ وما وَلِي قناةَ الهُدَى مِنْكُمْ إمامٌ يُقيمُها

— 115 —

وقال كثيّر: [من الطويل]

١ عَفَتْ غَيْقَةٌ مِنْ أهْلِهَا فَحَرِيمُها فبُرْقَةُ حِسْمى قَاعُها فصَرِيمُها

٢ وَهَاجَتْكَ أطْلاَلٌ لِعَزَّةَ باللّوى يَلُوحُ بأطْرافِ البِراقِ رُسومها

---

(١) البهيم: من الخيل ما خلا من الغرّة والتّحجيل.

(٢) الحميم: العرق المتصبّب.

(٣) الشّهباء: الكتيبة الملتمعة السّلاح.

ثابتة الرّحى: كناية عن شدّة وطأتها وثباتها كالرّكن. تزول: تحرّك.

(٤) رقاب لم تعقّد تميمها: كناية عن رقاب المقاتلين الشّجعان لأنّ الذين يعقدون التمائم هم الذين يخافون الحرب فلا يقاتلون

(٥) البيت الخامس قليل الارتباط بما قبله.

---

(١) غيقة: حساء على شاطىء البحر فوق العذيبة وقيل: مويهة عليها نخل بطرف جبل جهينة الأشعر، وقيل: سهل واسع على ساحل البحر يقابل بدراً، وقيل غير ذلك. حريمها: ما حولها. حسمى: اختلفت الرّواية فيها فقيل فيها «حسنا» وهي صحراء بين العذيبة والجار، وقيل بين الجار وودّان. القاع: أرض سهلة واسعة مطمئّنة. الصّريم: القطعة من معظم الرّمل.

(٢) اللّوى: منقطع الرّمل. البِراق: جمع برقة وهي الأرض يختلط فيها رمل وحصى وفيها غلظ.

٣ إلى المِئْبرِ الدَّاني من الرَّمْلِ ذِي الغَضَا تَرَاها، وَقَد أقْوَتْ، حَدِيثاً قديمها
٤ وَقَالَ خَلِيلي يَوْمَ رُحْنَا وَفُتّحَتْ من الصَّدْرِ أشْراجٌ وفُضَّتْ خُتومها
٥ أصَابَتْكَ نَبْلُ الحَاجِبيَّةِ إنَّها إذا مَا رَمَتْ لا يَسْتَبِلُّ كليمها
٦ كَأنَّكَ مَرْدُوعٌ مِن الشَّمْسِ مُطْرَدٌ يُفارِقُهُ مِن عُقْدَةِ البُقْعِ هيمها
٧ أخُو حَيَّةٍ عَطْشَى بِأرْضٍ ظَمِيئَةٍ تجلَّلَ غَشْياً بعدَ غَشْيٍ سليمها
٨ إذَا شَحَطَتْ يوماً بِعَزَّةَ دارُها عن الحيّ صَفْقاً فاستمرَّ (مريرها)
٩ فإنْ تُمْسِ قَدْ شَطَّتْ بِعَزّةَ دارُها ولم يَسْتَقِمْ والعَهْدَ منها زعيمُها
١٠ فَقَدْ غَادَرَتْ في القَلبِ منّي زَمَانَةً وللعينِ عَبْراتٍ سَرِيعاً سُجُومُهَا
١١ فَذُوقي بما جَشّمتِ عيناً مشومَةً قَذَاها، وقد يأتي على العينِ شُومُهَا
١٢ فلا تَجْزَعي لمَّا نأتْ وتَزَحْزَحَتْ بعزَّة دُورَاتُ النّوى وَرُجُومُهَا
١٣ وَلِي مِنْكِ أيّامٌ إذا شَحَطَ النَّوى طوالٌ وليلاتٌ تزولُ نُجُومُهَا

---

(٣) المئبر: ما رقّ من الرّمل وقيل ما أشرف وارتفع منه. الغضا: شجر خشبه صلب. أقوت: خلت.

(٤) الأشراج: جمع شرج، العروة. فضت ختومها: فتحت ما كان مغلقاً. يقول: لقد انكشف ما في الصّدر من المشاعر والذكريات.

(٦) مردوع من الشمس: مصاب من شدّتها. مطرد: مبعد لا يداويه أحد. يقارفه: يدانيه. العقدة: الأرض الكثيرة الشّجر والعشب، وقيل في المثل: «آلف من غراب عقدة» إنّ غراب هذه الأرض الكثيرة النّخل لا يطير. البقع: جمع أبقع، وهنا صفة للغراب. الهيم: جمع هائم أي عطشان.

(٧) أخو حيّة عطشى: يعني لدغته حيّة عطشى ليكون أذاها أشدّ. تجلّل غشياً سليمها: أي أصاب الملدوغ منها غشي بعد غشي من الإغماء.

(٨) شحطت: بعدت. الصّفق: النّاحية. وقد سها النّاسخ فكتب «مريرها» مكان كلمة أخرى فتغيّرت القافية. وربّما كانت اللفظة «مريمها».

(٩) شطّت: بعدت. الزعيم: هنا من الزّعم أي الوعد.

(١٠) الزّمانة: المرض الدّائم المزمن. السّجوم: انهمار الدّموع.

(١١) أي ذوقي أيّتها العين المشؤومة ما جُشّمْتِ من القذى.

(١٢) الدّورات: أماكن رمل مستدير يجلسون فيها: الرّجوم: أكوام الحجارة.

(١٣) شحط: بعد. النوى: البعاد.

١٤ قَضَى كُلُّ ذي دينٍ فوفّى غريمَهُ وعزّةُ مَمْطولٌ مُعنًّى غَريمُهَا
١٥ إذا سُمْتُ نفسي هجرَها واجتنابَها رَأَتْ غَمَراتِ الموتِ في ما أَسُومُهَا
١٦ إذا بِنْتِ بَان العُرْفُ إلا أقلّهُ من النّاسِ ، واستعلى الحياةَ ذميمها
١٧ وتُخْلِقُ أثوابُ الصِّبا ، وتنكّرت نَوَاحٍ مِنَ المَعْرُوفِ كانتْ تقيمها
١٨ فهل تجزِيَنّي عَزّةُ القَرْضَ بالهوى ثَوَاباً لنفسٍ قد أُصيبَ صميمها
١٩ بأنّيَ لم تَبْلُغْ لها ذا قرابةٍ أَذَاتي ، ولم أُقْرِرْ لواشٍ يَذيمها
٢٠ مَتَى مَا تَنَالا بِي الأولى يَقْصِبونها إليَّ ولا يُشْتَمْ لَديَّ حَميمها
٢١ وقد عَلِمَتْ بالغَيْبِ أنْ لن أوَدَّها إذا هيَ لم يَكْرُمْ عليَّ كريمها
٢٢ فإنْ وَصَلَتْنا أمُّ عمروٍ فإنّنا سَنَقْبَلُ منها الوُدَّ أو لا نلومها
٢٣ فلا تزجرِ الغَاوينَ عنْ تَبَعِ الصِّبا وَأَنْتَ غَويُّ النَّفسِ قِدْماً سقيمها
٢٤ بعزّةَ مَبْتُولٌ إذا هيَ فارقتْ مُعَنًّى بأسبابِ الهوى ما يَريمها
٢٥ ولما رأيتُ النَّفسَ نفساً مُصابةً تَداعى عليها بَثُّها وَهُمومها
٢٦ عَزَمْتُ عليها أمْرَها فَصَرَمْتُهُ وَخَيْرُ بَديعاتِ الأمورِ عزيمها

---

(١٤) الغريم: الدّائن. ممطول: من المطل أي التّسويف والتأجيل. معنّى: يتكبّد التّعب والمشقّة. وقد أورد كثيّر أنّ أمّ البنين زوجة الوليد بن عبد الملك سألت عزّة عن الدين في هذا البيت فقالت: وعدته قبلة فحرجت منها، فقالت أمّ البنين: أنجزيها وعليّ إثمها.

(١٥) سمت نفسي: أذللتها.

(١٦) بنتِ: بعدتِ. العرف: المعروف. الذّميم: الملام.

(١٧) تخلق: تبلى.

(١٩) الأذاة: الأذى والضّرر. الواشي: النّمام. يذيمها: يعيبها.

(٢٠) يقصبونها: يعيبونها ويشتمونها. الحميم: العزيز الغالي.

(٢٣) زجر: ردع. الغاوي: المنقاد للهوى. تبع: جمع تبِعة، وهي المسؤوليّة. وسقيمها: خبر أنت.

(٢٤) متبول: قد اسقمه الحبّ. معنّى: يتكبّد التعب والمشقّة. يريمها: يشفى منها.

(٢٥) البثّ: الحزن.

(٢٦) بديعات الأمور: الأمور التي عزم عليها المرء.

٢٧ وما جابةُ المِدْرَى خَـذُولٌ خلا لهـا	أَرَاكٌ بذي الرّيَـان دانٍ صـريمهـا
٢٨ بِـأحْسَــنَ منهــا سُنّــةً ومُقَلَّــداً	إذا مـا بَـدَتْ لبّـاتُهـا ونظيمهـا
٢٩ وتَفْـرُقُ بـالمِـدرَى أثيثـاً نبـاتُــهُ	كجنّةِ غربيـبٍ تَـدَلّـتْ كـرومها
٣٠ إذا ضَحِكَتْ لـم تَنْتَهِـزْ وتَبَسّمَـتْ	ثَنَايا لها كـالمُـزْنِ غُـرٌّ ظُلـومها
٣١ كـأنّ علـى أنْيـابِهَـا بَعْـدَ رَقْـدَةٍ	إذا انتبهـتْ وَهْنـاً لِمـن يستنيمها
٣٢ مُجاجَةَ نَحْلٍ في أبـاريـقِ صَفْقَـةٍ	بِصَهْبَاءَ يجري في العِظام هَميمهـا
٣٣ رَكودُ الحُمَيّا وَرْدَةُ اللّـونِ شـابَهـا	بماء الغوادي غَيْـرَ رَنْـقٍ مُـديمها
٣٤ فإن تَصْدُفي يا عَزَّ عنّي وتَصْـرِمـي	ولا تقبلـي منـي خِلالاً أسـومهـا
٣٥ فقـد أقْطَعُ المَـوْمـاةَ يَسْتَـنُّ آلُهـا	بها جِيَفُ الحَسْرى يلـوحُ هشيمها
٣٦ على ظَهْرِ حُرْجوجٍ يُقَطِّـعُ بـالفَتَـى	نِعـافَ الفَيـافـي سَبْتُهـا ورسيمها

(٢٧) جابة المدرى: يقال للظبية حين يطلع قرنها «جأبة المدرى» لأن القرن أوّل ما يطلع يكون غليظاً (والجأب: الغليظ)، وهنا كناية عن صغر سنّها: الخذول: التي تتخلّف عن صواحبها وتبقى مع ولدها: ذو الريّان: ماء بين مكّة والمدينة. الصّريم: الشّجر المصروم، يريد به شجر الأراك، لأنّه داني الأغصان تقطع بسهولة.

(٢٨) السّنّة: الوجه المالس المصقول. المقلّد: موضع القلادة من العنق. اللّبّات: أعالي الصّدر. النظيم: العقد المنظوم.

(٢٩) المدرى: المشط. الأثيث: الشّعر الطّويل. الغربيب: نوع من العنب بالطّائف شديد السّواد.

(٣٠) انتهز في الضّحك: أفرط فيه. الثّنايا: الأسنان في مقدّم الفم. الظّلوم: ماء الأسنان أو شدّة بياضها.

(٣١) الرقدة: النّومة والهجعة. وهناً: بعد هدء من الليل. يستنيمها: ينامها.

(٣٢) مجاجة النّحل: العسل. صفقة: مليئة. الصهباء: الخمرة. الهميم: دبيب الخمرة.

(٣٣) الحميّا: سورة الخمر. ركود: تسكّن سورتها. شابها: مازجها وخالطها. الغوادي: السّحائب. الرّنق: الكدر. المديم: الذي يسكن منها ويهدأ حين تمزج بالماء.

(٣٤) صدف: انصرف ومال. الخلال: الأصدقاء. أسومها: أذلّلها.

(٣٥) الموماة: الصّحراء المقفرة. يستنّ: يجري ويمضي. الآل: السّراب. الحسرى: الإبل التي أعيت فماتت في الطّريق. الهشيم: المهشّم من عظامها وأعضائها.

(٣٦) الحرجوج: النّاقة الطويلة، وقيل الضّامرة. النّعف من الرّمل: مقدّمه وما استرقّ منه. السّبت: السّير السريع، وهو فاعل يقطّع: الرّسيم: ضرب من سير الإبل السّريع.

٣٧ وقد أزْجُرُ العَوْجاءَ أنْقَبَ خُفُّها ... مناسِمُها لا يَسْتَبِلُّ رَثِيمها
٣٨ وَقَدْ غَيّبتْ سُمْراً كأنَّ حُروفَها ... مَواثمُ (وضّاحٍ) يطيرُ جريمها
٣٩ وَلَيلةِ إيجافٍ بِأَرْضٍ مَخُوفةٍ ... تَقَتْني بجوَناتِ الظّلامِ نجومها
٤٠ فبتُّ أُسَاري ليلَها وضَريبَها ... على ظَهْرِ حُرْجوجٍ نَبيلٍ حزيمها
٤١ تُواهِقُ أطْلاحاً كأنَّ عُيُونَها ... وقيعٌ تَعَادتْ عن نطافٍ هزومها
٤٢ أضرَّ بها الإدلاجُ حتَّى كأنَّها ... منَ الأيْنِ خِرْصانٌ نَحَاها مُقيمها
٤٣ تُنازعُ أشْرافَ الإكَامِ مَطِيّتي ... منَ اللّيْلِ سِيجاناً شَديداً فُحُومها
٤٤ بمُشْرِفةِ الأجداثِ خَاشِعَةِ الصُّوى ... تَداعَى، إذا أمْسَتْ، صداها وبومها
٤٥ إذا استقْبَلَتْها الريحُ حَالَ رُغامُها ... وَحَالفَ جَوْلانَ السّرابِ أُرومها

(٣٧) العوجاء: الضامرة من الإبل. أنقب خفّها: حفيت أقدامها. المناسم: هي للجمال كالأظافر للإنسان. يستبلّ: يشفى ويبرأ. الرّثيم: المنسم الذي دمي لانكسار شيء من طرفه.
(٣٨) التّاء في «غيّبت» تعود إلى المناسم. السّمر: الحجارة السّوداء. المواثم: الحجارة المكسّرة المحدّدة الأطراف. وضّاح: هكذا وردت في النّسخة المخطوطة ولا يستقيم معها إلاّ أن تكون «رضّاخ» أي الذي يدقّ الحبّ والنّوى. الجريم: جمع جريمة وهي النّواة.
(٣٩) الإيجاف: شدّة السّير. تقتني: اتّقتني. الجونات: جمع جونة أي الفحمة، والمراد جعلت تلك الليلة بيني وبين النّجوم قطعاً من الظّلام.
(٤٠) ساري: سار معه ليلاً. الضريب: الجليد والبرد. الحزيم: موضع الحزام من الصّدر. نبيل: رابٍ ممتلىء.
(٤١) تواهق: تباري. الأطلاح: النّوق المتعبة. الوقيع: مناقع الماء. النّطاف: الماء القليل. الهزوم: جمع هزمة أي الكسور والشّقوق.
(٤٢) الإدلاج: السّير ليلاً. الأين: التّعب والإعياء. خرصان: جمع خرص وهو الجريد من النّخل أو القضيب الرّطب منه. مقيمها: الذي يحاول أن يقوّمها أي يسوّي انحناءها.
(٤٣) الأشراف: الأماكن العالية المشرفة. السّيجان: جمع ساج أي الطّيلسان وهو نوع من الكساء. فحومها: يجوز أن تكون بمعنى سوادها.
(٤٤) مشرفة الأجداث: واضحة وظاهرة القبور، كناية عن الصّحراء التي يموت فيها الكثيرون. الصّوى: معالم الطّريق. الصّدى: ذكر البوم.
(٤٥) حال: تحرّك. الرّغام: التّراب. حالف: وافق. الجولان: التراب والحصى الذي تجول به الرّيح على وجه الأرض. الأروم: الأعلام.

٤٦ يُمَشّي بِحِزّانِ الإكـامِ وبـالـرُّبـى ... كمستكبرٍ ذي مَـوْزَجَيْـنِ ظليمهـا
٤٧ رَأيتُ بِهَا العُـوجَ اللهـاميـمَ تَغْتَلـي ... وقد صُقِلَتْ صَقْلاً وتُلّتْ جسومهـا
٤٨ تُرَاكِلُ بالأكْوارِ من كُـلِّ صَيْهَـبٍ ... مِنَ الحَـرِّ أثْبـاجـاً قليلا لُحُـومُهـا
٤٩ ولو تسألينَ الرَّكْبَ في كلِّ سَرْبَـخٍ ... إذا العيسُ لم يَنْبِسْ بليـلٍ بَغـومهـا
٥٠ من الحُجْرَةِ القُصْوى وَراءَ رِحالِهـا ... إذا الأُسْدُ بالأكوارِ طـافَ رَزُومُهـا
٥١ وجـرَّبـتُ إخـوانَ الصَّفاءِ فمنهُـمُ ... حَمِيـدُ الوِصـالِ عنـدنـا وذميمهـا
٥٢ وأعلـمُ أنّـي لا أُسَـرْبَـلُ جُنّـةً ... منَ المـوتِ معقـوداً علـيّ تميمهـا
٥٣ ومَن يَبْتَدِع ما ليس مِنْ سوسِ نفسـهِ ... يدْعْهُ، ويغْلِبْهُ على النَّفْسِ خِيمها (★)

---

(٤٦) حزّان: جمع حزيز وهو ما غلظ وصلب من الأرض. الإكام: الرّوابي. الموزج: كلمة فارسيّة معرّبة تعني الخفّ، وأصلها «موزه». الظّليم: ذكر النّعام، وهي فاعل «يمشّي».

(٤٧) العوج: النّوق الضامرة. اللّهاميم: جمع لهموم، أي النّاقة الغزيرة اللّبن الكثيـرة المشـي. تغتلـي: ترتفع في سيرها. صقلت: هزلت من السّير. تلّت: صرعت والأصح «شلّت» بمعنى يبست.

(٤٨) تراكل: تدافع. الصّيهب: شدّة الحرّ. الأثباح: الظّهور. أي أنّ أكوارها تدفع عن أجسادها من الحرّ الشّديد.

(٤٩) السّربخ: الأرض البعيدة المضلّة لا يهتدى فيها إلى طريق. ينبس: ينطق. البغوم: الصّوت.

(٥٠) الحجرة: الحظيرة. الرّزوم: الأسد الذي يجثم على فريسته. يشير الى إلمام الأسود برحالهم عندما يعرّسون للرّاحة.

(٥٢) الجُنّة: الوقاية. أسربل: ألبس السّربال. التميم: ما يعلق في العنق للاستعاذة من الشّرّ.

(٥٣) السّوس: الطّبع والسّجيّة. الخيم: الخلق والشّيمة.

(★) وفي المصادر أبيات تنسب لكثير على وزن القصيدة ورويّها وهي:

وَعُـلّ ثـرى تلـك الحفيـرة بـالنّـدى ... وبـورك مَـنْ فيهـا وطـابـت تخـومهـا
إذا مستشـابـات الرّيـاح تنسّمـت ... ومـرّ بسفسـاف التـراب عقيمهـا
وسـارت إلـى شهبـاء ثـابتـة الرّحـى ... مقنّعـة أخـرى تـزول نجـومهـا

وتنسب إليه أيضاً الأبيات الآتية:

فقـد سـرتُ غـربـيَّ البلاد وشـرقهـا ... وقـد ضـربتنـي شمسُهـا وغيـومُهـا
وعـاهـدتُ أقـوامـاً فـأوفيـتُ عهـدهـم ... بـأحسـنِ مـا يـوفـي العهـودَ زعيمهـا
ومـا غـرّهـا بـي غيـرُ حُسْنِ تبـاعتـي ... وأنـي إذا لـم تَقْضنـي لا ألـومهـا

وقال يمدح عبد العزيز بن مروان: [من الطويل]

١ أفي رَسْمِ أَطْلالٍ بِشَطْبٍ فمرْجَمِ ... دَوَارِسَ لمّا استُنْطِقَتْ لم تَكلّمِ

٢ تُكَفْكِفُ أَعْداداً من العينِ رُكّبَتْ ... سَوانيُّها ثُمَّ انْدَفَعْنَ بأسلُمِ

٣ فَأَصْبَحَ من تِرْبَيْ خُصَيْلَةَ قَلْبُهُ ... لهُ رِدّةٌ من حاجَةٍ لم تَصرَّمِ

٤ كذي الظَّلعِ إنْ يَقصِدْ عَلَيهِ فإنّهُ ... يَهُمُّ وإنْ يخرَقْ بِهِ يتيمّمِ

٥ وَمَا ذِكرُهُ تِرْبَي خُصَيلةَ بَعْدَما ... ظَعَنَّ بأجوازِ المراضِ فتغْلَمِ

٦ فَأَصْبَحْنَ باللَّعباءِ يَرْمِينَ بالحَصَى ... مَدَى كلِّ وَحْشِيّ لهُنَّ ومُستمي

٧ مُوَازِيةً هضْبَ المُضَيَّحِ واتَّقَتْ ... جبَالَ الحمى، والأخشبَيْنِ بأخرُمِ

٨ إليكَ تبارَى بَعْدَما قُلتُ قَدْ بَدَتْ ... جِبَالُ الشَّبا أو نَكَّبَتْ هَضْبَ تِرْيَمِ

---

(١) شطب: وادٍ حذاء مرجم دون كلية إلى بلاد ضمرة.

(٢) أعداداً: آباراً شبّه غزارة الدّمع بالآبار. السّواني: النّوق التي يستقى عليها. الأسلُمُ: جمع سلم، أي دلو السّقاية.

(٣) الترب: اللّدة. خصيلة: اسم امرأة. الرّدّة: الرغبة.

(٤) ذو الظلع: الذي يعرج في مشيته. يقصد: يقتصد فيه فلا يمشي عليه. يهمّ: ينهض. يخرق: يعنف. تيمّم الأمر: طلبه وتعمّده. وورد البيت على الشكل الآتي:

كذا الطّاعُ إنْ يُقْصَدْ عليه فإنّه ... يهمُّ وإنْ يُخْرَقْ به يتيمّم

وشرحه: الطّاع هو الفرس الطّائع أي طوع العنان سلسه. خرق الشّيء: جهله ولم يحسن عمله. قصده على الأمر: أكرهه عليه وقهره.

(٥) تربي خصيلة: وردت في البيت الثالث من هذه القصيدة. المراض: موضع بين رابغ والجحفة. تغلم: موضع قبل ريم في ديار بني فزارة.

(٦) اللعباء: جبل لغطفان في أكناف الحجاز. المستمي: الذي يستمي الوحش أي يطلبها في كنسها ولا يكون ذلك إلاّ في شدّة الحرّ.

(٧) المضيّح: جبل بالشّام، وقيل موضع بمصر، وذكر أنّه جبل قرب المدينة بين ملل والرّوحاء وهي الدّيار التي يصفها كثيّر في شعره.

(٨) الشّبا: موضع قريب من الأبواء. تريم: موضع لبني جشم بعد بطن تربة على طريق الخارج إلى المدينة نحو عجز هوازن، وقيل وادٍ بالحجاز قريب من ينبع.

٩ بِنـا العِيسُ تَجْتَـابُ الفَلاةَ كـأَنَّهـا قَطَا الكُدرِ أمسَى قَارِباً جَفْرَ ضَمضَمِ
١٠ تشكّى بِأَعْلى ذي جَـرَاولَ مَـوْهِنـاً مَنَاسِمُ منها تَخْضِبُ المَرْوَ بـالـدَّمِ
١١ تَنُوطُ العِتـاقَ الحِمْيَـريّـةَ صُحْبَتـي بِأَعيَسَ نَهّاضٍ عَلَى الأينِ مِرْجَـمِ
١٢ كـأَنَّ المَطَـايا تتّقـي مِـنْ زُبَـانَـةٍ مَنَاكِبَ رُكْـنٍ مـن نَضَـادِ مُلَمْلَـمِ
١٣ تُعَالِـي وَقَـدْ نُكِبّـنَ أعلامَ عَـابِـدٍ بِأَرْكَانِها اليُسرى هِضَـابَ المُقطَّـمِ
١٤ تَـرَى طَبَـقَ الأَعْنَـاقِ منهـا كـأَنَّـهُ إلَيْـكَ كُعُـوبُ السمهـريِّ المقـوَّمِ
١٥ إذا انْتَقَدَتْ فضلَ الأزمَّةِ زَعْزَعَـتْ أنـابيبُهَـا العُلْيَـا خَـوابيَ حَنْتَـمِ
١٦ تَـزُورُ امـرءاً أَمَّـا الالـهَ فيتّقـي وأمّـا بفعـلِ الصّـالحيـنَ فيـأتمـي
١٧ نُجِدُّ لـكَ القَـولَ الحلـيَّ ونَمْتطـي إليـكَ بَنـاتِ الصَّيْعَـريّ وشَـدْقَـمِ
١٨ إليكَ فَلَيْسَ النِّبـلُ أَصْبَـحَ غَـادِيـاً بذي حُبُـكٍ يَعْلُـو القُـرى مُتَسَنَّـمِ
١٩ بِطَامٍ يكبُّ الفُلْـكَ حَـوْلَ جَنـابِـهِ لأذقانِـهِ مُعلَـوْلِـبَ المـدِّ يـرتمـي
٢٠ بِأَفْضَلَ سيباً مِنْكَ، بَـلْ لَيْسَ كُلّـهُ كَبَعْـضِ أيـادي سَيْبِـكَ المتقسَّـمِ

---

(٩) العيس: النّوق البيضاء. تجتاب: تجوب، تقطع. القطا: طيور. الكدر: قصيرة الذّنب. قارباً: وارداً. جفر: بئر عميقة القعر. ضمضم: اسم موضع. وجفر ضمضم: اسم موضع أيضاً.

(١٠) ذو جراول: اسم موضع في جزيرة العرب. موهناً: ليلاً. المرو: الحجارة.

(١١) تنوط: تعلّق. الحميريّة: نسبة الى حمْير. الأعيس: الجمل الأبيض. النّهاض: القويّ الحركة والنّهوض. الأين: التّعب. مرجم: شديد الوطء.

(١٢) زبانة: ربّما كانت «ربابه» كما جاء في البكري أي سحابه والضمير عائد الى «ذي جراول» في البيت العاشر. نضاد: جبل بالعالية. ململم: مجتمع، شديد صلب.

(١٣) عابد: جبل دون مصر. المقطّم: جبل.

(١٤) السمهريّ: الرّمح.

(١٥) انتقدت: نقرت وحرّكت. الأزمّة: الألجمة. زعزعت: أثارت. الحنتم: القطران.

(١٦) تزور: أي المطايا. يأتمي: يأتمّ، يهتدي، أبدل من إحدى الميمين ياءً.

(١٧) الحليّ: الحلو. الصّيعري وشدقم: من فحول الإبل المنسوبة.

(١٨) الحبك: التجعّد والتعرّج والتكسّر، يعني تموّج الماء. متسنّم: عالٍ، مرتفع.

(١٩) الطّامي: المدّ العالي. معلولب: آخذ في الاشتداد.

(٢٠) السّيب: العطاء.

٢١ رأيتُ ابنَ ليلى يَعْتَري صُلْبَ مـالِـهِ مَسَائـلُ شَتّـى مِـنْ غنـيٍّ وَمُصْـرِمِ

٢٢ مَسَائِلُ إن توجَدْ لـديـهِ تَجُـدْ بهـا يَـدَاهُ، وإن يُظْلَـمْ بهـا يَتظَلّـمِ

٢٣ يَـدَاكَ ربيـعٌ يُنْتَـوَى فَضْـلُ سَيْبـهِ وَوَجْهُكَ بـادي الخيـرِ للمتـوسِّـمِ

٢٤ لَقَدْ أبْرَزَتْ مِنْك الحَوَادِثُ للعـدِى على رَغْمِهِمْ ذَرِّيَّ عَضْـبٍ مُصَمِّـمِ

٢٥ وَذِي قَوْنَسٍ يوماً شَكَكْـتَ لُبَـانَـهُ بذي حُمَةٍ في عَامِلِ الرّمح لَهْـذَمِ

٢٦ وذي مَغْرَمٍ فرَّجْتَ عَنْ لَوْنِ وجهـهِ صُبابَةَ ذي دَجْنٍ مِـنَ الهـمِّ مُظلِـمِ

٢٧ وَعَانٍ فَكَكْـتَ الغُـلَّ عنـه وكَبْلَـهُ وَقَدْ أنـدبـا منـهُ بِسَاقٍ وَمِعْصَـمِ

٢٨ ولو وُزِنَتْ رَضْوَى الجبالِ بحلمـه لمال بـرضـوى حِلْمُـهُ وَيَـرَمْـرَمَ

٢٩ مِنَ النَّفَرِ البِيضِ الذّيـن وُجُـوهُهُـمْ دَنَانِيرُ شِيفَتْ من هِرَقْلٍ بِـرَوْسَـمِ

٣٠ فَـأَنْـتَ إذا عُـدَّ المَكَـارِمُ بَيْنَـهُ وبينَ ابنِ حربٍ ذي النُّهى المتفخـمِ

٣١ متى مَا أقُلْ في آخِرِ الدَّهرِ مِـدْحَـةً فما هـي إلاَّ لابـنِ ليلـى المكـرّمِ

---

(٢١) المصرم: القليل المال. إنّ ماله يصيب الغنيّ والفقير.

(٢٢) يتظلّم: يظلم نفسه من شدّة السّخاء.

(٢٣) ينتوى: يُقصد. المتوسّم: الذي يرجو خيراً.

(٢٤) ذرّيّ السّيف: جوهرة وفرنده لأنّه يشبه آثار الذّرّ. العضب: السّيف القاطع. المصمم: السّيف الماضي.

(٢٥) القونس: البيضة من السلاح يعني فارساً يلبس الخوذة، والقونس من الفرس ما بين أذنيه. اللّبان: الصّدر. عامل الرّمح: صدره. اللّهذم: القاطع.

(٢٦) ذو المغرم: الذي أثقلته الديون والمغارم. الصّبابة: البقيّة. الدّجن: الظلم والغيم.

(٢٧) العاني: الأسير. الغلّ: القيد. أندبا: تركا ندوباً أي جروحاً.

(٢٨) رضوى يرمرم: اسما جبلين.

(٢٩) شافه: صقله وجلاه. الرّوسم: أداة تجلى بها الدّانانير.

(٣٠) بينه: الضمير يعود إلى اسم لم يذكر وربّما تكون بعض الأبيات سقطت. ابن حرب: معاوية بن أبي سفيان.

(٣١) لقد أخذ أبو نؤاس من هذا البيت قوله:

وإنْ جـرتِ الألفـاظ يـومـاً بمـدحـة لغيـركَ إنسـانـاً فـأنـت الّذي نعنـي

وقال يمدح عمر بن عبد العزيز(★): [من الطويل]

١ عَـرِّجْ بِـأطْـرَافِ الدِّيَـارِ وسَلِّـمِ ... وإنْ هِـيَ لـم تَسْمَـعْ ولـم تَتَكَلَّـمِ
٢ فَقَـدْ قَـدُمَـتْ آيـاتُهـا وَتَنَكَّـرَتْ ... لِمَا مَرَّ مِن ريحٍ وأَوْطَـفَ مُـرْهِـمِ
٣ تـأَمَّلْـتُ مِـن آيـاتِهـا بعـدَ أهْلِهـا ... بأطـرافِ أَعْظَـامٍ فَـأَذْنَـابِ أزْنُـمِ
٤ مَحَـانِـيَ آنـاءٍ كَـأَنَّ دُروسَهـا ... دُرُوسُ الجوابي بَعْدَ حولٍ مجـرَّمِ
٥ يَقُولُ خليلي سِـرْ بِنـا أيَّ مـوقـفٍ ... وَقَفْتَ وَجَهْلٍ بـالحَليـمِ المعمَّـمِ
٦ تَلُـومُ وَلَـمْ تَعْلَـمْ بـأسـرارِ خُلَّـةٍ ... فتعذرَ إلاَّ عَـنْ حَـديـثٍ مـرجَّـمِ

(★) وفد كثيّر والأحوص ونصيب على عمر بعد أن تولّى الخلافة (٩٩ هـ) وكانوا يعرفونه أيّام مقامه والياً بالمدينة، وهم يأملون عطاءً كثيراً، فلقيهم مسلمة بخناصرة وأعلمهم أنّ الخليفة لا يقبل الشّعر، وأنّه لدى عودته سينظر في عطائهم؛ وبقوا أشهراً دون أن يؤذن لهم على الخليفة، ثمّ إنّ كثيّراً سمع شيئاً من كلام عمر وأدخل معناه في شعره، فلمّا أذن لهم عليه قال له كثيّر: يا أمير المؤمنين طال الثّواء وقلت الفائدة وتحدّثت بجفائك إيّانا وفود العرب، فقال له: يا كثيّر ﴿إنّما الصّدقات للفقراء والمساكين...﴾ الآية. ففي أي واحد من هؤلاء أنت؟ فقال كثيّر: ابن سبيل منقطع به، قال عمر: ألست ضيف أبي سعيد (يعني مسلمه) وما أرى من كان ضيفه منقطعاً به، ثمّ أذن له في الإنشاد بقوله: «قلْ ولا تقل إلاّ حقاً». ويقول كثيّر: إنّه بعد هذا ترك الشّعر؛ ولكن قصائده في عمر ويزيد بعده تدلّ على غير ذلك. (انظر تفصيل القصة في الشّعر والشعراء: ٤١١).

(١) عرّج: مال.

(٢) الأوطف: السّحاب الذي دنا من الأرض لكثرة مطره. المرهم: السّحاب الذي يرسل المطر الخفيف بشكل دائم.

(٣) أعظام وأزنم: اسما موضعين وقال البكري على ثمانية أميال من المدينة، وروي «أرنم» (بالرّاء).

(٤) محاني: جمع مَحْنية، وهي منعطف الوادي. آناء: جمع نؤي وهو ما يحفر حول الخيمة. الجوابي: جمع جابية، وهي الحوض. حول مجرّم: عام كامل.

(٥) يذكر إنكار صاحبه عليه الوقوف وقفة رجل حليم عاقل.

(٦) الحديث المرجّم: الذي لا يوقف على حقيقته.

٧ فَإنْ كُنْتُ لم أَجْهَلْ فقد لِمْتَ ظَالماً وإنْ كُنْتُ قد أزرى بيَ الجهلُ فاحلمِ
٨ وفي الحِلْمِ والإسلامِ للمرءِ وازعٌ وفي تَرْكِ طَاعَاتِ الفُؤادِ المُتيّمِ
٩ بَصَائِرُ رُشْدٍ للفتى مُسْتبينَةٌ وأخلاقُ صِدْقٍ عِلْمُها بالتَّعلّمِ
١٠ وَليتَ فلم تَشْتِمْ عليّاً ولم تُخِفْ بريّاً ولم تقْبَلْ إشارةَ مُجْرِمِ
١١ وأظهرْتَ نورَ الحقِّ فاشتَدَّ نُورُهُ على كلِّ لَبْسٍ بارقَ الحَقّ مُظلمِ
١٢ وَعَاقَبْتَ فيما قَدْ تَقَدَّمْتَ قَبْلَهُ وَأعْرَضْتَ عمَّا كَانَ قَبْلَ التَّقَدّمِ
١٣ وصدّقْتَ بالفِعْلِ المقالَ مَعَ الذِي أتَيْتَ فأمْسى رَاضِياً كلُّ مُسلمِ
١٤ تَكَلّمْتَ بالحَقّ المُبينِ وإنّما تَبَيّنُ آياتُ الهُدى بالتّكلّمِ
١٥ ألا إنما يكفي الفَتَى بَعْدَ زَيْغِهِ مِن الأوَدِ البَادِي ثِقافُ المقوِّمِ
١٦ وَقَدْ لَبِسَتْ لُبْسَ الهَلُوكِ ثيابَهَا تَراءَى لَكَ الدُّنيا بكَفٍّ ومِعصَمِ
١٧ وَتُومِضُ أحياناً بعينٍ مريضَةٍ وتَبسِمُ عَن مِثلِ الجُمانِ المُنظَّمِ
١٨ فأعْرَضْتَ عنها مُشمئزاً كأنّما سقَتْكَ مَدوفاً مِنْ سِمامٍ وعلقَمِ

---

(٧) ظالماً: حال، أي كنت ظالماً في ملامتي. أزرى: حطّ من الشّأن.
(٨) وازع: رادع.
(٩) مستبينة: ظاهرة بوضوح.
(١٠) لم تخف بريّاً: كناية عن العدالة. إشارة: رأي.
(١١) اللّبس: الشّبهة وعدم الوضوح.
(١٢) عاقبت: جعلت عاقبة أي لاحقاً وتالياً.
(١٤) المبين: الواضح.
(١٥) الزّيغ: البعد عن الهدى والحقّ. الأود: الاعوجاج. ثقاف: حديدة يقومّ بها الاعوجاج.
(١٦) الهلوك: البغيّ الفاجرة، وفاعل لبست، هو «الدنيا». يقول إنّ الدّنيا تتراءى للمرء بزنيتها لتخدعه كالمرأة البغيّ.
(١٧) تومض: تغمز بعينيها. الجمان: اللّؤلؤ.
(١٨) المدوف: الممزوج. السّمام: السّمّ.

١٩ وَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَجْبَالِهَا فـي مُمَنَّـعٍ — ومِنْ بحرِها في مُزْبِدِ المَوْجِ مُفعَمِ
٢٠ وَمَا زِلتَ تـوّاقـاً إلـى كُـلِّ غَـايَـةٍ — بَلَغْـتَ بهـا أعْلـى البِناءِ المُقَـدَّمِ
٢١ فلما أتاكَ المُلْكُ عفـواً ولـم يكُـنْ — لطـالـبِ دُنيـا بعْـدهُ مِـن تَكَلُّـمِ
٢٢ تَرَكْتَ الّذي يَفْنى وإنْ كَانَ مُونقـاً — وآثـرْتَ مـا يَبْقـى بـرأيٍ مُصَمِّـمِ
٢٣ وأضْرَرْتَ بِالفَانِي وَشَمَّـرْتَ للّـذي — أَمَامَكَ في يـومٍ مِـنَ الشّـرِّ مُظلِـمِ
٢٤ وَمَا لَـكَ إذْ كُنْـتَ الخليفـةَ مـانـعٌ — سوى الله مـن مـالٍ رغيبٍ ولا دمِ
٢٥ سَمَا لَـكَ هَـمٌّ فـي الفُـؤادِ مُـؤرّقٌ — بلغـتَ بِـهِ أعْلَـى المَعَـالـي بسُلّـمِ
٢٦ فَمَا بينَ شرْقِ الأرضِ والغَرْبِ كلّهَا — مُنادٍ يُنـادي مـن فَصيـحٍ وأعْجَـمِ
٢٧ يقـولُ أميـرَ المـؤمنيـنَ ظَلَمْتَنـي — بأخْـذٍ لِـدينـارٍ ولا أخْـذِ درْهَـمِ
٢٨ ولا بَسْطِ كفٍّ لامْرىءٍ غيرِ مُجْـرِمٍ — ولا السّفكِ منهُ ظالماً مِلءَ مِحْجَـمِ
٢٩ ولـو يَسْتطيـعُ المُسْلِمُـونَ لقَسّمـوا — لك الشَّطْرَ من أعمارِهِم غيـرَ نُـدَّمِ
٣٠ فعِشْـتَ بـهِ مَـا حَـجَّ لله راكـبٌ — مُغِـذٌّ مُطِيـفٌ بـالمَقَـامِ وزَمْـزَمِ

---

(١٩) المفعم: المملوء. يقول: أعرضت عن الدّنيا مع أنّك كنت ممتنعاً عن زخارفها ومحدقاً بلذّاتها.

(٢٠) التوّاق: الكثير الأشتياق.

(٢١) أي ليس بعد الملك مطلب لمن يسعى وراء أمور الدّنيا.

(٢٢) المونق: الحسن المعجب. آثرت: اخترت.

(٢٣) شمر للأمر: كان جادّاً فيه ومجتهداً.

(٢٤) رغيب: مرغوب فيه.

(٢٥) مؤرّق: مبعد للنّوم، مقلق.

(٢٦) الفصيح والأعجم: العربيّ وغير العربيّ.

(٢٨) بسط الكفّ: النّيل بالعقاب. المحجم: آلة الحجّام وهي كأس توضع على جسم المريض لتجذب الدّم الفاسد من جسم المريض.

(٢٩) ندّم: نادمون.

(٣٠) «ما» مصدريّة دالّة على الزّمن. مغذّ: مسرع.

٣١ فأرْبِحْ بها مِن صَفقةٍ لمُبايِعٍ   وأعْظِمْ بها أَعْظِمْ بها ثمَّ أعْظِمِ

— 118 —

لما قام عبد الله بن الزبير مطالباً بالخلافة سمّى نفسه العائذ وحبس محمد بن الحنيفة في خمسة عشر رجلاً من بني هاشم وقال: لتبايعُنّي أو لأحَرقنَّكم، فقال كثيّر: [من الطويل]

١ لَكَ الوَيلُ من عَينيْ خُبيبٍ وَثَابتٍ   وَحَمْزَةَ أشْباهِ الحِداء التّوائمِ
٢ تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنّكَ عائذٌ   بَلِ العَائذُ المَظْلُومُ في سِجْنِ عارِمِ
٣ وَمَنْ يَرَ هذا الشَّيخَ بالخَيْفِ من مِنًى   منَ النّاسِ يَعْلَمْ أنّهُ غيرُ ظالمِ
٤ وَصِيُّ النّبيِّ المُصطفى وابنُ عمّهِ   وفَكّاكُ أغْلالٍ وَقَاضِي مَغارِمِ
٥ أبى فَهْو لا يَشْرِي هُدًى بضَلالةٍ   ولا يتّقي في الله لَوْمَةَ لائِمِ
٦ ونحنُ بحمْدِ الله نَتْلُو كِتَابَهُ   حُلُولاً بهذا الخَيْفِ خَيْفِ المحارمِ
٧ بحَيْثُ الحَمَامُ آمِنُ الرَّوْعِ سَاكِنٌ   وحَيْثُ العَدُوُّ كالصَّديقِ المُسالمِ

---

(٣١) صيغة التعجب التي تكرّرت تفيد التّأكيد.

---

(١) خبيب وثابت وحمزة: أبناء عبد الله بن الزبير. الحداء: جمع نادر من حِدأة وهي طائر من أصيد الجوارح.

(٢) عائذ: لقب عبد الله بن الزبير لأنّه لاذ اي احتمى بالبيت الحرام. سجن عارم: هو السّجن الذي حُبس فيه محمّد بن الحنفيّة، على يد عبد الله بن الزبير.

(٣) الخَيف: ما انحدر من الجبل وارتفع عن مسيل الماء.

(٤) وصيّ النبيّ: هو لقب عليّ رضي الله عنه لاتصال نسبه بنسب رسول الله (صلعم) ولقب محمّد بن الحنفيّة، والمراد هنا ابن وصيّ النبيّ فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مكانه.

(٥) يشري: يشتري.

(٦) خيف المحارم: يعني الحرم ومناسكه.

(٧) حيث الحمام...: يعني مكّة.

٨ فمـا ورَقُ الدُّنيــا بِبَــاقٍ لأهْلــهِ ولا شِـدَّةُ البَلْـوَى بضَــرْبــةِ لازمِ
٩ فلا تجزَعَنْ مِـنْ شِـدَّةٍ إنَّ بَعْـدَهَـا فوارِجَ تَلْوِي بالخُطُوبِ العظـائـمِ

— 199 —

وقال: [من الطويل]

١ وَهَـاجِـرَةٍ يَـا عَـزَّ يَلْتَـفُّ حَـرُّهـا بِرُكْبَانِها مِنْ حَيْـثُ لَـيُّ العمـائـمِ
٢ نصَبْـتُ لهـا وَجْهِي وَعَـزَّةُ تَتَّقِـي بجِلبَابِهَا والسِّترِ لَفْحَ السّمائمِ (★)

— 120 —

وقال يمدح يزيد بن عبد الملك: [من الوافر]

١ عَرَفْـتُ الدّارَ قَـدْ أَقْـوَتْ بِـريـمٍ إلـى لأيٍ فَمَـدْفـعِ ذِي يَــدُومِ

★ ★ ★

٢ أميـرَ المُـؤمِنيــنَ إلَيْــكَ نَهْــوي علـى البُخْـتِ الصّلادِمِ والعَجـومِ

---

(٨) ورق الدّنيا: رونقها. ضربة لازم: يريد ضربة لازب أي ثابت وقد أبدلت الباء ميماً لتقارب المخارج.

(٩) تلوي بالخطوب: تذهب بها وتصرفها.

---

(١) الهاجرة: اشتداد الحرّ عند منتصف النّهار. ليّ: من لوى بمعنى طوى.

(٢) السّمائم: جمع سموم وهو الرّيح الباردة.

(★) وقد أورد ابن جنّيّ (٣ : ١٣٢ ـ ب) على هذا الوزن والرّويّ قوله:

وللغيـد أعنـاقـاً وللبيـض كـالـدمـى يمشّيـن مشـي الخيـل فـتـخ المعـاصـم

---

(١) ريم: وادٍ من بلاد مزينة. لأي ويدوم: واديان من بلاد مزنية يدفعان في العقيق.

(٢) البخت: الإبل الخرسانيّة. الصّلادم: جمع صلدم وهو الشّديد الحافر والخفّ من الإبل. العجوم: النّاقة القويّة على السّير.

٣ كأنَّ سَوالفَ النَّجُدَاتِ منها تَقطّرُ بالأرَنْدجِ والعَصيم

٤ إذا اتّخذَتْ وُجُوهُ القَوْمِ نَصباً أجيجَ الواهِجَاتِ مِنَ السَّمُوم

٥ فكَمْ غَادرْنَ دُونَك مِن جهيضٍ ومِنْ نَعْلٍ مُطَرَّحةٍ جَذيم

٦ يَزُرْنَ عَلى تَنَائيهِ يَزيداً بأكْنَافِ المُوقَّرِ والرَّقيم

٧ تُهَنِّئُهُ الوُفُودُ إذا أتَوْهُ بنَصْرِ الله والمُلْكِ العَظيم

– 121 –

وقال كُثيّر يمدح: [من المنسرح]

١ كَأنَّ فَاهَا لِمَنْ تَوَسَّنَها أوْ هَكَذَا مَوْهِناً ولم تَنَم

٢ بَيضاءُ مِنْ عُسْلِ ذَرْوَةٍ ضَرَبٍ شَجَّتْ بِمَاءِ الفَلاةِ مِنْ عَرِم

٣ دَعْ عَنْكَ سَلْمَى إذْ فَاتَ مَطْلَبُها وَاذْكُرْ خَلِيلَيْكَ مِنْ بني الحَكَم

٤ مَا أعْطَيَاني ولا سَألْتُهُما إلاّ وَإنّي لحاجِزي كَرَمي

---

(٣) النَّجُدات من الإبل: القويّة الشّجاعة. الأرندج: الجلود السّود. العصيم: القطران.

(٤) أجيج: التهاب. الواهجات: المشتعلات، المتّقدات. نصباً: من النصب بمعنى البلوى والشرّ. السّموم: الرياح الباردة.

(٥) الجهيض: ولد النّاقة المولود قبل أن يستبين خلقه. جذيم: مقطوعة.

(٦) الموقّر: موضع بنواحي البلقاء من دمشق. الرّقيم: من أطراف الشّام حيث كان ينزل يزيد بن عبد الملك.

---

(١) توسّنها: تنوّمها أتاها وهي نائمة. موهناً: ليلاً.

(٢) العسل: جمع عَسل في لغة هذيل وخزاعة وكنانة. ذروة: وادٍ ينحدر من حرّة النّار على نخل. الضّرَب: العسل الأبيض الغليظ يذكّر ويؤنّث. شجّت: مزجت. العرم: وادٍ ينحدر من ينبع.

(٣) فات مطلبها: صعب منالها.

(٤) حاجزي كرمي: كرمي يمنعني السّؤال.

٥ إنّي مَتَى لا يَكُنْ نَوَالُهُما عِنْدي بِمَا قَد فعَلْتُ أحْتَشِمِ
٦ مُبْدِي الرّضا عَنْهُما ومُنْصرِفٌ عَن بَعْضِ مَا لو فعَلْتُ لم أُلَمِ
٧ لا أنْزُرُ النّائِلَ الخليلَ إذا ما اعْتَلَّ نَزْرُ الظّؤُور لم تَرِمِ

— 122 —

وقال: [من الخفيف]

١ يَا لَقَوْمِي لحَبْلِكَ المَصرومِ يومَ شَوْطى وأنتَ غيرُ مُليمِ
٢ ورُسُومُ الدّيارِ تُعرَفُ مِنها بالمَلاَ بَيْنَ تَغْلَمَيْنِ فَرِيمِ
٣ غَشِيَ الرَّكْبُ رَبْعَها فَعجِبْنَا مِن بِلاه وَمَا المَدَى بمقيمِ
٤ كَحَواشِي الرِداءِ قَدْ مُحَّ مِنْهُ بَعد حُسنٍ عَصَائبُ التّسْهِيمِ
٥ بَدّلَ السَّفْحَ في اليَلاَبِنِ مِنْهَا كلُّ أدْماءَ مُرْشِحٍ وظَلِيمِ
٦ قَدْ أَرُوعُ الخليلَ بالصّرْمِ منّي لَمْ يَخَفْهُ وقِلّةِ التّكْلِيمِ

---

(٥) يقول إنّي أغضب وآنف أن يكون لهما فضلٌ عليّ ولا أجازيهما عليه.

(٧) لا أنزر النّائل الخليل: لا ألحّ عليه بالمسألة. يقال: نزرته إذا ألححت عليه. الظؤور: العاطفة على أولادها. لم ترِم: لم ترأم، وقد حذف الهمزة ضرورة. يقول إنّ الإلحاح في حلب النّاقة ذات الأولاد يجعلها تنصرف عن أولادها ضربه مثلاً لسوء الإلحاح في طلب معونة الصّديق.

---

(١) لقومي: اللام المفتوحة للاستغاثة والمكسورة للتّعجّب. شوطى: من عقيق المدينة وقيل من حرّة بني سُليم. غير مليم: لم تأت شيئاً تلام عليه.

(٢) الملا: موضع بعينه. تغلمان: جبلان من بلاد فزارة قبل ريم. ريم: وادٍ قرب المدينة.

(٣) غشي المكان: أتاه. مقيم: طويل. يعجب من بلاء الرّبع خلال فترةٍ قصيرة من الزّمن.

(٤) محّ: بلي. التّسهيم: التخطيط في الرّداء أو البرد.

(٥) اليلابن: وادٍ بين حرّة بني سُليم وجبال تهامة. الأدماء: الظّبية الطّويلة العنق البيضاء البطن السمراء الظّهر، وقيل بيضاء يعلوها جُدَدٌ فيها غبرة. المُرشِح: الظّبية التي يخالطها ولدها ويسعى خلفها. الظّليم: ذكر النّعام.

(٦) أروع: أفزع. الصّرْم: القطيعة، وقلّة التكلّم: معطوف على «الصّرْم».

وقال يهجو نصيّباً الشاعر : [من الطويل]

١ رَأَيتُ أبا الحجناءِ في النَّاسِ جَائِـزاً ... وَلَوْنُ أبي الحَجْنـاء لـونُ البَهَـائِـمِ

٢ تَـرَاهُ على مـا لاَحَـهُ مِـنْ سَـوَادِهِ ... وإن كَانَ مظْلوماً لَـهُ وَجْـهُ ظَـالـمِ

(١) أبو الحجناء : كنية نصيّب ، وكان أسود اللّون .

(٢) قيل لنصيّب عندما هجاه كثيّر بهذا الشّعر : ألا تجيب قائله ، فأبى وقال : ما وصفني إلا بالسّواد وقد صدق .

قافية النون

— 124 —

وقال: [من الوافر]

١ بَرِئتُ إلى الإلـهِ مِـنِ ابـنِ أرْوَى   ومِـنْ قَـولِ الخـوارِجِ أجمَعينـا
٢ ومِـن عُمَـرٍ بَـرِئْـتُ ومـن عَتِيـقٍ   غَـدَاةَ دُعـيَ أميـرَ المـؤمنينـا

— 125 —

وقال: [من الخفيف]

١ خَيْرُ إخْوانِـكَ المُشـارِكُ فـي الأمْـ   ـرِ وأَينَ الشَّـرِيـكُ فـي الأمْـرِ أيْنـا
٢ ألّذي إن حَضَـرْتَ سَـرَّك فـي الحَـ   ـيّ وإنْ غِبْـتَ كـانَ أُذنـاً وعَيْنـا
٣ ذاك مِثْـلُ الحُسـامِ أخلَصَـهُ القَيْـ   ـنُ جلاهُ الجَلاّءُ فَـازْدَادَ زَيْنـا

---

(١) برئت منه: تخلّصت منه وتخلّيت عنه. ابن أروى: عثمان بن عفّان.

(٢) عتيق: أبو بكر الصّدّيق.

---

(١) أيْنا: أيْنَ مكرّرة للتّوكيد.

(٢) أذناً وعيناً: لك وليس عليك.

(٣) القين: الحدّاد. الزّين: الجمال. الجلاء: الذي يزيل الصدأ.

٤ أَنْـتَ فـي معشـرٍ إذا غِبـتَ عَنْهُـمْ بـدّلـوا كـلَّ مـا يـزينُـك شَينـا
٥ وَإِذَا مـا رَأَوْكَ قَـالُـوا جَميعـاً أَنْـتَ مِـن أكْـرَمِ الرِّجـالِ عَلَينـا

— 126 —

وقال: [من الطويل]

١ أَهَاجَـكَ مَغْنـى دِمْنـةٍ وَمَسَـاكِـنُ خلَتْ وَعَفَاهَا المُعْصراتُ السَّوَافِـنُ
٢ دِيَارُ ابنَةِ الضَّمْرِيّ إذ حَبْلُ وَصْلِها مَتينٌ وإذ مَعْـروفُها لَـكَ عـاهِـنُ
٣ تقولُ ابنةُ الضمريّ مَـالَـكَ شَـاحبـاً وقـد تَنْبري لِلْعَينِ فيك المَحَاسِـنُ
٤ جفوتَ فمـا تهـوى حـديثَـكَ أيّـمٌ ولا تجتديكَ الآنساتُ الحـواضـنُ
٥ فَقُلْتُ لَهَا بَلْ أَنْـتِ حَنّـةُ حَـوْقـلٍ جَرَى بالفِرَى بيني وبينَـكِ طـابـنُ
٦ فَصَدّقتِـهِ فـي كُـلِّ حـقٍّ وبـاطـلٍ أتـاكِ بـه نَـمُّ الأَحَـاديـثِ خـائـنُ
٧ رَأَتْني كَـأَنْضَـاءِ اللّجـامِ وبعـلُهـا من المَلْءِ أَبْزَى عَـاجـزٌ مُتَبَـاطِـنُ
٨ رَأَتْ رَجُلاً أَوْدَى السِّفـارُ بـوجْهِـهِ فَلَـمْ يَبْـقَ إلاّ مَنْظَـرٌ وجنَـاجِـنُ

---

(٤) الشَين: العيب.

---

(١) عفاها: محاها. المعصرات: السّحب الممطرة. السّوافن: التي تمسح وجه الأرض.
(٢) ابنة الضمريّ: صاحبة الشّاعر من بني ضـمـرة. العاهن: الحاضر الثّابت والمقيم.
(٣) تنبري: تعترض.
(٤) الأيّم: المرأة التي لا زوج لها بكراً كانت أم مطلّقة أم أرملة. تجتديك: تطلب ما عندك.
(٥) الحنّة: االزّوجة. الحوقل: المسنّ أو الذي عجز عـن الجماع وانصرف عن النّساء. الفرى: جمع فرية، وهي القول المفترى المختلق. طابن: رفيق داهٍ خبّ عالم به.
(٦) نمّ الأحاديث: الحديث النّمّام المفسد المفتن.
(٧) الأنضاء: جمع نِضو وهو حديدة اللّجام. من الملء: من الامتلاء. الأبزى: الذي به انحناء بالظّهر عند العجز. متباطن: مندفع البطن.
(٨) السّفار: السّفر. جناجن: عظام الصّدر، وقيل رؤوس الأضلاع.

٩ فـإنْ أكُ مَعْـرُوقَ العِظَـامِ فـإنّنـي إذا وُزِنَ الأَقْـوَامُ بـالقَـوْمِ وازِنُ
١٠ مَتَى تَحْسِروا عَنّي العَمَامَةَ تَبْصُـرُوا جَميـلَ المُحَيَّـا أغفلَتْـهُ الدّواهِـنُ
١١ يَـرُوقُ العُيُـونَ النَّـاظِـرَاتِ كـأنَّـهُ هِـرَقْلِـيٌّ وزْنٍ أحمـرُ التِّبْـرِ وازِنُ
١٢ نِسَـاءُ الأَخِلاَّءِ المُصَـافِيـنَ مَحْـرَمٌ علـيَّ وَجَـارَاتُ البُيُـوتِ كنـائِـنُ
١٣ وَإنِّي لِمَا استـوْدَعْتِنـي مِـن أمـانـةٍ إذا ضَاعَـتِ الأَسْـرارُ للسّـرِّ دافِـنُ
١٤ وَمَا زِلْتُ من ليلي لدُنْ طرَّ شاربـي إلى اليومِ أَخـفِـي حُبَّهـا وأُداجِـنُ
١٥ وَأَحْمِـلُ فـي ليلـى لِقَـوْمٍ ضَغينَـةً وتُحْمَلُ في ليلـى علـيَّ الضَّغـائِـنُ

— 127 —

وقال كثير : [من الطويل]

١ أَبَـائِنَـةٌ سُعْـدى؟ نَعَـمْ ستَبيـنُ كما انبَتَّ مِن حَبْـلِ القَرينِ قرينُ
٢ أإنْ زُمَّ أَجْمَـالٌ وَفَـارَقَ جيـرةٌ وَصاحَ غُرابُ البَينِ أنـتَ حـزيـنُ
٣ كأنَّـكَ لـم تَسْمَـعْ ولـم تَـرَ قَبلَهـا تَفَـرُّقَ أُلاّفٍ لَهُـنَّ حَنيـنُ
٤ حَنِيـنٌ إلـى أُلاّفِهـنَّ وقـدْ بَـدا لهُـنَّ مِـن الشّـكِّ الغَـداةَ يَقيـنُ

---

(٩) معروق العظام: قد انحسر لحمه عن عظمه. وازن: راجح.
(١٠) تحسّروا: تكشفوا. الدّواهن: ما يُدهن به الوجه ويُطلى.
(١١) هرقلي: صفة للدينار من صنع هرقل القيصر اليوناني. التبر: الذهب الخالص. وازن: ثقيل الوزن.
(١٢) كنائن،: جمع كنّة وهي امرأة الابن أو الأخ.
(١٤) طرّ شاربي: نبـت. أداجن: أداري وأحسن المداراة.
(١٥) الضغينة: الحقد والعداوة.

---

(١) بائنة: مبتعدة، راحلة. انبتّ: انقطع. القـرين: البعير المقرون بآخر.
(٢) زُمّ: جُعل لها أزمّـة.
(٣) الألاّف: الإبل التي تتآلف وتتآنس.

٥ وهاجَ الهوى أَظْعَانُ عزّةَ غُدوَةً ... وَقَدْ جَعَلَتْ أقرانُهُنَّ تَبينُ

٦ فلَمّا استَقلّتْ عن مَناخٍ جِمالُها ... وَأَسْفَرْنَ بالأَحْمَالِ قُلْتُ سَفينُ

٧ تَأطَّرنَ في الميناءِ ثُمَّ تَركْنَهُ ... وقد لاحَ مِنْ أثقالِهنَّ شُحونُ

٨ كأنّي وَقَدْ نُكِبْنَ بَرقَةَ واسطٍ ... وَخَلّفْنَ أحواضَ النُّجَيلِ طَعينُ

٩ فأتبعْتُهُم عَيْنيَّ حتّى تلاحَمَتْ ... عليها قِنانٌ مِنْ خَفَيْنَنَ جونُ

١٠ فَقَدْ حَالَ مِنْ حزْمِ الحَمَاتينِ دونهم ... وأَعْرَضَ مِنْ وَادِي البُليدِ شُجونُ

١١ وَفَاتَتْكَ عِيرُ الحَيِّ لمّا تَقَلَّبَتْ ... ظُهورٌ بهمْ مِن يَنْبعٍ وبُطونُ

١٢ وقد حال من رَضْوى وَضَيْبر دُونَهُمْ ... شَمارِيخُ، للأَرْوَى بِهِنَّ حُصُونُ

١٣ على الكُمْتِ أو أَشْبَاهِهَا غَيْرَ أنّها ... صُهابيّةٌ حُمْرُ الدُّفوفِ وَجُونُ

---

(٥) الأظعان: الهوادج. الأقران: جمع قرن وهو الحبل.

(٦) استقلّت عن مناخ: كناية عن استعدادها للرحيل. أسفرن: سافرن. سفين: جمع سفينة.

(٧) تأطّرن: أقمن. شحون: مصدر من فعل شحن.

(٨) البرقة: الأرض الغليظة التي اختلطت فيها الحجارة والرّمال ونحوها. واسط: وادٍ بالحجاز. النّجيل: موضع لا يزال معروفاً بهذا الاسم قرب ينبع بينه وبين الصفراء. طعين: أصيب بطعنة أو بمرض الطّاعون.

(٩) تلاحمت: التقت. قنان: جمع قنّة وهي رأس الجبل. خفينن: وادٍ أو قرية بين ينبع والمدينة. جون: سود وبيض. يقول إنّ رؤوس الجبال تلاقت امام عينيه فحجبت عنه رؤية الأظعان.

(١٠) الحزم: مثل الحزن وهي الأرض الغليظة. الحماتان: موضع بنواحي المدينة، والحمايان موضع قرب البليدة يضاف إليه اليوم حزم الحمايين، كما قال السمهودي (وفاء ٢: ٢٩٥) وأورده في موضع آخر بالتاء. بليد: قرية قرب المدينة بوادٍ يدفع في ينبع. الشّجون: مسايل الأودية.

(١١) العير: القافلة من الجمال.

(١٢) رضوى: جبل بالحجاز. ضيبر: جبل في الحجاز من صدر نخلي يدفع في ينبع. شماريخ: جمع شمراخ وهو الشنخوب أي قمّة الجبل. الأروى: أنثى اللوعل.

(١٣) صهابية: صهباء اللّون أو منسوبة الى الفحل صهاب. **الدّفوف**: الجوانب. الجون: السّود والبيض، من الأضداد.

١٤ وَأَعْرَضَ ركبٌ من عَبَاثِرِ دُوْنَهُمْ ... وَمِنْ حَدِّ رَضْوَى المكْفهِرِّ جبينُ
١٥ فأخْلَفْنَ مِيعَادِي وَخُنَّ أمانتي ... وَلَيْسَ لِمَنْ خَانَ الأمانةَ دينُ
١٦ وَأَوْرَثْنَهُ نأياً فأضحى كأنّه ... مُخالِطُهُ يَوْمَ السُّرَيرِ جُنونُ
١٧ كَذَبْنَ صَفَاءَ الوُدِّ يَوْمَ شَنوكَةٍ ... وأدرَكَني مِن عَهْدِهِنَّ وُهونُ
١٨ وإنَّ خَليلاً يُحْدِثُ الصُّرم كلّما ... نَأَيتَ وشَطّتْ دارُهُ لَظَنونُ
١٩ وَطَافَ خَيَالُ الحَاجِبِيّةِ موْهِناً ... وَمَرٌّ وقَرْنٌ دُونَهَا وَرَنينُ
٢٠ وعاذلةٍ تَرْجُو لَيَالي نَجَهْتُهَا ... بأَنْ لَيْسَ عندي للعواذلِ لينُ
٢١ تَلُومُ امرءاً في عنفوانِ شبابهِ ... وَلِلتَّرْكِ أشْياعَ الصَّبابةِ حينُ
٢٢ وما شعَرَتْ أنَّ الصِّبا إذْ تلومُني ... عَلى عَهْدِ عَادٍ للشّبابِ خَدينُ
٢٣ وَأنّي وَلَوْ دَامَا لأعلمُ أنَّني ... لحفرةِ موتٍ مَرَّةً لدفينُ
٢٤ وأنّيَ لم أعْلَمْ ولم أجدِ الصِّبا ... يُلائِمُهُ إلا الشَّبابَ قرينُ
٢٥ وأنَّ بياضَ الرَّأسِ يُعقِبُ بالنُّهى ... ولكنَّ أطلالَ الشَّبابِ تَزينُ

(١٤) عباثر: نقب منحدر من جبل جهنية يسلك فيه من يخرج من إضم يريد ينبع. المكفهرّ: المظلم.

(١٦) خالطه: أصابه. السُّرير: موضع بقرب الجار وهي فرضة السّفن القادمة من مصر والحبشة للسّفر الى المدينة.

(١٧) شنوكة: بين العذيب والجار على ستّة عشر ميلاً من الجار واثنين وثلاثين من ينبع. الوهون: التّعب والضّعف.

(١٨) الصّرم: القطيعة. نأيت: بعدت. شطّت داره: بعُدَت. الظّنون: السّيّء الظّنّ بالنّاس.

(١٩) الحاجبيّة: عزّة من بني حاجب. موهناً: ليلاً. مرّ: يعني مرّ الظّهران. القرن: الجبل الصغير. رنين: اسم موضع.

(٢٠) اللّيان: هنا، اللّيونة في الموقف. نجهتها: قابلتها بما تكره.

(٢١) يعني أنّ ترك الصّبابة لم يحن موعده بعد.

(٢٢) خدين: صديق.، أي أنّ الصّبا كان رفيق الشّباب منذ عهد عاد.

(٢٣) داما: أي الصّبا والشّباب.

(٢٤) القرين: الصديق المخالط، وقرين فاعل يلائم.

(٢٥) يعقب: يأتي بعد، يخلف. النّهى: العقل والإدراك. أطلال الشّباب: بقاياه.

٢٦ لَعَمْرِي لقد شَقّتْ عليَّ مريرةٌ وَدَارٌ أحَلّتْكِ البُوَيْبَ شَطُونُ

— 128 —

وقال كثيّر يرثي عمر بن عبد العزيز(★) : [من الطويل]

١ لَقَدْ كُنْتَ للمَظْلوم عِزّاً وناصراً إذا ما تَعَيّا في الأمورِ حُصُونُها

٢ كَمَا كَانَ حِصْناً لا يُرامُ مُمَنَّعاً بأشْبالِ أُسْدٍ لا يُرامُ عَرينُها

٣ وَلِيتَ فَمَا شانَتْكَ فينا ولايةٌ ولا أنْتَ فيها كنتَ ممّنْ يَشينها

٤ فعَفّتْ عن الأموالِ نفسُكَ رَغْبَةً وأكْرِمْ بنفسٍ عند ذاك تَصُونها

٥ وَعَطّلْتَها مِنْ بَعْدِ ذلك كالّذي نَهى نَفْسَهُ أنْ خالَفَتْهُ يُهينها

٦ كدَحْتَ لها كَدْحَ امرىءٍ مُتحرّجٍ قدَ أيقنَ أنَّ الله سَوفَ يَدينُها

---

(٢٦) المريرة: العزيمة. البويب: مدخل أهل الحجاز الى مصر. شطون: بعيدة وهي نعت « دار ».

وقد ورد في المصادر أبيات على وزن هذه القصيدة ورويها وهي:

١ ـ ألا يا ضعيف الحبل مِن أم مالك بقيت وزادت في قواك متونُ

٢ ـ وقد جعل الأعداء ينتقصوننا وتطمعُ فينا ألْسُنٌ وعيونُ

٣ ـ ألا إنّما ليلى عصا خيزرانةٍ إذا غمزوها بالأكُفّ تلينُ

٤ ـ إذا خدرَتْ رجلي ذكرتكِ أشتفي بذكركِ من مذل بها فيهونُ

٥ ـ تَمَتّعْ بها ما ساعفتكَ ولا تكنْ على شجَنٍ في البَيْنِ حين تبينُ

٦ ـ وإن هي أعطتكَ اللّيان فإنّها لآخرَ من خلاّنها ستلينُ

٧ ـ وإن حلفتْ لا ينقضُ النأيُ عهدها فليس لمخضوبِ البنانِ يمينُ

(★) توفي عمر بن عبد العزيز لستّ بقين من رجب سنة ١٠١ هـ، وهذا يحدد تاريخ هذه القصيدة على وجه التقريب.

(١) تعيّا: عانى وقاسى. الحصون: جمع حصن، وهو كل مكان ممتنع لا يرام.

(٢) « عرينها »: اسم كان، أي كان عرينها حصناً منيعاً.

(٣) شانتك: عابتك.

(٤) رغبةً: حرصاً.

(٥) عطّل نفسه: أزال عنها الحليّ وهي كناية عن مباهج الدنيا.

(٦) كدح: تحمّل المشقّة. المتحرّج: المتألّم.

٧ فَمَا عَابَ مِنْ شيءٍ عليهِ فإنَّهُ قد اسْتَيْقَنَتْ فيه نفوسٌ يقينها
٨ فَعِشْتَ حَمِيداً في البريّة مُقْسِطاً تؤدّي إليها حَقَّها ما تخونها
٩ وَمُتَّ فَقِيداً فَهْيَ تَبْكِي بعَوْلَةٍ عليكَ وَحُزْنٍ ، ما تجفُّ عيونها
١٠ إذا ما بدا شَجْواً حَمَامٌ مُغَرّداً على أَثْلَةٍ خَضْراءَ دانٍ غصونها
١١ بَكَتْ عُمَرَ الخَيْراتِ عيني بعَبْرةٍ على إثْرِ أُخْرَى تَسْتَهِلُّ شُؤونها
١٢ تَذَكَّرْتُ أيّاماً خَلَتْ وَلياليا بها الأَمْنُ فيها العَدْلُ كانت تكونها
١٣ فإنْ تُصْبِحِ الدُّنيا تَغَيّرَ صَفْوُها فَحالتْ وأمْسَتْ وهي غَثٌّ سمينها
١٤ فقد غَنِيتَ إذْ كُنْتَ فيها رخيّةً ولكنَّها قِدْماً كَثيرٌ فنونها
١٥ فَلَو كَانَ ذَاقَ الموتَ غَيْرُكَ ، لَمْ تَجدْ سَخِيّاً بها ـ ما عِشْتَ فيها ـ يمونها
١٦ فَمَنْ لِلْيتامى والمَسَاكينِ بَعْدَهُ وَأرمَلَةٍ باتَتْ شديداً أنينُها
١٧ وَلَيْسَ بها سُقْمٌ سوى الجُوعِ لم تَجِدْ على جُوعِها من بَعْدِهَا مَن يُعينها
١٨ وكنتَ لها غيثاً مَريعاً ومَرْتعاً كما في غمارِ البَحْرِ أمْرَعَ نونها
١٩ فإنْ كان للدُّنْيا زَوَالٌ وأهلِها ـ لعدل إذا ولّى ـ فقد حان حينها

---

(٨) المقسط : العادل . البريّة : النّاس .
(٩) عولة : بكاء وعويل .
(١٠) الشّجو : الحزن . الأثلة : نوع من الشّجر الصّلب يكثر قرب المياه في الأراضي الرّمليّة . دان : قريب .
(١١) تستهلّ : تبكي . الشّؤون : مجاري الدّموع .
(١٢) تكونها : من كان ، هنا فعل ماض لازم تامّ .
(١٣) أصبح السّمين غثّاً : صار الجيّد رديئاً .
(١٤) رخيّة : ناعمة وواسعة العيش . فنونها : أحوالها .
(١٥) يمونها : يبذل المؤونة لها ، ويسدّ حاجتها .
(١٨) المَريع : من المرعى ما أخصب وكان ناجحاً . النّون : السمك . أمرع : شبع من المرعى على سبيل المجاز .
(١٩) أي إذا كان موت الخليفة عدلاً فقد آن أوانه .

٢٠ أقامـتْ لكـم دُنْيـا وزال رَخـاؤهـا	فلا خَيْـرَ فـي دُنيَـا إذا زالَ لـينهـا
٢١ بَكَتْهُ الضَّواحي واقشعـرَّتْ لـفَقْـدِهِ	بِحُـزْنٍ عليها، سَهْلُهَـا وحُـزُونُهـا
٢٢ فكـلُّ بلادٍ نَـالَهَـا عَـدْلُ حُكْمِـهِ	شَـدِيـدٌ إليهـا شَـوْقُهـا وحنينُهـا
٢٣ فلمّـا بَكَتْـهُ الصَّـالِحَـاتُ بعـدلـه	وَمَـا فَـاتَهَـا مِنْـهُ، بكتْـهُ بُطـونهـا
٢٤ ولما اقشعرَّتْ حِيـن ولّى وأيْقَنَـتْ	لقـد زَالَ مِنْهَـا أُنْسُهَـا وأمينهـا
٢٥ وَقَالَتْ لَـهُ أهلاً وسهلاً وأشْـرَقَـتْ	بنـورٍ لـه مستشـرفـاتٍ بُطُـونُهـا
٢٦ فإن أشْرَقَتْ منها بَطـونٌ وأبْشـرَتْ	لـه إذْ ثَـوَى فيهـا مقيمـاً رهينهـا
٢٧ وقـد زَانَهَـا زينـاً لـه وَكَـرامَـةً	كَمَا كَانَ فـي ظَهْـرِ البلادِ يَـزينهـا
٢٨ لقد ضُمّنَتْهُ حُفْـرةٌ طَـابَ نَشْـرُهَـا	وَطَـابَ جنينـاً ضُمّنَتْـهُ جنينُهـا
٢٩ سقى رَبُّنا مِنْ دَيْـرِ سمعَـانَ حُفْـرَةً	بها عُمَـرُ الخيْـراتِ رَهْنـاً دَفينهـا
٣٠ صَوابِحَ مِن مُـزْنٍ ثِقـالٍ غَـواديـاً	دَوَالِحَ دُهْماً مـاخِضـاتٍ دُجـونهـا

(٢٠) أقامت: بقيت واستمرّت. اللّين: الرّخاء وسعة العيش.
(٢١) الضّواحي: نواحي البلاد البارزة يقابلها «البطون» في البيت ٢٣.
(٢٢) «اليها»: لعلّ صوابها «اليه».
(٢٣) الصّالحات: البلاد التي صَلُحت بعدله. البطون: المناطق غير البارزة.
(٢٤) اقشعرّت: ارتعدت.
(٢٥) البطون: باطن الأرض التي دفن فيها. وهي غير «بطونها» في البيت ٢٣.
(٢٦) ثوى: أقام. رهينها: سجين لديها.
(٢٨) النّشر: الرّائحة. الجنين: الدّفين. جنينها: قبرها.
(٢٩) دير سمعان: دير بضواحي دمشق وفيه دفن عمر.
(٣٠) الصّوابح: السّحب التي تأتي صباحاً وهي مفعول به لفعل «سقى» في البيت السابق. دوالح: ممتلئة. دهماً: سوداء لشدّة تكاثفها بالماء. ماخضات: من مخض الشيء إذا حرّكه ليستخرج ما فيه من خير. الدّجون: الدّجن، المطر الكثير.

وقال يمدح عبد الملك بن مروان:(★) : [من الطويل]

١ سَيَأْتي أميرَ المؤمنينَ ودونَهُ ... جماهيرُ حِسْمى قُورُها وحُزُونُها
٢ تُجَاوِبُ أَصْدائي بِكُلِّ قَصيدةٍ ... من الشعر مُهْدَاةٍ لمن لا يُهينها
٣ أُفخِّمُ فيها آلَ مروانَ إنّهُمْ ... إذا عمَّ خوفٌ عبدَ شمسٍ حُصونها
٤ أُسُودٌ بوادي ذي حَمَاسٍ خوادرٌ ... حَوانٍ على الأَشْبَال محمىً عرينها
٥ إذا طَلَبُوا أعلى المكارمِ أدركوا ... بِمَا أَدْرَكَتْ أَحْسَابُ قومٍ ودينها
٦ لقد جهَد الأعداءُ فوْتَكَ جُهدَهمْ ... وَضَافَتْكَ أبكارُ الخُطُوبِ وَعُونها
٧ فَمَا وَجَدُوا فيكَ ابنَ مَرْوَان سقْطَةً ... ولا جَهْلَةً في مأزِقٍ تستكينُها
٨ وَلَكِنْ بَلَوْا في الجِدِّ منك ضريبَةً ... بَعيداً ثراها مُسْمَهِرّاً وجينُها

★ أورد الهجري هذه الأبيات (النسخة الهنديّة: ٣٣٦) وقال إنّها من إنشاد الأزرقي لكثيّر:

ولي حاجةٌ في آل عوزة لا أرى ... لساني ولا طولَ المقام يبينُها
وما بيَ عيٌّ أن أُبيِّنَ حاجتي ... ولا بيَ والرحمن ما عزّ هونُها
ولكنّ لي نفساً أبتْ ليس عندها ... عزاءٌ ولا مجلودُ صبرٍ يُعينُها
تهابُ اقتضابَ الوصل لم يكُ قبلَهُ ... قوىً من حبالٍ غيرِ رثّ متينُها

(١) الجمهور: الرمل المتراكم. حسمى: أرض بين أيلة وجانب التيه الذي يلي أيلة وبين أرض عذرة. القور: جمع قارّة، جبال صغيرة منفردة. الحزون: الأراضي الغليظة.

(٢) يريد أنّه يقدّر الشعر حقّ قدره.

(٣) أفخّم: أعظّم.

(٤) ذو حماس: مأسدة. خوادر: يسكنون في عرينهم. «محمى» ربّما كانت «يُحمى» للمجهول.

(٥) دينها: فاعل «أدركت» وهي معطوفة على «أحساب».

(٦) فوتك: سَبْقك والتغلّب عليك. ضافتك: حلّت بك. أبكار الخطوب: المصائب التي تحلّ للمرّة الأولى. عونها: المصائب التي طال تكرارها.

(٧) السّقطة: الزّلّة والعثرة. تستكينها: تستكين لها وتخضع.

(٨) بلوا: اختبروا. الضّريبة: الطّبيعة. بعيداً ثراها: أراد أنّها بعيدة الغور. المسمهرّ: الغليظ الصّلب. الوجين: الأرض الغليظة. يقول: إنّهم وجدوا لديه الإرادة الصّلبة كالأرض الغليظة.

٩ إذا جـاوَزوا معـرُوفَهـا أَسْلَمَتْهُــمُ إلى غَمْرَةٍ لا يَنْظُـرُ العـوْمَ نـونُهـا
١٠ إذَا مَا أَراد الغزْو لـم تثْـنِ عـزْمَـهُ حَصَـانٌ عليهـا نَظْـمُ دُرّ يَـزينُهـا
١١ نهَتْـهُ فَلَمّـا لـم تَـرَ النّهْـيَ عَـاقَـهُ بكَتْ فَبَكى مِمَّـا شَجَـاهَـا قطينُها
١٢ وَلَـمْ يَثْنِـه عِنـدَ الصَّبـابـةِ نَهْيُهـا غَدَاةَ اسْتهلَّتْ بالـدُّمـوعِ شـؤونُها
١٣ ولكِـنْ مَضَــى ذو مِـرَّةٍ مُتثبِّــتٌ لسُنّــةِ حــقٍ واضــحٍ يسْتبينُهـا
١٤ أشمُّ عَمِيـمٌ فـي العَمَـامـةِ أظهـرتْ حـزامتُــهُ أَجْلادَ جســمٍ يُعينُهـا
١٥ وصـدقَ مـواعيـدٍ إذا قيـل إنّمـا يُصَـدِّقُ مـوعـودَ المغيـبِ يقينُها
١٦ وَهُمْ يَضْرِبُون الصَفَّ حتَّـى يُثبِّتـوا وهم يُرْجِعُون الخَيلَ جُمّاً قـرونهـا
١٧ فَتىً أَخْلصَتْهُ الحَرْبُ حتَّـى تقلَّبـتْ كما أَخْلَصَتْ عَضْباً بضربٍ قيونهـا

---

(٩) الضّمير في «معروفها» يعود الى الضريبة . الغمرة: الماء الغامر. ينظر: ينتظر. العوم: السّباحة. نونها: سمكها.

(١٠) الحصان: المرأة العفيفة. والقصّة المتّصلة بهذا البيت شهيرة حين خرجت عاتكة مع حشمها في وداع عبد الملك عندما خرج لغزو مصعب، فلما ودّعته بكت وبكى حشمها معها فقال عبد الملك: قاتل الله كثيّراً كأنّه يرى يومنا هذا حيث يقــول... البيت العاشر وما يليه. وإذا صحّت هذه القصّة دلّت على أنّ القصيدة قبل سنة ٧٠ هـ بقليل وهو العـام الذي خرج فيه عبد الملك لقتال مصعب.

(١١) شجاها: أحزنها. قطينها: الخدم والأتباع.

(١٢) يثنه: يمنعـه. شؤونها: مجاري دموعها.

(١٣) المرّة: الإحكام في الرأي. سُنّة: طريق. يستبينها:، يراها واضحة.

(١٤) العميم: الطّويـل من الرّجال. أجلاد الجسـم: شدّته وقوّته. حزامتــه: موضع الحزام من الجسم.

(١٦) يثبتوا: أي حتّى يثبّتوا إرادتهم. جماً قرونها: أي لا قرون لها والقرون كناية عن الفرسان.

(١٧) أخلصته: كشفت جوهره الخالص. العضب: السّيف القاطع. القيون: صانعو السّيوف من الحدّادين.

وقال أيضاً يمدح عبد الملك بن مروان: [من الطويل]

١ أأطْلالُ دارٍ مِنْ سُعادَ بيَلْبَنِ وَقَفْتُ بها وَحْشاً كأنْ لم تُدَمَّنِ
٢ إلى تَلَعاتِ الخُرْجِ غَيّرَ رَسْمَها هَمَائمُ هَطّالٍ من الدَّلْوِ مُدْجِنِ
٣ عرَفْتُ لسُعدى بَعْدَ عشرين حجّةً بها دَرْسُ نؤيٍ في المحَلّةِ مُنحنِ
٤ قَديمٌ كوَقْفِ العاجِ ثُبِّتَ حَوْلهُ مَغارزُ أوتادٍ بِرَضْمٍ موضَّنِ
٥ فَلاَ تُذكِرَاهُ الحَاجبيَّةَ إنّهُ مَتَى تُذكِرَاهُ الحاجبيَّةَ يَحْزنِ
٦ تَرَاها إذَا استَقْبَلْتها مُحْزَئِلّةً على ثَفَنٍ منها دَوَامٍ مسفّنِ
٧ كأنَّ قُتُودَ الرَّحلِ مِنْهَا تُبِينُهَا قرونٌ تَحَنّتْ في جَمَاجِمِ أبْدُنِ
٨ كأنَّ خليفَيْ زَوْرِهَا وَرَحَاهُمَا بُنَى مَكَوَينِ ثُلِمّا بعدَ صَيدَنِ
٩ إلى ابنِ أبي العَاصِي بدَوَّةَ أرْقَلَتْ وبالسّفحِ من ذَاتِ الرُّبى فوْقَ مُظْعِنِ

(١) يلبن: جبل قرب المدينة، وقيل غدير بالنّقيع. تدمّن: يترك النّاس والأنعام فيها آثارهم.

(٢) تلعات: مرتفعات. الخرج. وادٍ عند يلبن. الهمائم: جمع الهميمة وهي المطر اللّيّن الدّقيق القطر. الهطّال: السّحاب يدوم ماؤه في لين. مدجن: ممطر.

(٣) الحجّة: السّنة. درس: محو الآثار. النؤي: حجارة الموقد. منحنٍ: مستدير.

(٤) الوقف: السّوار. الرّضم: صخور عظيمة. الموضن: المتراكم بعضه فوق بعض. يريد أنّ أوتاد الخيمة ثبتت وقد ضربت بحجارة ضخمة.

(٥) الحاجبيّة: عزّة من بني حاجب.

(٦) انتقل إلى وصف النّاقة وربّما تكون قد سقطت أبيات. محزئلّة: مرتفعة. الثّفن: داء في الرّكبة. المسفن: المقشور.

(٧) قتود الرّحل: أخشابه. تحنّت: انحنت. الأبدن: الوعول المسنّة. شبّه عيدان الرّحل بقرون الوعول.

(٨) خليفا النّاقة: ما تحت إبطيها. بُنى: بناء، بيت. المكوان: مثنّى مكا، وهو حجر الثعلب والأرنب ونحوه. الرّحى: الكركرة. الصّيدن: الثّعلب ولم ترد العبارة إلا في شعر كثيّر. قال الجوهري: الصّيدن دويبة تعمل لنفسها بيتاً في الأرض تغطّيه وقال ابن خالويه دويبة تجمع عيداناً من النّبات.

(٩) دوّة: مكان من وراء الجحفة بستّة أميال. أرقلت: أسرعت. مظعن: وادٍ بين السّقيا والأبواء.

١٠ بشُعْثٍ عليها، غَيّرَ السيرُ منهمُ صفاءَ وُجُوهٍ، وَهْيَ لم تتشنّنِ
١١ إذا ذرَّ قَرْنُ الشَّمس مَالَتْ طُلاهمُ عليها وألْقَوْا كلَّ سوطٍ ومِحجَنِ
١٢ كأنّهُمْ كَانُوا منَ النَّومِ عَاقَروا بلَيْلٍ خَرَاطِيمَ السُّلافِ المسخَّنِ
١٣ إلى خَيرِ أَحْيَاءِ البَريّةِ كلِّهَا لذي رَحِمٍ أوْ خُلّةٍ مُتأسِّنِ
١٤ لهُ عَهْدُ وُدّ لم يُكدَّرْ يَزينُهُ رَدَى قول معروفٍ حديثٍ ومزْمنِ
١٥ وليسَ امرؤٌ مَنْ لَمْ ينلْ ذاك كامرىءٍ بَدَا نُصْحُهُ فاستَوْجَبَ الرِّفد مُحسِنِ
١٦ فإنْ لَمْ تكُنْ بالشّأمِ داري مُقيمةً فإنَّ بأجنادَينَ منّي وَمَسْكِنِ
١٧ مَنازِلَ لَمْ يعْفُ التّنائي قديمَها وأُخرى بمَيّافَارِقينَ فمَوْزَنِ
١٨ إذا النَّبْلُ في نَحْرِ الكُميَتِ كأنّها شَوَارِعُ دَبْرٍ في حُشافةِ مُدْهُنِ
١٩ وَأَنْتَ كَريمٌ بينَ بيتي أَمانَةٌ بعلياءِ مجدٍ قُدِّمَتْ لَكَ فابتَنِ
٢٠ مَصَانِعَ عِزٍّ لَيْسَ بالتّربِ شُرِّفَتْ ولكِنْ بِصُمّ السّمْهريّ المُعرّنِ

---

(١٠) شعث: شعور شعثاء متلبّدة. تتشنّن: تتشنّج.

(١١) ذرّ قرن الشّمس: طلعت. الطّلى: الأعناق. المحجن: عصا محنيّة الرأس.

(١٢) عاقروا: تعاطوا. الخرطوم: الخمرة السّريعة الإسكار. المسخّن: الممزوج بالماء السّاخن.

(١٣) المتأسّن: المتغيّر العهد.

(١٤) الرّدى: الزّيادة، يقول: إنّ عهد ودّه يزينه زيادة في القول معروف قديماً وحديثاً.

(١٥) الرّفد: العطاء. و« محسن» نعت لكلمة « امرىء ».

(١٦) أجنادين: بين الرّملة وبيت جبرين. مسكن: من أرض العراق.

(١٧) ميّافارقين: من ديار بكر. موزن: موضع بالجزيرة. ومنازل « منصوب» على أنه اسم إنّ في البيت السّابق.

(١٨) الكميت: الجواد البنّيّ اللّون. شوارع: شاربات من ماء النّقرة القليل. الدّبر: الزنّابير. الحشافة: الماء القليل. المدهن: نقرة في الصّخرة يستجمع فيها الماء.

(٢٠) المصانع: الدّور والقصور وهو منصوب بفعل « ابتنِ » في البيت السّابق. السّمهريّ: السّيف. المعرّن: المسمّر، والعران: المسمار الذي يجمع قناة السّيف على سنانه، أصله من عران النّاقة، وهو العود الذي يجعل في أنف البختية.

٢١ وَقَدْ عَلِمَتْ قِدماً أُميّةُ أنكمْ | من الحيّ مأوى الخائفِ المتحصّنِ
٢٢ وَإنْ تَقْصُرِ الدَّعوى إلى الرَّهطِ قَصرَةً | فإنّك ذو فضلٍ على الحقّ بيِّنِ
٢٣ بحقّك إنْ تَنْطُقْ تَقُلْ غيرَ مُهْجِرٍ | صَوَاباً، وإن يخففْ حصَى القوم ترزُنِ
٢٤ بَهاليلُ مَعْرُوفٌ لكم أن تفضَّلوا | وأن تحفظوا الأَحْسَابَ في كلّ موطنِ
٢٥ بِصَبْرٍ وإبْقَاءٍ عَلَى جُلّ قومِكُمْ | عَلَى كُلِّ حَالٍ بالأنا والتحنّنِ
٢٦ ولينٍ لَهُمْ حتَّى كأنَّ صُدُورَهُمْ | من الحِلم كَانَتْ، عِزّةً، لم تَخشّنِ
٢٧ وأنتَ فلا تُفقَدْ ولا زَالَ مِنكُمُ | إمامٌ يُحَيّا في حِجَابٍ مُسَدَّنِ
٢٨ أشَمُّ مِن الغَادِينَ في كُلِّ حُلّةٍ | يَميسُون في صِبْغٍ من العَصْب متقَنِ
٢٩ لهُمْ أُزُرٌ حُمْرُ الحَوَاشي يطَوْنَها | بأقْدامِهِمْ في الحضرَميّ المُلسَّنِ (★)

— 131 —

قال أيضاً: [من الكامل]

١ لِمَنِ الدِّيارُ بأبْرَقِ الحنّانِ | فَالبُرْقِ فَالهَضَباتِ من أُدمانِ

---

(٢١) المتحصّن: الباحث عن حصن يلوذ به
(٢٢) القصرة: التقصير في القيام بالأعباء.
(٢٣) المهجر: الذي يخلط في قوله أو يفحش فيه. خفّت حصاة القوم: ذهب بهم الحلم والتعقّل.
(٢٤) البهاليل: السّادة الأشراف.
(٢٥) الأنا: جمع أناة وهي الرّفق والتحنّن.
(٢٧) المسدّن: المرسل، وسدّن الحجاب أو الثّوب إذا أرسله وأرخاه.
(٢٨) يميسون: يختالون في مشيتهم. العصب: الثّياب المخطّطة.
(٢٩) يطونها: يطؤونها. الحضرميّ: نوع من النعال. الملسّنة: التي جعل طرف مقدّمها كطرف اللّسان. يصف ترفهم ونعيمهم ولباسهم.
(★) وقد ورد في بعض نسخ الدّيوان قوله:
ذكرْتُ عطاياهُ وليسَتْ بحُجّةٍ | عليكَ ولكنْ حُجّةٌ لك فاثّنِ
اثّن: كرّرْ مرّةً ثانية وأعطني مثلها.

---

(١) أبرق الحنّان: ماء لبني فزارة. البرقة: الأرض الغليظة التي اختلطت فيها الحجارة والرّمال ونحوها. أدمان: شعبة تدفع عن يمين بدر بينهما ثلاثة أميال.

٢ أقوَتْ مَنَازِلُهَا وغيّرَ رَسْمَهَا — بعدَ الأنيسِ تَعَاقُبُ الأزْمَانِ
٣ فَوَقَفْتُ فيها صاحِبِيَّ وما بها — يا عَزَّ مِن نَعَمٍ ولا إنْسَانِ
٤ إلاّ الظّباءَ بِهَا كَأَنَّ نزيبَهَا — ضَرْبُ الشِّراعِ نواحيَ الشِّرْيانِ
٥ فإذا غَشِيتُ لها بِبُرْقَةِ واسِطٍ — فَلِوَى لُبَيْنَةَ مَنْزِلاً أبْكَانِي
٦ ثُمّ احتمَلْنَ غُديّةً وصرَمْنَهُ — والقَلبُ رَهْنٌ عِندَ عزّةَ عانِ
٧ وَلَقَدْ شَأَتْكَ حُمُولُهَا يَوْمَ استوَتْ — بالفُرْعِ بَينَ خَفِينَنٍ ودعانِ
٨ فالقَلْبُ أصْورُ عِنْدَهُنَّ كأَنَّما — يجذبْنَهُ بِنَوَازِعِ الأشْطانِ
٩ طَافَ الخَيَالُ لآلِ عَزّةَ مَوْهِناً — بَعْدَ الهدوِّ فَهاجَ لي أحْزاني
١٠ فألَمَّ مِن أهْلِ البُويْبِ خَيَالُها — بِمُعَرَّسٍ مِنْ أهْلِ ذي ذَرْوانِ
١١ رُدّتْ علَيْهِ الحَاجِبِيّةُ بَعْدما — خَبَّ السَّفاءُ بقَزْقَزِ القُرْيانِ
١٢ وَلَقَدْ حَلَفْتُ لها يميناً صادقاً — باللهِ عِندَ محارِمِ الرَّحمانِ

---

(٢) أقوت: خلت.
(٣) نَعَم: بقر وشاء وإبل وغيرها.
(٤) النزيب: صوت الظّباء والذّكر منها خاصّةً. الشّراع: الوتر ما دام مشدوداً على القوس. الشّريان: الشّجر الذي تعمل منه القسيّ وهنا يعني القوس نفسها المأخوذة من هذا الشّجر. شبّه أصوات الظّباء بأصوات تحدثها تلك الآلة الموسيقيّة.
(٥) واسط: بين العذيبة والصّفراء. لوى لبينة: اسم موضع.
(٦) احتملن: ارتحلن. غديّة: باكراً. صرم: قطع حبل المودّة. العاني: الأسير.
(٧) شأتك: سبقتك. الفرع: بلد حجازي من أعمال المدنية. خفينن: ماء قريب من ينبع بينها وبين المدينة. دعان: وادٍ به عين بين المدينة وينبع.
(٨) أصور: مائل. النّوازع: الجاذبة. الأشطان: الحبال.
(٩) موهناً: ليلاً. الهدوّ: الهدوء، أبدل الهمزة واواً.
(١٠) البويب: مدخل أهل الحجاز إلى مصر. المعرّس: مكان النّزول. ذو ذروان: بئر لبني زريق بالمدينة.
(١١) خبّ: طال وارتفع. السّفاء: السّفا، وهو نبات ذو شوك. قزقز: علم مرتجل بناحية المدينة. القُرْيان: جمع قريّ وهو مسيل الماء.
(١٢) محارم: أمكنة الحرام، يعني مكّة ونواحيها.

١٣ بـالـرّاقصـات علـى الكَلال ِ عشيّـةً   تَغْشى منابـتَ عَـرْمـض ِ الظَّهـران ِ

— 132 —

قال ابن جني (شرح ديوان المتنبي ٢:٢١١): وحدثني أبـو الفـرج علـي بـن الحسين قال، حدّثني جعفر بن قدامة قال، حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن السعيدي من ولد سعيد بن العاص قال: وفد كثير إلى عبد العزيز بن مروان فورد وقد مات وورثته يتقاسمون ميراثه، فبكى وأنشأ يقول: [من البسيط]

١ أَضْحَى تُرَاثُ ابن ليلى وَهْوَ مقتَسَمٌ   فـي أقـربيـه بلا مَـنٍّ ولا ثمـن ِ
٢ وَرَّثْتَهُـمْ فَتَفَـرَّوْا عَنْـكَ إذ وَرِثُـوا   وَمَـا وَرَّثْتُـكَ غيـرَ الهـمِّ والحَـزَن ِ

— 133 —

وقال: [من الكامل]

١ طَـرِبَ الفُـؤادُ فَهَـاجَ لـي دَدَنـي   لَمَّـا حَـدَوْنَ ثَـوَانِـيَ الظُّعـن ِ
٢ والعِيسُ أَنَّـى هِـيْ تُـوجّهُـهُ   شَـأماً وَهْـنَّ سَـوَاكِـنُ اليَمَـن ِ
٣ ثـمَّ انـدَفَعْـنَ بِبَطْـن ِ ذي عُبَـبٍ   وَنَكَـأْنَ قَـرْحَ فـؤادي الضَّمِـن ِ

---

(١٣) الكلال: التعب. العرمض: صغار أشجار الأراك. الظّهران: موضع من منازل مكّة، بينها وبين عسفان يضاف إليه مرّ يقال له مرّ الظّهران.

---

(١) المنّ: ما ينعم به الله.
(٢) تفرّوا: انشقّوا وانقسموا.

---

(١) طرب: هاج حزناً. الدّدن: اللّهو. الثّواني: الإبل حين تثني أعناقها، وربّما كانت «توالي».
(٢) العيس: النّوق البيضاء. شأماً: باتّجاه الشّام.
(٣) عبب: شجيرة لها ثمرة ورديّة. ذو عبب: وادٍ يكثر فيه هذا الشّجر. نكأنَ: قشّرن الجرح قبل أن يشفى. الضمِن: المريض.

قافية الياء

— 134 —

وقال : [من الطويل]

١ وَقَفْـتُ عَليـهِ نَـاقَتِـي فَتَنَـازَعَـتْ ... شُعُوبُ الهَوَى لما عَرِفتُ المغـانيـا

٢ فَمَـا أَعْـرِفُ الآيـاتِ إلاَّ تـوَهُّمـاً ... وَمَـا أَعْـرِفُ الأَطْلاَلَ إلا تمـاريـا

٣ ومـا خَلَـفٌ مِنْكُـمْ بـأطلال دِمْنَـةٍ ... تنكّرْنَ واستبدلْـنَ منـكِ السَّـوافيـا

* * *

٤ وإنْ طَنَّتِ الأُذْنَان قُلْتُ ذكـرتِنـي ... وَإنْ خَلَجَتْ عيني رَجَوْتُ التَّلاقيـا

٥ أيا عَزَّ صَادِي القَلبَ حتَّى يـوَدَّنـي ... فـؤادُكِ أو رُدّي علـيَّ فُـؤادِيـا

٦ أَيا عَزَّ لو أشْكُو الذي قَدْ أصَـابنـي ... إلـى ميّـتٍ فـي قبـرِهِ لَبَكـى لِيـا

٧ وَيا عَزَّ لو أشْكُو الذي قَدْ أَصابنـي ... إلى رَاهِـبٍ فـي ديـرِهِ لـرَثـى لِيـا

٨ وَيا عَزَّ لو أشْكُو الذي قَدْ أصابنـي ... إلى جَبَلٍ صَعْبِ الذُّرى لانحنى ليـا

---

(١) الهاء في « عليه » دليل على أن أبياتاً قد سقطت. تنازعت : تخاصمت. الشّعوب : الصّدوع. المغاني : الدّيار.

(٢) تمارى في الأمر : شكّ فيه.

(٣) السّوافي : الرّياح تحمل التّراب وتنثره. يسأل عن الدّيار التي انتقل إليها القوم.

(٥) صادي القلب : داريه ، وداجيه.

(٨) الذّرى : قمم الجبال.

٩ وَيا عَزَّ لو أشْكُو الذي قَدْ أَصَابنـي   إلى ثعْلَبٍ في جُحْـرِهِ لانْبـرى ليـا
١٠ وَيا عَزَّ لو أشْكُو الذي قَدْ أَصَابنـي   إلى مُـوْثَـقٍ فـي قَيْـدهِ لعَـدا لِيـا

— 135 —

ولما قدم كثير على أُم الحويرث ووجدها قد تزوجت وأخذه الهلاس، زعم الأطباء أنّه لا علاج له إلا الكشح بالنار، فلما اندمل من علته وضع يده على ظهره فإذا برقمتين فقال: ما هذا؟ فأخبر بما حدث؛ ودخل على عبدالله بن جعفر وقد نحل وتغير فلما سأله عن حاله قال: هذا ما عملت بي أم الحويرث: ثم أنشده:

[من الطويل]

١ عَفَا اللهُ عَـنْ أُمّ الحـويـرثِ ذنْبَهـا   عَلاَمَ تُعنّينـي وَتَكْمِـي دَوَائِيـا
٢ فَلَو آذَنُوني قَبْـل أَنْ يـرْقُمُـوا بهـا   لقُلْـتُ لهُـمْ أُمُّ الحُـوَيْـرِثِ دائيـا

---

(٩) انبرى: اعترض.
(١٠) موثق: مقيّد. مكبّل.

---

(١) علام: على ما. تكمي: تستر ومنها الكمّ.
(٢) يرقموا: يكووا بالنّار وكلّ كيّة تسمّى رقمة.

ملحق

ترجمة كثيِّر من
كتاب الأغاني

ذكر أخبار كثير ونسبه

هو، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ عن محمد بن حبيب عن ٱبن الأعرابيّ، أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عُوَيمر بن مَخْلَد بن سعيد بن سُبَيْع بن جِعْثِمَةَ بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو وهو خُزاعة بن رَبيعة وهو يحيى بن حارثة بن عمرو، وهو مُزَيْقِيا بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن ٱمرىء القيس البِطْريق بن ثَعْلبة البُهْلول بن مازن بن الأَزْد وهو دِرْء ـ وقيل دِرَاء ممدوداً ـ ابن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان.

وأخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الحَرَميّ قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدّثنا أبو صخر بن أبي الزَّعْراء الخُزَاعيّ عن أُمّه ليلى بنت كُثَيِّر قالت: هو كثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مَخْلَد بن سُبَيْع بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وأمه جُمُعة بنت الأَشْيَم بن خالد بن عُبيد بن مُبَشِّر بن رِيَاح بن سيالة بن عامر بن جِعْثِمةَ بن كعب بن عمرو بن رَبيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وكانت كنية الأشْيَم جدّه أبي أمّه أبا جُمُعة؛ ولذلك قيل له ٱبن أبي جُمُعة.

وكان له ٱبن يقال له ثَوَاب من أشعر أهل زمانه، مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له.

ومات كثيِّر سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك. وليس له اليوم ولد إلا من بنته ليلى. ولليلى بنته ٱبنٌ يكنى أبا سَلَمة شاعر، وهو الذي يقول:

صوت

وكان عزيزاً أن تَبيتِي وبيننا حجابٌ فقد أمسيتِ منِّي على شهرِ
ففي القرب تعذيبٌ وفي النأي حَسْرةٌ فيا وَيْحَ نفسي كيف أصنع بالدهر

في هذين البيتين غناء لمقاسة. ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر عن حَبَش.

طبقته ونحلته

ويكنى كثيّر أبا صخر. وهو من فحول شعراء الإسلام، وجعله ٱبن سَلاّم في الطبقة الأولى منهم وقرن به جريراً والفرزدقَ والأخطَل والرّاعي. وكان غالياً في التشيُّع يذهب مذهب الكَيْسانية، ويقول بالرَّجْعة والتناسخ، وكان مُحمقاً مشهوراً بذلك. وكان آل مروان يعلمون مذهبه فلا يغيّرهم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محلّه في أنفسهم وعندهم. وكان من أَتْيهِ الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد.

أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثني هارون بن عبدالله الزُّهْريّ قال: حدّثني سليمان بن فُلَيْح قال: سمعت محمد بن عبد العزيز (يعني عمر بن عبد الرحمن بن عوف) يقول ما قصّد القصيدَ ولا نعت الملوكَ مثلُ كثيِّر.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثني الزبير بن بَكّار قال: كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي. حدّثني إبراهيم بن سعد قال: إني لأروي لكُثَيِّر ثلاثين قصيدة لو رُقِي بها مجنون لأفاق.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني بعض أصحاب الحديث قال:

كنّا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث النفس، فنسأله عن شعر كثيّر فتطيب نفسه ويحدّثنا.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا عمر بن أبي بكر المؤمَّليّ عن عبدالله بن أبي عُبيدة قال:

من لم يجمع من شعر كُثَيّر ثلاثين لاميّةً فلم يجمع شعرَه. قال الزبير قال المؤمَّليّ: وكان آبن أبي عُبَيدة يُملي شعر كُثَيِّر بثلاثين ديناراً. قال وسئل عمِّي مصعب: مَنْ أشعرُ الناس؟ فقال: كُثَيِّر بن أبي جمعة، وقال: هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامّتهم (يعني الشعراء)، لم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثيِّر.

أخبرني أبو خَليفة الفضل بن الحُبَاب إجازةً. قال: حدّثنا محمد بن سَلاّم الجُمَحِيّ قال:

كان كثيِّر شاعر أهل الحجاز، وهو شاعر فحل، ولكنه منقوصٌ حظّه بالعراق.

أخبرني أبو خَليفة قال: أخبرنا ابن سَلام قال: سمعت يونس النحويَّ يقول:

كُثَيِّر أشعرُ أهلِ الإسلام. قال ابن سَلاّم: وسمعت ابن أبي حَفْصة يُعْجِبه مذهبه في المديح جدّاً، ويقول: كان يستقصي المديح، وكان فيه مع جودة شعره خَطَلٌ وعُجْب.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدّثني محمد بن إسماعيل الجَعْفَريّ قال: أخبرني إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال:

سمعت المِسْوَر بن عبد الملك يقول: ما ضَرَّ مَنْ يروي شعرَ كثيِّر وجميلٍ ألاّ تكون عنده مغنّيتان مُطْرِبتان.

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلّبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا:

حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ عن الوَقّاصِيّ قال:

رأيت كثيّراً يطوف بالبيت، فَمنْ حدّثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكَذِّبْه؛ وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول: طأْطِيء رأسَك لا يُصِبْه السقف.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ، وعن ابن حبيب عن أبيه عن جدّه عن جدّ أبيه عبد العزيز وأُمّه جمعة بنت كثيِّر قال:

قال جرير لكثيِّر: أيُّ رجلٍ أنت لولا دَمامتك! فقال كثيِّر:

إن أك قَصْداً في الرجال فإنّني   إذا حلّ أمرٌ ساحتي لطويلُ

كثير والحزين الديلي

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا: حدّثنا عمر ابن شَبة قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ عن الوَقّاصيّ قال، وأخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الدِّيليِّين قال:

اِلتقى كُثَيِّر والحَزين الدِّيليّ بالمدينة في دار ابن أزْهَر في سوق الغنم، فضمّهما المجلس. فقال كثيِّر للحزين: ما أنت شاعرٌ يا حزين، إنما تُوصل الشيء إلى الشيء. فقال له الحزين: أتأذَن لي أن أهجوك؟ قال: نعم. وكان كثيِّر قال قبل ذلك وهو ينتسب إلى بني الصَّلْت بن النَّضْر بن كِنانة:

أليس أبي بالنَّضْرِ أوليس إخوتي   بكلِّ هِجَانٍ من بني الصَّلْت أزْهَرَا
فإن لم تكونوا من بني الصَّلْت فاتركوا   أَراكاً بأذيال الخمائل أخضرا

قال: فلما أذِن كثيِّر للحَزين أن يهجوه قال الحَزين:

لقد عَلِقتْ زُبَّ الذُّبَابِ كُثَيِّراً ... أساوِدُ لا يُطْنِينه وأراقمُ
قصيرُ القميص فاحشٌ عند بيته ... يَعَضّ القُراد بآسته وهو قائم
وما أنتُمُ منّا ولكنكم لنا ... عبيدُ العصا ما آبتلّ في البحر عائم
وقد عَلِم الأقوامُ أن بني آسْتِها ... خُزَاعةَ أذنابٌ وأنَّا القَوادِمُ
ووالله لولا اللهُ ثم ضِرَابُنا ... بأسيافنا دارتْ عليها المَقاسمُ
ولولا بنو بكر لَذَلَّتْ وأُهلِكتْ ... بطعنٍ وأفنتْها السيوف الصوارمُ

قال: فقام كثيِّر فحمل عليه فلَكَزه. وكان الحزين طويلاً أيِّداً. فقال له الحزين: أنت عن هذا أعجز، واحتمله فكان في يده مثلَ الكُرَة، فضرب به الأرض، فخلّصه منه الأزهريّون. فبلغ ذلك أبا الطُّفيل عامر بن واثِلة وهو بالكوفة؛ فأقسم لئن ملأ عينيه من كثيِّر ليضربنّه بالسيف أو ليَطعننّه بالرمح. وكان خِنْدِقٌ الأسديّ صديقاً لأبي الطُّفيل؛ فطلب إلى أبي الطفيل في كثيِّر وآستوهبه إيّاه فوهبه له. والتقيا بمكة وجلسا جميعاً مع عمر بن عليّ بن أبي طالب، فقال: أمَا والله لولا ما أعطيتُ خِنْدِقًا من العهد لَوَفيت لك. فذلك قول كُثَيِّر في قصيدته التي يرثي فيها خِنْدقًا:

ينال رجالاً نفعُه وهو منهمُ ... بعيدٌ كعَيُّوقِ الثُّرَيَّا المُحَلِّقِ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن المهلّبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال:

قال كُثَيِّر: في أيّ شعرٍ أعطى هؤلاء الأحوصَ عشرةَ آلافِ دينار؟ قالوا: في قوله فيهم:

وما كان مالي طارفاً من تجارةٍ ... وما كان مِيراثاً من المال مُتْلَدَا
ولكن عطايَا من إمامٍ مُبارَكٍ ... مَلاَ الأرضَ معروفاً وجُوداً وسُؤْدَدَا

فقال كثيِّر : إنه لَضِرعٌ قَبحه الله! ألا قال كما قلتُ:

صوت

دَعْ عنكَ سَلْمَى إذا فاتَ مَطْلَبُها — وآذكُرْ خليلَيْكَ من بني الحَكَمِ
ما أعطياني ولا سألتُهما — إلاّ وإنِّي لحاجِزِي كَرَمي
إنّي متى لا يكن نوالُهُما — عندي بما قد فعلتُ أحتشم
مُبْدِي الرِّضا عنهما ومُنصرِفٌ — عن بعض ما لو فعلتُ لم ألَمِ
لا أنْزُر النائلَ الخليلَ إذا — ما آعتلَّ نَزْرُ الظَّؤورِ لم تَرَمِ

عروضه من المُنْسَرِح. غنّى في هذا الشعر يونس ثانيَ ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وغنّى فيه الغَرِيض ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. وفيه لحن من الثقيل الأوّل يُنسب إلى مَعْبَد، وليس بصحيح له. قال الزُّبير بن بكّار في تفسير قوله: «لا أنزر النائل الخليل» يقول: لا ألِحّ عليه بالمسألة؛ يقال: نَزَرته أنزُره إذا ألححتَ عليه. والظَّؤور: المتعطِّفة على غير أولادها.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثني الزُّبير قال: حدّثنا المؤمَّليّ عن أبي عُبيدة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا: حدّثنا عبدالله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال:

دخل كثيِّر على عبد الملك بن مَرْوان فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ أرضاً لك يقال لها غُرَّب[1] ربما أتيتُها وخرجت إليها بولدي وعِيالي فأصبنا من رُطَبها وتَمْرها بشراءٍ مرّة وطُعْمة مرّة. فإن رأى أمير المؤمنين أن يُعَمِّرَنيها[2] فعل. فقال له عبد الملك: ذلك لك. فندّمه الناس وقالوا له: أنت شاعرُ الخليفة ولك

---

(١) غُرّبٌ: اسم جبل دون الشام في ديار بني كلب وعنده عين ماء تُسمّى غرَّبة. وغرّب: ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بني نمير (انظر ياقوت ج ٤ ص ١٩٢).

(٢) يقال: عمّر فلان فلاناً كذا إذا جعله له طول عمره.

عنده منزلة، فَهلاّ سألتَ الأرض قَطيعة! فأتى الوليدَ فقال: إنّ لي إلى أمير المؤمنين حاجةً فأجْلِسْني قريباً من البِرْذَوْن[1]. فلما آستوى عليه عبد الملك قال له: إيهٍ! وعِلم أنّ له إليه حاجةً. فقال كثيِّر:

جزَتكَ الجوازِي عن صديقكَ نَضْرةً ... وأدناكَ ربِّي في الرَّفيق المُقرَّبِ
فإنّك لا يُعْطى عليك ظُلامةً ... عدوٌّ ولا تنأى عن المتقرِّب
وإنّك ما تَمنَعْ فإنك مانعٌ ... بحقٍّ، وما أعطيتَ لم تَتعقّبِ

فقال له: أترغَب غُرَّباً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: آكتبوها له، ففعلوا.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثني الزُّبير قال: حدّثنا عمر بن أبي بكر المؤمَّلي قال: حدّثني عبدالله بن أبي عُبيدة قال:

كان الحزين الكِنَانيّ قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر، منهم آبنُ أبي عتيق. فجاءه لأخذ درهميه على حمارٍ له أَعْجف[2]. قال: وكثيِّر مع ابن أبي عتيق - فدعا ابنُ أبي عتيق للحزين بدرهمين. فقال الحزين لابن أبي عَتيق: مَنْ هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثيِّر بن أبي جمعة - قال: وكان قصيراً دميماً - فقال له الحزين: أتأذَن لي أن أهجوه ببيت من شعر؟ قال: لا! لعمري لا آذَن لك ان تهجو جليسي، ولكني أشتري عِرْضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: لا بدّ من هجائه ببيت. قال: أوْ أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين، ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه. قال: أوْ أشتري ذلك منك بدرهمين. فقال له

(١) البراذين من الخيل: ما كان من غير نتاج العِراب. وبَرْذَنَ الفَرَسُ: مشى مشي البراذين: (اللسان مادة برذن ج١٣ ص٥١).

(٢) أعجف: مهزول.

كُثَيِّر: ايذَن له، ما عسى أن يقول في بيت! فأذِن له ابن أبي عتيق. فقال:

قصيرُ القميصِ فـاحشٌ عنـد بيتـه ... يَعَضّ القُـرَادُ بِـآستِـه وهـو قـائـمُ

قال: فوثب كثيِّر إليه فلكزَه، فسقط هو والحمار، وخلّص ابنُ أبي عتيق بينهما، وقال لكثيِّر: قبحك الله! أتأذَن له وتَسْفَهُ عليه! فقال كثيِّر: أوَأنـا ظننتُه أن يبلُغ بي هذا كلَّه في بيت واحد!

كثير يدّعي أنّه قرشي

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا بن شبّة ولم يتجاوزه، وأخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدّثنا عبد الرحمن ابن الخضر الخُزَاعيّ عن ولد جُمعة بنت كثيِّر أنه وجد في كتب أبيه فيها شعر كُثَيِّر: أنّ عبد الملك بن مروان قال له: ويحك! اِلْحَقْ بقومك من خُزاعة؛ فأخبرَ أنه من كِنَانة قريش، وأنشد كثيِّر قولَه:

أليس أبي بالصَّلْتِ أم ليس إخوتي ... بكل هِجانٍ من بني النَّضْر أزهَـرا
فإن لم تكونوا من بني النَّضْر فاتركوا ... أراكاً بأذنـاب القَـوابِـل أخضـرا
أبَيْتُ التي قد سُمْتَنـي ونَكِـرْتُهـا ... ولو سُمْتَهـا قبلـي قَبيصـةَ أنكـرا
لَبِسنا ثيابَ العَصْبِ فاختلط السَّدَى ... بِنا وبهم والحَضْـرَمِـيَّ المُخَصَّـرا

فقال له عبد الملك: لا بُدَّ أن تُنشد هذا الشعر على مِنْبَري الكوفة والبَصرة، وحَمله وكتب إلى العراق في أمره. قال عمر بن شَبّة في خبره خاصّة: فأجابته خُزاعة الحِجَازِ إلى ذلك. وقال فيه الأحوص، ويقال: بل قاله سُراقة البارقيّ:

لَعَمْـري لقـد جـاء العـراقَ كُثَيِّـرٌ ... بـأحـدوثـة مـن وَحْيـهِ المُتَكَـذِّب
أيـزعـمُ أنّـي مـن كِنـانـةَ أوّلـي ... ومـا لِـيَ مـن أُمٍّ هنـاك ولا أبِ
فإنْ كنـتَ حُـرًّا أو تخـاف مَعَـرّةً ... فخُذْ ما أخذتَ من أميرك وآذهـبِ

فقال كثيِّر يجيبه - وفي خبر الزُّبير: قال هذا لأبي عَلْقَمة الخُزاعيّ -:

أيا خُبَثٌ أكرِمْ كِنانةَ إنّهم ... مَواليك إنْ أمرٌ سما بك معلق

- وفي رواية الزُّبير: «أبا عَلْقَمٍ»:

بنو النَّضْرِ تَرْمِي من ورائك بالحصى ... أُولُو حَسَبٍ فيهم وفاءٌ ومَصْدَقُ

يُفيدونكَ المالَ الكثيرَ ولم تَجِدْ ... لمُلكهمُ شِبْهاً لَوَ آنّك تصدُقُ

إذا ركِبوا ثارتْ عليك عَجَاجةٌ ... وفي الأرض من وقع الأسِنَّة أوْلَقُ

فأجابه الأحْوَص بقوله:

دَعِ القومَ ما حَلُّوا ببطن قُرَاضِمٍ ... وحيث تَفشَّى بيضُه المتفلِّق

فإنّك لو قاربتَ أو قلتَ شُبْهةً ... لذي الحقِّ فيها والمخاصِم مَعْلَق

عذَرناك أو قلنا صدقتَ وإنما ... يُصدَّق بالأقوال من كان يصدُق

ستأبَى بنو عمروٍ عليك وينتمي ... لهم حسبٌ في جِذْمِ غَسّانَ مُعْرِقُ

فإنّك لا عمراً أباك حَفِظَته ... ولا النَّضْرَ إن ضَيّعتَ شيخك تَلْحَقُ

ولم تُدْرِكِ القومَ الذين طلبتَهم ... فكنتَ كما كان السِّقاءُ المعلَّق

بجِذْمة ساقٍ ليس منه لِحاؤها ... ولم يَكُ عنها قلبُه يتعلّق

فأصبحتَ كالمُهْرِيق فضلةَ مائه ... لبادِي سَرَابٍ بالمَلاَ يترقرقُ

قال: فخرج كثيِّر فأتى الكوفَة، فرُمِي به إلى مسجد بارِق. فقالوا له: أنت من أهل الحجاز؟ قال: نعم. قالوا: فأخْبِرْنا عن رجل شاعر ولدِ زناً يُدعى كُثَيِّراً. قال: سبحان الله! أمَا تسمعون أيها المشايخ ما يقوله الفتيان! قالوا: هو ما قاله لنفسه. فانسلَّ منهم وجاء إلى والي الكوفة حسّان بن كَيْسان، فطيّره على البريد. وقال عمر بن شَبّة في خبره: إنّ سُرَاقة البارقيّ هو المُخَاطِب له بهذه الشتيمة وإنه عرَفه وقال له: إن قلتَ هذا على المنبر قتلتْك قَحْطان وأنا أوّلهُم؛ فانصرف إلى منزله ولم يَعُدْ إلى عبد الملك.

وكان سُرَاقةُ هذا شاعراً ظريفاً. فأخبرني عمِّي حدّثني الكُرَانيّ عن النَّضْر بن عمر عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن الأعمش عن إبراهيم قال:

كان سُرَاقة البارقيّ من ظُرَفاء أهل العراق، فأسَره المختار يومَ جَبَّانة السَّبِيع؛ وكانت للمختار فيها وقعةٌ مُنْكرة، فجاء به الذي أسره إلى المختار فقال له: إنّي أسرتُ هذا. فقال له سُراقة: كذب! ما هو الذي أسرني، إنما أسرَني غلامٌ أسود على بِرْذَوْن أبْلَقَ عليه ثيابٌ خضرٌ، ما أراه في عسكرك الآن، وسلّمني إليه. فقال المختار: أما إنّ الرجل قد عاين الملائكةَ! خَلُّوا سبيلَه فَخلَّوْه؛ فهرَب فأنشأ يقول:

ألاَ أبلِغْ أبا إسحاق أنّي ... رأيتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمَتاتِ
أُري عَيْنيَّ ما لم تُبْصِراه ... كِلانَا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ
كفرتُ بدينِكم وجعلتُ نذراً ... عليَّ قتالَكم حتى المماتِ

تشيّع كثيّر وشعره في ابن الحنفيّة

أخبرنا الحرميّ قال: أخبرنا الزُّبير قال: أخبرنا عمرو ومحمد بن الضّحاكِ قالا:

كان كثيِّر يتشيّع تشيّعاً قبيحاً، يزعم أنّ محمد بن الحنفيَّة لم يمت. قال: وكان ذلك رأيَ السيِّد؛ وقد قال فيه (يعني السيّد) شعراً كثيراً، منه:

ألاَ قلْ للوصِيِّ فدتْك نفسي ... أطلتَ بذلك الجبلِ المُقامَا
أضَرَّ بمَعْشَرٍ وَالَوْكَ منّا ... وسَمَّوك الخليفةَ والإماما
وعادَوْا فيك أهلَ الأرضِ طُرًّا ... مُقامُك عنهمُ ستِّين عاما
وما ذاق آبنُ خَوْلةَ طعمَ مَوْتٍ ... ولا وارتْ له أرضٌ عِظاما
لقد أَوْفَى بمُورق شِعْبِ رَضْوَى ... تُراجِعه الملائكةُ الكلاما
وإنّ له به لمَقِيلَ صدقٍ ... وأنديةً تحدِّثه كِرَاما
هدانا الله إذ جُرْتُمْ لأمرٍ ... به ولسديه نَلْتَمِس التَّماما
تمامَ مَوَدّةِ المهديِّ حتّى ... تَرَوْا راياتِنا تَتْرَى نِظَاما

وقال كُثَيِّر في ذلك:

ألاَ إنّ الأئمَّـةَ مـن قُـرَيْشٍ ... وُلاةَ الحـقِّ أربعـةٌ سـواءُ
علـيٌّ والثلاثـةُ مـن بَنِيـه ... هـمُ الأسبـاطُ ليس بهـم خَفَـاءُ
فسِبْـطٌ سِبْـطُ إيمـان وبِـرٍّ ... وسِبْـطٌ غَيَّبَتْـهُ كَـرْبلاءُ
وسِبْـطٌ لا تـراه العيـنُ حتَّـى ... يقـودَ الخيـلَ يقـدُمها اللِّـواء
تغيَّـب لا يُـرَى عنهـم زمـانـاً ... بـرَضْـوَى عنـده عسـلٌ ومـاء

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا الحارث بن محمد عن المَدَائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ قال:

كان عبدالله بن الزُّبير قد أُغْرِي ببني هاشم يتبعهم بكل مكروه ويُغْرِي بهم ويخطُب بهم على المنابر ويصرِّح ويعرِّض بذكرهم. فربما عارضه ابن عبّاس وغيره منهم. ثم بدا له فيهم فحبس ابنَ الحنفيّة في سجن عارمٍ، ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بني هاشم، فجعلهم في مَحْبِس وملأه حطباً وأضرم فيه النار. وقد كان بلغه أنّ أبا عبدالله الجَدَليّ وسائر شيعة ابن الحنفيّة قد وافَوْا لنُصرته ومحاربة ابن الزبير؛ فكان ذلك سبب إيقاعه به. وبلغ أبا عبد الله الخبرُ فوافَى ساعةَ أُضْرِمت النار عليهم فأطفأها وآستنقذهم، وأخرج ابن الحنفيّة عن جِوار ابن الزُّبير منذ يومئذ. فأنشدنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: أنشدنا محمد بن حبيب لكثيِّر يذكر ابن الحنفيّة وقد حبسه ابن الزُّبير في سجن يقال له سجن عارم:

مَنْ يَرَ هذا الشيخَ بالخَيْفِ من منًى ... من الناسِ يعلَمْ أنّـه غيـرُ ظالـمِ
سَمِيُّ النبـيِّ المصطفـى وآبـنُ عمّـه ... وفَكَّـاكُ أغلالٍ ونفّـاعُ غـارمِ
أَبَى فهو لا يَشْرِي هـدًى بضلالـةٍ ... ولا يتَّقـي فـي الله لـومـةَ لائـمِ
ونحـن بحمـد الله نتلـو كتـابَـه ... حُلُولاً بهذا الخَيْفِ خَيْفِ المحـارمِ
بحيث الحمامُ آمِـنُ الرَّوْعِ سـاكـنٌ ... وحيث العدوّ كالصـديـق المسـالـم
فمـا فَـرَحُ الدنيـا ببـاقٍ لأهلـه ... ولا شـدّة البلـوى بضـربـة لازم
تُخَبِّـرُ مَـنْ لاقيـتَ أنـك عـائـذٌ ... بل العائذُ المظلوم في سجن عـارِمِ

حدّثني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانيّ قال: حدّثنا يحيى بن الحسن العَلَوَي قال: حدّثنا الزُّبير بنُ بَكّار، وأخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن سعيد عن عُقْبَة الجُهَنيّ عن أبيه قال:

سمعت كثيّراً يُنشد عليَّ بن عبد الله بن جعفر قولَه في محمد بن الحنفيّة:

أقَرّ الله عينِيَ إذ دعاني ... أمينُ الله يلطُف في السؤالِ
وأثنَى في هوايَ عليَّ خيراً ... وساءَلَ عن بَنِيَّ وكيف حالي
وكيف ذكرت حال أبي خُبَيْبٍ ... وزَلّة فعلِه عند السُّؤالِ
هو المَهْدِيّ خَبَّرَنَاهُ كَعْبٌ ... أخو الأحبارِ في الحِقَبِ الخوالي

فقال له عليّ بن عبد الله: يا أبا صخر، ما يُثنى عليك في هواك خيراً إلا من كان على مثل مذهبك. قال: أجَلْ بأبي أنت وأمي!. قال: وكان كثيّر كَيْسَانِيًّا يرى الرَّجعة. قال الزُّبير: أبو خبيب عبد الله بن الزُّبير، كناه بابنه خُبَيْب وهو أكبر ولدِه، وكان كثيّر سيّء الرأي فيه. قال الزُّبير: فأخبرني عمّي قال: لمّا قال كثيّر:

هو المهديّ خَبَّرَنَاه كعبٌ ... أخو الأحبار في الحِقَبِ الخوالي

فقيل له: ألقيتَ كعبا؟ قال: لا. قيل: فلِمَ قلتَ «خبرنَاه كعب»؟ قال: بالتوهُّم.

قال: وكان كثيّر شِيعِيًّا غالِياً يزعم أن الأرواح تتناسخ، ويحتجّ بقول الله تعالى: (في أيِّ صورةٍ ما شاء رَكَّبَكَ) ويقول: ألاَ ترى أنه حوله من صورة في صورة!.

قال: فحدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ عن عبد الله بن أبي عُبَيْدة قال: خِنْدِفٌ الأسديّ الذي أدخل كثيّراً في الخَشَبِيّة[1].

---

(١) الخشبية: قوم من الجهمية يقولون: إن الله تعالى لا يتكلّم وإن القرآن مخلوق. وقال ابن =

أخبرنا الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني إبراهيم بن المُنْذِر الحِزامِيّ عن محمد بن مَعْن الغِفَاريّ قال:

كنّا بالسَّيَالة[1] في مَشْيخةٍ نتحدّث، إذا بكثيِّر قد طلَع علينا مُتَّكئاً على عصا. فقال: كنّا ببيداء بأشرافِ السَّيَالة وبهذه الناحية، فما بقي موضع ببيداء إلا وقد جئته، فإذا هو على حاله ما تغيَّر وما تغيَّرت الجبال ولا الموضع الذي كنا نطوف فيه، وهذا يكون حتى نَرجع إليه. وكان يُؤمِن بالرَّجْعة.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني يحيى بن محمد قال:

دخل عبدالله بن حسن على كثيِّر يعوده في مرضه الذي مات فيه. فقال له كثيِّر: أَبْشِرْ! فكأنّك بي بعد أربعين ليلة قد طلعتُ عليك على فرس عتيق. فقال له عبد الله بن حسن: ما لك عليك لعنة الله! فوالله لئن متّ لا أشهدُك ولا أعودك ولا أُكلِّمك أبداً.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني يحيى بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز أحسَبه عن ابن الماجِشون قال:

وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن عليّ قد وضع الأرصاد على كثيِّر فلا يزال يؤتى بالخبر من خبره، فيقول له إذا لَقِيه: كنتَ في كذا وكنت في كذا؛ إلى أن جرى بين كثيِّر وبين رجل كلامٌ فأُتي به أبو هاشم. فأقبل به على أدراجه؛ فقال له أبو هاشم: كنتَ الساعةَ مع فلان فقلتَ له كذا وكذا وقال لك كذا وكذا. فقال له كثيِّر: أشهد أنّك رسول الله.

= الأثير: هم أصحاب المختار بن أبي عبيد، ويقال: هم ضرب من الشيعة. وفي سبب تسميتهم بالخشبية خلاف ذكره شارح القاموس في مادة خشب.

(١) السيالة: أرض يطؤها طريق الحاج، قيل: هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة، قال ابن الكلبي: مرّ تبّع بها بعد رجوعه من قتال أهل المدينة وواديها يسيل فسماها السيالة (ياقوت ج٣ ص ٢٩٢).

أخبرنا محمد بن جعفر النحويّ قال: حدّثنا محمد، وأخبرنا الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبد الله فيما أحسَب قال:

نظر كثيِّر إلى بني حسن بن حسن وهم صغار فقال: بأبي أنتم! هؤلاء الأنبياء الصغار. وكان يرى الرّجعة. وروى على بن بشر بن سعيد الرازيّ عن محمد بن حُمَيْد عن أبي زُهير عبد الرحمن بن مَغْراء الدَّوْسيّ عن محمد بن عُمَارة قال:

مرّ كثيِّر بمعاوية بن عبد الله بن جعفر وهو في المكتب، فأكبّ عليه يقبِّله وقال: أنت من الأنبياء الصغار وربِّ الكعبة!

أخبرنا أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل قال: حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز قال: حدّثني إبراهيم بن داجَّة قال:

كان كثيِّر شيعيًّا، وكان يأتي ولدَ حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه، فيهب لهم الدراهم ويقول: وا بأبي الأنبياء الصغار!. وكان يؤمن بالرَّجعة. فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو أخوهم لأُمِّهم، :يا عمّ هَبْ لي؛ فيقول: لا! لستَ من الشجرة.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال: حدّثني الزُّبير بن بكّار قال: حدّثني عثمان بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبي عُبيد الله قال:

قال عمر بن عبد العزيز: إني لأعرف صُلاَّح بني هاشم من فُسَّادهم بحبِّ كثيِّر: من أحبَّه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه فهو صالح؛ لأنه كان خَشَبِياً يقول بالرجعة.

أخبرنا الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني عبد العزيز بن محمد

الدَّرَاوَرْدِيّ عن أبي لَهيعة عن رَجَاء بن حَيْوَة قال: سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول: إن مما أعتبر به صُلاَّح بني هاشم وفُسَّادهم حُبَّ كثيِّر، ثم ذكر مثلَه.

أخبرنا الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثنا عليّ بن صالح عن ابن دَأْب قال:

كان كثيِّر يدخل على عَمَّة له بَرْزة[1] فتَكرمه وتطرَح له وسادةً يجلس عليها. فقال لها يوماً: لا والله ما تعرفينني ولا تُكرمينني حقَّ كرامتي! قالت: بَلَى والله إني لأعرفك. قال: فَمنْ أنا؟ قالت: ابن فلان وابن فلانة، وجعلت تمدح أباه وأمّه. فقال: قد عرفتُ أنكِ لا تعرفينني. قالت: فَمنْ أنت؟ قال: أنا يونس بن مَتَّى.

كان كثير عاقاً لأبيه

أخبرنا الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني أبي قال:

كان كثيِّر عاقاً لأبيه، وكان أبوه قد أصابته قُرْحَةٌ في إصبع من أصابع يده. فقال له كثيِّر: أتدري لم أصابتك هذه القرحة في إصبعك؟ قال: لا أدري. قال: مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبة.

أخبرنا الحرميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد ابن معن الغِفَاريّ عن أبيه وغيره قال: حدّثني رجل من مُزَيْنَة قال:

ضِفْتُ كثيِّراً ليلةً وبتُّ عنده ثم تحدّثنا ونِمْنا. فلما طلع الفجر تضوَّر[2]، ثم قمت فتوضّأت وصلّيت وكثيِّر راقد في لِحافه. فلما طلع قَرْن الشمس تضوّر ثم قال: يا جارية آسْجُري لي ماء. قال: قلتُ: تَبًّا لك سائرَ اليوم! أو هذه الساعةَ هذا! وركبتُ راحلتي وتركته. قال الزبير: أسْخِني لي ماء.

(١) البرزة: الجليلة من النساء التي تظهر للناس، ويجلس إليها القوم.
(٢) التضوّر: التلوّي والصياح من وجع الضرب أو الجوع.

أخبرنا الحرميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني محمد بن إسماعيل عم عبد العزيز بن عِمْران عن محمد بن عبد العزيز عن ابنِ شهاب عن طَلْحة بن عُبَيْدالله قال:

ما رأيتُ قطُّ أحمقَ من كثيِّر. دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وكنّا كثيراً ما نتهّزأ به، وكان يتشيّع تشيُّعاً قبيحاً. فقلت له: كيف تَجدُك يا أبا صخر؟ وهو مريض؛ فقال: أجدني ذاهباً. فقلت: كَلاَّ! فقال: هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ فقلت: نعم! يتحدّثون أنك الدّجال. قال: أمَا لئن قلتَ ذاك إنّي لأجد في عيني ضعفاً منذ أيّام.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بنِ عمْران:

أن ناساً من أهل المدينة كانوا يلعبون بكثيِّر فيقولون وهو يسمع: إن كثِّيراً لا يلتفت من تِيهه. فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضي في قميص.

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال: حدّثنا عبد الله بن مُسْلم بن قُتَيْبة قال:

بلغني أن كثِّيراً دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن شيء فأخبره به. فقال: وحقِّ عليّ بن أبي طالب إنه كما ذكرتَ؟ قال كثيِّر: يا أمير المؤمنين، لو سألتني بحقِّك لصدَقتُك. قال: لا أسألك إلا بحقِّ أبي تُرَاب. فحلف له به فرضي.

أخبرنا الفضل بن الحُبَاب أبو خَليفة قال: حدّثنا محمد بن سَلاّم قال: أخبرني عثمان بن عبد الرحمن، وأخبرنا محمد بن جعفر النحويّ قال: حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال: وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحَبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرنا الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال:

حدّثنا المُؤمَّلي عن أبي عُبَيْدة، قالوا جميعاً:

لما أراد عبد الملك الخروجَ إلى مُصْعب لاذتْ به عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية وهي أُمّ ابنه يزيد، وقالت: يا أمير المؤمنين، لا تخرج السنةَ لحرب مُصْعَب، فإنّ آل الزُّبير ذكروا خروجك، وابعثْ إليه الجيوش، وبكتْ وبكى جواريها معها. وجلس وقال: قاتل الله ابنَ أبي جُمعة! فأين قوله:

صوت

إذا ما أراد الغَزْوَ لم تَثْنِ هَمَّه حصَانٌ عليها عِقدُ دُرٍّ يَزينُها
نهتْه فلما لم تَرَ النَّهْيَ عاقه بكتْ فبكى مما شجاها قَطِينُها

ـ غنّاه ابنُ سُرَيْج ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ـ والله لكأنه يراني ويراكِ يا عاتكة؛ ثم خرج. قال محمد بن جعفر النحويّ في خبره ـ ووافقه عليه عمر بن شبّة ـ: لما خرج عبد الملك نظر إلى كثيِّر في ناحية عسكره يسير مُطْرِقاً؛ فدعا به وقال: لأَعْلَمُ ما أسكتك وألقى عليك بَثَّك، فإن أخبرتُك عنه أتصدُقني؟ قال نعم! قال: قل وحقِّ أبي تُرَاب لَتَصْدُقَنِّي؛ قال: والله لأصدُقَنَّكَ. قال: لا أوْ تحلفَ به، فحلف به. فقال تقول: رجلان من قريش يلقى أحدُهما صاحبَه فيحاربُه، القاتل والمقتول في النار، فما معنى سيري مع أحدهما إلى الآخر ولا آمَن سهماً عائراً لعلّه أن يصيبَني فيقتلَني فأكونَ معهما! قال: والله يا أمير المؤمنين ما أخطأت. قال: فارجعْ من قريب؛ وأمر له بجائزة.

أخبرنا وَكيع قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثنا أبو تَمّام الطائيّ حَبيب بن أَوْس قال: حدّثني العَطّاف بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضي دِمَشْق قال: حدّثني حَفْص الأَمَويّ قال:

كنت أختلف إلى كثيّر أتروّى شعره. قال: فوالله إني لعنده يوماً إذا وقف عليه

واقف فقال: قُتل آلُ المُهَلَّب بالعَقْر. فقال: ما أجَلَّ الخطبَ! ضحَّى آلُ أبي سُفْيان بالدِّين يوم الطَّفِّ، وضحَّى بنو مَرْوان بالكَرَم يوم العَقْر! ثم انتضحتْ عيناه باكياً. فبلغ ذلك يزيدَ بن عبد الملك فدعا به. فلما دخل عليه قال: عليك لعنةُ الله! أترابيّة وعصَبيّة! وجعل يضحك منه.

أخبرنا الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني محمد عن أبيه قال:

قال عبد الملك بن مروان لكثيِّر: مَنْ أشعرُ الناس اليومَ يا أبا صخر؟ قال: مَنْ يروي أميرُ المؤمنين شعرَه. فقال عبد الملك: أمَا إنّك لمنهم.

أخبرنا وَكيع قال: حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزّيات قال: حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبي عَوْف عن عوَانة قال:

قال كثيِّر لعبد الملك: كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين؟ قال: أراه يسبِق السحرَ، ويغلِب الشعر.

أخبرنا عمِّي عن الكُرَانيّ عن النَّضْر بن عمر قال:

كان عبد الملك بن مروان يُخْرِج شعرَ كثيِّر إلى مؤدِّب ولده مختوماً يروِّيهم إيّاه ويردُّه.

أخبرنا الحرميّ قال: أخبرنا الزُّبير قال: حدّثنا عبدالله بن خالد الجُهَنيّ:

إن كثيِّرا شبّ في حِجْر عمٍّ له صالح، فلما بلغ الحُلُم أشفق عليه أن يَسْفَه، وكان غير جيِّدِ الرأي ولا حسن النظر في عواقب الأمور. فاشترى له عمّه قطيعاً من الإبل وأنزله فَرْش مَلَل[1] فكان به، ثم ارتفع فنزل فَرْعَ المِسْوَر ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف من جبل جُهَيْنة الأصغر، وكان قبل المسور لبني مالك بن أفْصَى، فضيّقوا على كثيِّر وأساؤوا جِواره؛ فانتقل عنهم وقال:

---

(١) فرش ملل: اسم موضع.

أبَـتْ إبِلِــي مــاءَ الرَّداة وشَفَّهــا بنو العَمِّ يحمـون النَّضِيـحَ المُبَـرَّدا
ومـا يمنعـون المـاء إلاّ ضَنـانــةً بأصلاب عُسْرَى شوكها قد تخـدّدا
فعادتْ فلم تَجْهَدْ على فضل مـائـه رِياحاً ولا سُقْيَا ابن طَلْقِ بنِ أسعدا

قال: ويُرْوَى أنه أوّل شعر قاله.

بدءُ قوله الشعر وعشقُهُ عزّة

أخبرنا الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني عمِّي قال:

قال كثيِّر: ما قلتُ الشعر حتى قُوِّلتُه. قيل له: وكيف ذاك؟ قال: بينا أنا يوماً نصفَ النهار أسير على بعيرٍ لي بالغَميم[1] أو بقاع حَمدان، إذا راكبٌ قد دنا منِّي حتى صار إلى جنبي؛ فتأمّلته فإذا هو من صُفْر وهو يجرّ نفسه في الأرض جرًّا. فقال لي: قل الشعر وألقاه عليّ. قلت: مَنْ أنت؟ قال: أنا قَرِينك من الجنّ. فقلت الشعر.

ونُسِب كثيِّر لكثرة تشبيبه بعزّة الضَّمْرِيّة إليها، وعُرِف بها فقيل كثيِّر عَزّة. وهي عزّة بنت حُمَيْل بن وَقّاص. أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني محمد بن الحسن قال:

أبو بَصْرة الغِفَاريّ المحدّث وآسمه حُمَيْل بن وَقّاص هو أبو عزّة التي كان ينسُب بها كثيِّر. وكان ابتداء عشقه إيّاها ـ على أنه قد قيل: إنه كان في ذلك كاذباً ولم يكن بعاشق، وذلك يُذكر بعد خبره معها ـ فيما أخبرني به

من الخفِـراتِ البيـض وَدّ جليسُهـا إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيـدهـا

في هذا البيت وأبياتٍ أخَر معه غناءٌ يذكر بعد تمام هذا الخبر وما يضاف إليه من جنسه. وأنشدهنّ أيضاً:

---

(١) الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

قضى كلُّ ذي دَيْنٍ فوفَّى غـريمَـه وعَـزّةُ ممطـولٌ مُعَنَّـى غـريمُهـا

فقلن له: أبيتَ إلاّ عزَّةَ! وأبرزنها إليه وهي كارهة. ثم أحبّته عزّة بعد ذلك أشدّ من حبِّه إيّاها. قال الزُّبير: فسألت محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الخُزَاعيّ المعروف بأبي جَنْدَل عن هذا الحديث، فعرفه وحدّثنيه عن أبيه عن جدّه عبد العزيز بن أبي جندل عن أمّه جمعة بنت كثيِّر عن أبيها.

وأخبرني عَمي الحسن بن محمد الأصفهانيّ رحمه الله قال: حدّثني محمد بن سعد الكُرَانيّ قال: حدّثنا النَّضْر بن عمرو قال: حدّثني عمر بن عبدالله ابن خالد المُعَيطيّ، وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: حدّثني يعقوب بن نُعَيم قال: حدّثني إبراهيم بن إسحاق الطَّلْحيّ، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني يعقوب بن عبدالله الأَسَديّ وغيره، قال الزبير: وحدّثني محمد بن صالح الأسلميّ قال:

دخلتْ عزّة على عبد الملك بن مَرْوان وقد عَجُزَتْ؛ فقال لها أنت عزّة كثير! فقالت: أنا عزّة بنت حُمَيْل. قال: أنت التي يقول لك كُثَيِّر:

لِعَزّة نارٌ ما تَبُوخُ كأنها إذا ما رَمَقْناها من البعدِ كوكبُ

فما الذي أعجبه منكِ؟ قالت: كلاَّ يا أمير المؤمنين! فوالله لقد كنتُ في عهده أحسن من النار في الليلة القَرّة. وفي حديث محمد بن صالح الأسلميّ:فقالت له: أعجبه منّي ما أعجب المسلمين منك حين صيّروك خليفة. قال: وكانت له سِنٌّ سوداء يخفيها؛ فضحك حتى بدتْ. فقالت له: هذا الذي أردتُ أن أُبديه. فقال لها: هل تروين قول كثيِّر فيك:

وقد زعمتْ أنّي تغيّرت بعدَها ومَنْ ذا الذي يا عزَّ لا يَتَغَيّرُ
تغيَّر جسمي والخليقةُ كالتي عَهِدْتِ ولم يُخْبَرْ بسرِّك مُخْبَرُ

قالت لا! ولكني أروي قوله:

كأنّي أنادي صخرةً حين أعرضتْ من الصمِّ لو تمشِي بها العُصْمُ زَلّتِ

صَفُوحاً فما تلقاكَ إلاّ بخيلةً فمَنْ مَلّ منها ذلك الوصلَ مَلّتِ

فأمر بها فأُدخلت على عاتكة بنت يزيد في غير هذه الرواية: أنها أدخلتْ على أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت لها: أرأيتِ قول كثيّر:

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفّى غريمَه وعزّة ممطولٌ معنًّى غريمُها

ما هذا الذي ذكره؟ قالت: قبلةٌ وعدتُه إياها. قالت: أنجزيها وعليّ إثمها.

أخبرنا الحسن بن الطيّب البَجَليّ الشُّجاعيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالوا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: روى آبن جُعْدُبة عن أشياخه، وأخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثنا أبو بكر بن يزيد بن عِياض بن جُعْدُبة عن أبيه:

أنّ كثيّراً كان له غلام تاجر؛ فباع من عَزّة بعض سِلَعه ومَطَلَتْه مُدّةً وهو لا يعرفها. فقال لها يوماً: أنت والله كما قال مولاي:

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفّى غريمه وعزّة ممطولٌ معنًّى غريمُها

فانصرفت عنه خَجِلة. فقالت له آمرأة: أتعرف عزّة؟ قال: لا والله! قالت: فهذه والله عزّة. فقال: لا جَرَمَ[1] والله لا آخذ منها شيئاً أبداً ولا أقتضيها. ورجع إلى كثيّر فأخبره بذلك؛ فأعتقه ووهَب له المال الذي كان في يده.

أخبرنا الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثني يعقوب بن حَكيم السُّلَميّ عن قسيمة بنت عِيَاض بن سعيد الأسلميّة؛ وكنيتها أمّ البنين، قالت:

سارت علينا عزّة في جماعة من قومها بين يدي يَرْبُوع وجُهَيْنة، فسمعنا بها؛ فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن؛ فجئناها فرأينا امرأةً حُلْوةً حُمَيْراء[2] نظيفة، فتضاءلنا لها، ومعها نسوةٌ كلهن لها عليهن فضلٌ من الجمال

(١) لاجرم: حقاً.

(٢) حميراء: أي بيضاء. والعرب يقولون الأحمر والحمراء في نعت الآدميين ويريدون الأبيض والبيضاء.

والخَلْق، إلى أن تحدّثتْ ساعةً فإذا هي أبرع الناس وأحلاهم حديثاً، فما فارقناها إلاّ ولها علينا الفضلُ في أعيننا، وما نرى في الدّنيا آمرأةً تروقها[1] جمالاً وحسناً وحلاوة.

أخبرني عمّي قال: حدّثني فضل اليَزيديّ عن إسحاق الموصلي عن أبي نصر (شيخٍ له) عن الهَيْثم بن عَدِيّ:

أنّ عبد الملك سأل كثيِّراً عن أعجب خبر له مع عزّة؛ فقال:

حَجَجتُ سنةً من السنين وحج زوج عزة بها، ولم يعلم أحد منّا بصاحبه. فلمّا كنا ببعض الطريق أمَرها زوجُها بابتياع سمن تُصلح به طعاماً لأهل رُفْقته؛ فجعلتْ تَدُور الخيامَ خيمةً خيمةً حتى دخلتْ إليّ وهي لا تعلم أنها خيمتي، وكنت أَبري أسهُماً لي. فلما رأيتها جعلت أبري وأنا أنظر إليها ولا أعلم حتى بَريتُ عظامي مرّات ولا أشعر به والدم يجري. فلما تبيّنتْ ذلك دخلتْ إليّ فأمسكتْ يدي لتأخذنّه، فأخذتْه وجعلتْ تمسح الدم عنها بثوبها؛ وكان عندي نِحْيٌ[2] من سمن، فحلفتُ لتأخذنّ، فأخذتْه وجاءت إلى زوجها بالسمن. فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمتْه، حتى حلف لتَصْدُقَنه؛ فضربها وحلف لتَشتمنّي في وجهي، فوقفتْ عليّ وهو معها فقالت لي: يآبن الزانية وهي تبكي، ثم انصرفا. فذلك حين أقول:

يُكَلِّفها الخِنزيرُ شَتْمِي وما بها ... هواني ولكن للمليك آستذلَّتِ

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء:

صوت

خَليليَّ هذا رَسْمُ عَزّة فاعْقِلاَ ... قَلُوصَيْكما ثم أبْكيَا حيث حلّتِ

(١) تروقها: لعله يريد «تفوقها».
(٢) النحي: زقّ السّمن. والنحي أيضاً: جرّة فخّار يجعل فيها اللبن فيمخض.

وما كنتُ أدرِي قبل عَزّةَ ما البكا ... ولا مُوجِعاتِ القلب حتّى تَولّتِ
فليتَ قَلُوصِي عند عزّة قُيِّدتْ ... بحبلٍ ضعيفٍ بانَ منها فضلّتِ
وأصبح في القوم المقيمين رحلُها ... وكان لها باغٍ سِواي فَبلّتِ
فقلتُ لها يا عزّ كلُّ مُصيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذلّت
أسيئي بنا أو أحْسِني، لا ملومةٌ ... لدينا ولا مَقْلِيّةٌ إنْ تَقَلّتِ
هَنيئاً مَريئاً غيرَ داءٍ مُخامِرٍ ... لِعَزّةَ من أعراضنا ما ٱسْتَحَلّتِ
تَمَنّيْتُها حتّى إذا ما رأيتُها ... رأيتُ المنايا شُرّعاً قد أظلّتِ
كأنّي أنادي صخرةً حين أعرضتْ ... من الصُّمِّ لو تمشِي بها العُصْمُ زَلّتِ
صَفُوحاً فما تلقاكَ إلاّ بخيلةً ... فمَنْ مَلّ منها ذلك الوصل مَلّتِ
أصاب الرّدَى مَنْ كان يهوى لكِ الرّدَى ... وجُنّ اللواتي قلن عَزّةُ جُنّتِ

عروضه من الطويل. غنّى معبد في الخمسة الأُوَل ثقيلاً أوّل بالوسطى. وغنى إبراهيم في الثالث والرابع ثقيلاً أوّل بالبنصر عن عمرو، وغنّى في «هنيئاً مريئاً» والذي بعده خفيفَ رملٍ بالوسطى. وغنّى إبراهيم في الخامس وما بعده ثانيَ ثقيل. وذكر الهشاميّ أنّ لابن سُرَيج في «هنيئاً مريئاً» وما بعده ثاني ثقيل بالبنصر. وذكر أحمد بن المكيّ أن لإبراهيم في «كأني أنادي» والذي بعده وفي «أسيئي بنا أو أحسني» هزجاً بالسبّابة في مجرى البنصر؛ ولإسحاق في «وما كنت أدري» ثقيل أوّل. وله في «أصاب الردى» ثقيل أوّل آخر، وقيل: إن لإبراهيم في «فقلت لها يا عزّ» خفيفَ ثقيل ينسب إلى دَحْمان وإلى سِياط.

أخبرني الحرميّ وحبيب بن نَصْر قالا: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبي عمرو الجُهْنيّ عن أبيه قال:

سارت علينا عزّة في جماعة من قومها، فنزلتْ حِيَالَنا. فجاءني كثيِّر ذات يوم فقال لي: أُريد أن أكون عندك اليوم فأذهبَ إلى عزّة؛ فصرتُ به إلى منزلي. فأقام عندي حتى كان العشاء، ثم أرسلني إليها وأعطاني خاتمَه وقال:

إذا سلّمتَ فستَخْرُج إليك جارية، فادفع إليها خاتمي وأعلمها مكاني. فجئت بيتها فسلّمتُ فخرجتْ إليّ الجارية فأعطيتها الخاتمَ. فقالت: أين الموعد؟ قلت: صَخَراتُ أبي عُبَيْد الليلةَ، فواعدتها هناك؛ فرجعتُ إليه فأعلمتُه. فلما أمسى قال لي: انْهَض بنا؛ فنهضْنا فجلسنا هناك نتحدّث حتى جاءت من الليل فجلستْ فتحدّثا فأطالا، فذهبت لأقوم. فقال لي: إلى أين تذهب؟ فقلت: أُخَلِّيكما ساعةً لعلكما. تتحدّثان ببعض ما تكتُمان. فقال لي :اجلس! فوالله، ما كان بيننا شيء قطُّ. فجلستُ وهما يتحدّثان وإنّ بينهما لَثُمَامةً[1] عظيمة هي من ورائها جالسة حتى أسحَرْنا، ثم قامت فانصرفت، وقمت أنا وهو؛ فظلّ عندي حتى أمسى ثم انطلق.

أخبرنا الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الله بن سعيد بن أبَان بن سعيد بن العاصي قال:

خرج كثيِّر في الحاجِّ بجمل له يبيعه، فمرّ بسُكَيْنة بنت الحسين ومعها عَزّة وهو لا يعرفها. فقالت سُكَينة: هذا كثيِّر فسُومُوه بالجمل؛ فساموه فاستام مائتي درهم فقالت: ضَعْ عنّا فأبى. فدعتْ له بتمر وزُبْد فأكل؛ ثم قالت له: ضع عنا كذا وكذا (لشيء يسير) فأبى. فقالوا: قد أكلتَ يا كثيِّر بأكثر مما نسألك!.فقال: ما أنا بواضعٍ شيئاً. فقالت سُكينة: اكشِفوا، فكشفوا عنها وعن عزّة. فلما رآهما آستحيا وآنصرف وهو يقول: هو لكم هو لكم!.

هل كان كثير صادقاً في عشقه؟

مَنْ ذكر أن كثيراً كان يكذِب في عشقه:

أخبرنا أبو خَليفة قال: حدّثنا ابن سَلاّم قال:

---

(١) الثمام: نبت معروف في البادية ولا تجهده النَّعَم إلاّ في الجدوية. والثمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص، وربما حشي به وسدّ به خصاص البيوت.

كان كثيِّر مدَّعياً ولم يكن عاشقاً، وكان جميلٌ صادقَ الصَّبابة والعشق.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ أنه سمع أبا عُبَيْدة يقول: كان جميل يصدُق في حبه، وكان كثيِّر يكذِب.

ومما وجدناه في أخباره ولم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزّة ذات يوم وهي منتقبة تميس في مِشْيتها؛ فلم يعرِفها كثيّر، فاتّبعها وقال: يا سيِّدتي! قِفِي حتّى أكَلِّمك فإني لم أر مثلك قطُّ، فمَنْ أنتِ ويحكِ؟ قالت: ويحكَ! وهل تركت عزّة فيك بقيّة لأحد؟ قال: بأبي أنت! والله لو أنّ عزّة أمَةٌ لي لوهبتها لك. قالت: فهل لك في المُخَاللة؟ قال: وكيف لي بذلك؟ قالت: أنَّى وكيف بما قلتَ في عزّة؟! قال: أقلبه فأُحوِّله إليك. فسفَرت عن وجهها ثم قالت: أغدراً يا فاسق وإنك لهكذا! فأبْلَس[1] ولم ينطق وبُهت. فلما مضت أنشأ يقول:

ألاَ ليتني قبل الذي قلتُ شِيبَ لـي ... من السمّ جَـدْحـاتٌ بمـاء الذَّرَارِحِ
فمـتُّ ولـم تعلـم علـيَّ خيـانــة ... وكم طالـبٍ للـربـح ليس بـرابـح
أبـوء بـذنبـي إنّنـي قـد ظلمتُهــا ... وإنّي ببـاقـي سِـرِّهـا غيـرُ بـائـحِ

عتاب المحبّين

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثني عمر بن شبّة قال: زعـم آبن الكلبيّ عن أبي المقوَّم قال: أخبرني سائب راوية كثيِّر قال:

خرجتُ معه نريد مصر، فمررنا بالماء الذي فيه عزّة فإذا هي في خِباء؛ فسلّمنا جميعاً؛ فقالت عزّة: وعليكَ السلام يا سائب. ثم أقبلتْ على كثيِّر فقالت: ويحك! ألاَ تّتقي الله! أرأيتَ قولك:

---

(١) أبلس: سكت وتحيّر.

بآيةِ ما أتيتُكِ أُمَّ عمروٍ فقمتِ لحاجتي والبيتُ خالي

أخلوتُ معك في بيت أو غير بيت قطُّ؟! قال: لم أقُلْه، ولكنني قلتُ:

فأُقسم لو أتيتُ البحرَ يوماً لأشربَ ما سقتْني من بِلاَلِ
وأُقسم إنّ حُبَّكِ أُمَّ عمروٍ لَداءٌ عند منقطَع السُّعَالِ

قالت: أمّا هذا فَنَعَمْ. فأتينا عبدَ العزيز[1] ثم عُدْنا؛ فقال كثيِّر: عليكِ السلامُ يا عزّة. قالت: عليك السلام يا جملُ. فقال كثيِّر:

صوت

حَيّتْكَ عَزّةُ بعد الهجر فانصرفتْ فَحيِّ ويحكَ مَنْ حيّاك يا جملُ
لو كنتَ حيّيتَها ما زلتَ ذا مِقةٍ عندي وما مَسّك الإدلاج والعملُ
ليتَ التحيّةَ كانت لي فأشْكُرَها مكانَ يا جملٌ حُيِّيتَ يا رجلُ

ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات غناءً لِمَعْبَد. وذكر الهشاميّ أنّ فيها لبُثَينة خفيفَ رملٍ بالبنصر. وذكر حَبَشٌ أنّ فيها للغَرِيض خفيفَ ثقيل أوّل بالوسطى، ولإبراهيم ثانيَ ثقيل بالوسطى.

أخبرني عمِّي قال: حدّثني الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ قال: حدّثني عليّ بن محمد البرمكيّ قال: حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال:

قدِم عليَّ هشامُ بن محمد الكلبيّ فسألته عن العشّاق يوماً فحدّثني قال: تعشَّق كثيِّر آمرأةً من خُزاعة يقال لها أُمّ الحُوَيْرِثِ فنسَب بها، وكَرِهتْ أن يُسَمِّع بها ويفضَحها كما سمّع بعزّة؛ فقالت له: إنك رجلٌ فقير لا مالَ لك؛ فآبتغِ مالاً يُعَفِّي[2] عليك ثم تعالَ فاخطُبْني كما يخطُب الكِرَام. قال: فاحلفي

(١) عبد العزيز: يريد عبد العزيز بن مروان.

(٢) يُعفي عليك: أي يصلحك ويحل الغنى منك محلّ الفقر.

لي ووَثّقي أنّك لا تتزوّجين حتى أَقْدَمَ عليك؛ فحلفتْ ووثّقت له. فمدح عبدَ الرحمن بن إبريق الأزديّ، فخرج إليه، فلقيته ظِباءٌ سوانح ولقي غراباً يفحص التراب بوجهه؛ فتطيّر من ذلك حتى قدِم على حيٍّ من لِهْب فقال: أيُّكم يَزجُر؟ فقالوا: كلُّنا، فمَنْ تريد؟ قال: أعْلَمُكم بذاك. قالوا: ذاك الشيخ المنحني الصُّلْب. فأتاه فقصّ عليه القصة؛ فكره ذلك له وقال له: قد تُوُفِّيتْ أو تزوجتْ رجلاً من بني عمّها. فأنشأ يقول:

صوت

تيَمّمتُ لِهْباً أبتغي العلم عندهم ... وقد رُدَّ علمُ العائفين إلى لهبِ
تيمّمتُ شيخاً منهمُ ذا بَجالةٍ ... بصيراً بزَجْرِ الطَّيْرِ منحنيَ الصُّلْبِ
فقلت له ماذا ترى في سَوانحٍ ... وصوتِ غُرابٍ يفحَص الوجهَ بالتُّرْبِ
فقال جرى الطيرُ السَّنيح بِبَيْنِها ... وقال غرابٌ جَدَّ مُنْهَمِرُ السَّكْبِ
فإلاّ تكن ماتتْ فقد حال دونَها ... سواكَ خليلٌ باطنٌ من بني كَعْبِ

ـ غناه مالك من راوية يونس ولم يجنّسه قال: فمدح الرجلَ الأزديّ ثم أتاه فأصاب منه خيراً كثيراً، ثم قدم عليها فوجدها قد تزوّجت رجلاً من بني كعب، فأخذه الهُلاَس[1]، فكُشِح[2] جَنْباه بالنار. فلما اندمل من عِلّته[3] وضع يده على ظهره فإذا هو برَقْمتين[4]؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: إنه أخذك الهُلاَس وزعم الأطِبّاء لا عِلاَجَ لك إلا الكَشْح بالنار فكُشِحْتَ بالنار. فأنشأ يقول:

(١) المهلوس من الرجال: الذي يأكل ولا يُرى أثر ذلك في جسمه. والهلاس: داء شبه السلال يهزل الجسم.
(٢) الكشح: الكيّ بالنار.
(٣) اندمل من علته: تماثل للشفاء.
(٤) رقم البعير: كواه. ورقم الثوب: خطّطه.

صوت

عفا الله عــن أمِّ الحُــوَيْــرِثِ ذنبَهــا   علاَمَ تُعَنِّنِيـــي وتَكْمِــي دَوَائيـــا
فلو آذنوني قبــل أن يــرقُمــوا بهــا   لقلــتُ لهــم أُمّ الحُــوَيْــرِث دائيــا

- في هذين البيتين لمالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى. ولابن سُرَيج رملٌ بالبنصر كلاهما عن عمرو والهشاميّ. وقيل: إن فيهما لمعبد لحناً. وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبّة ولم يتجاوزاه بالراوية فذكر نحو هذا وقال فيه: إنه قصد ابن الأزرق بن حَفص بن المُغيرة المخزوميّ الذي كان باليمن، وإنه فعل ذلك بعد موت عزّة. وسائر الخبر متقارب.

جاء كثيِّر إلى عبد الله بن جعفر وقد نَحِلَ وتغيّر. فقال له عبد الله: ما لي أراك متغيراً يا أبا صخر؟ قال: هذا ما عملْت بي أُمّ الحُوَيْرِث، ثم ألقى قميصه فإذا به قد صار مثل القَشّ وإذا به آثار من كَيٍّ؛ ثم أنشده:

عفا الله عن أُمّ الحوريث ذنبَها

الأبيات.

عزّة تمتحن كثيراً

أخبرني عمّي قال: حدّثني ابن أُبَيٍّ قال: حدّثني الحِزَاميّ عمن حدّثه من أهل قُدَيْد:

أنّ عزّة قالت لبُثَيْنة: تَصَدَّيْ لكثيِّر وأطمعيه في نفسك حتى أسمع ما يجيبك به. فأقبلت إليه وعزّة تمشي وراءها مختفيةً؛ فعرَضت عليه الوصلَ؛ فقارَبها ثم قال:

رَمتْنـي علـى عَمْـدٍ بُثَيْنَـةُ بعـدمـا   تولّـى شَبَـابـي وآرْجَجـنّ شبـابُهـا

وذكر أبياتاً أُخَرَ سقط من الكتاب ذكرُها. فكشفتْ عزّة عن وجهها؛ فبادرها الكلامَ ثم قال:

ولكنَّما تَرْمِينَ نفساً مريضةً لِعَزّةَ منها صَفْوُها ولُبَابُها

فضحِكتْ ثم قالت: أوْلَى لك بها قد نجوتَ؛ وآنصرفتا تتضاحكان.

أخبرنا الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدّثني عبد الرحمن بعد عبدالله الزُّهْريّ قال:

بكى بعضُ أهل كثيِّر عليه حين نزل به الموت. فقال له كُثَيِّر: لا تبكِ، فكأنّك بي بعد أربعين ليلةً تسمع خَشْفَةَ نعلي[1] من تلك الشُّعْبَةِ راجعاً إليكم.

أخبرني الفضل بن الحُبَاب أبو خَليفة قال: حدّثنا محمد بن سَلاّم قال حدّثني ابن جُعْدُبة وأبو اليَقْظان عن جُوَيْرية بن أسماء قال:

مات كثيِّر وعِكْرِمةُ مولى آبن عبّاس في يوم واحد، فآجتمعت قُرَيش في جنازة كثيِّر، ولم يوجد لِعكْرمة مَنْ يحمله.

أخبرنا الحَرَميّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حدّثني عمر بن مُصْعَب قال: حدّثني الواقدي قال: حدّثني خالد بن القاسم البَيَاضيّ قال:

مات عِكْرِمةُ مولى ابن عبّاس وكثيِّر بن عبد الرحمن الخُزَاعيّ صاحبُ عزّة في يوم واحد في سنة خمس ومائة، فرأيتُهما جميعاً صُلِّي عليهما في يومٍ واحد بعد الظهر في موضع الجنائز، فقال الناس. مات اليومَ أفقهُ الناس وأشعرُ الناس.

---

(١) خشفة النعل: صوتها.

وقال ابن أبي سعد الورّاق: حدّثني رَجَاء بن سَهْل أبو نصر الصاغانيّ قال: حدّثنا يحيى بن غَيْلان قال: حدّثني المُفَضَّل بنُ فَضَالة عن يزيد بن عُرْوة قال:

مات عكرِمة وكثيِّر عَزّة في يوم واحد، فأُخْرِجتْ جِنازاتاهما، فما علمتُ تخلَّفتِ امرأةٌ بالمدينة ولا رجلٌ عن جِنازتيهما. قال: وقيل مات اليوم أشعرُ الناس وأعلمُ الناس. قال: وغلَبَ النساء على جنازة كثيِّر يَبْكينَه ويذكُرْنَ عزّة في نُدْبتهنَّ له. قال: فقال أبو جعفر محمد بن عليّ: اَفرِجُوا لي عن جِنازة كثيِّر لأرفَعها. قال: فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهنّ محمد بن عليّ بكُمِّه ويقول: تَنَحَّيْنَ يا صَوَاحِباتِ يوسف. فانتدَبت له امرأةٌ منهنّ فقالت: يآبنَ رسول الله لقد صَدَقتَ، إنّا لصواحباتُ يوسف وقد كنّا له خيراً منكم له. قال: فقال أبو جعفر لبعض مَواليه: احتفِظْ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفْنا. قال: فلما انصرف أُتِيَ بتلك المرأة كأنها شَرَارةُ النار. فقال لها محمد بن عليّ: أنت القائلةُ إنّكن ليوسفَ خيرٌ منّا؟ قالت: نعم! تُؤمِنني غضبَك يآبنَ رسول الله؟ قال: أنت آمنةٌ من غضبي فأبيني. قالت: نحن يا بنَ رسول الله دعوناه إلى اللذّات من المَطْعَم والمَشْرَب والتمتُّع والتنعُّم، وأنتم معاشَر الرجال ألقيتموه في الجبّ وبعتُموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السِّجن. فأيُّنا كان عليه أحْنَى وبه أرْأف؟ فقال محمد: لله دَرُّكِ! ولن تُغالَبَ امرأةٌ إلاّ غَلبتْ. ثم قال لها: ألَكِ بعلٌ؟ قالت: لي من الرجال مَنْ أنا بعلهُ. قال: فقال أبو جعفر: صَدَقتِ، مثلُك من تَمْلك بعلَها ولا يملكها. قال: فلما انصرفتْ قال رجلٌ من القوم: هذه زينب بنت مُعَيْقِب.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء:

صوت

نظرتُ إليها نَظْرةً وهي عاتقٌ ... على حينِ أنْ شَبَّتْ وبانَ نُهودُها
نظرتُ إليها نظرة ما يسُرُّني ... بها حُمْرُ أنعامِ البلادِ وسُودُها

وكنتُ إذا ما جئتُ سُعْدَى بأرضِها أرى الأرض تُطْوَى لي ويدنو بعيدُها
من الخَفِراتِ البِيض وَدّ جَليسُها إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها

عَرُوضه من الطويل. البيت الأول لكثيِّر، والثاني والثالث لنُصَيْب من قصيدته التي أوّلها:

لقد هجرت سعْدَى وطال صدودُها

غنّى في البيت الثاني والثالث جَحْدَرٌ الراعي خفيفَ رَمَلٍ بالبنصر. وغنّى فيهما الهُذَلِيّ رملاً بالوسطى. وغنّى في الثالث والرابعِ دعامة ثقيلاً أوّل بالبنصر.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حَماد عن أبيه قال: قال عمر الواديّ، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثني مَكِينٌ العُذْريّ قال: سمعت عمر الواديَّ يقول: بينا أنا أسيرُ بين الرَّوْحاء والعَرْج إذ سمعتُ إنساناً يغنّي غناءً لم أسمع قطُّ مثلَه في بيتَيْ كثيِّر:

وكنت إذا ما جئت سُعْدَى بأرضها أرى الأرض تُطْوَى لي ويدنو بعيدُها
من الخَفِرات البِيضِ وَدّ جليسُها إذا ما آنقضتْ أحدوثةٌ لو تُعيدها

قال: فكِدت أسقط عن راحلتي طرباً، وقلت: والله لألتمسنّ الوصولَ إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي، فتيمّمتُ سَمْتَه[1] فإذا راعٍ في غنم، فسألته إعادته عليّ: قال: نعم! ولو حضرني قِرًى أَقْرِيكَه ما أعدتُه، ولكنّي أجعله قِرَاك، فربما تَرَنّمتُ به وأنا غَرْثانٌ[2] فأشبَع، وعطشانٌ فأَرْوَى، ومستوحِشٌ فآنَسُ، وكَسْلانٌ فأنشَط. قال: فأعادهما عليّ حتى أخذتُهما، فما كان زادي حتى ولجتُ المدينةَ غيرَهما.

---

(١) سمته: ناحيته وجهته.

(٢) غرثان: جوعان.

الفهارس

١ ـ فهرس القوافي .

٢ ـ فهرس المحتويات .

١ ـ فهرس القوافي

قافية التاء

قافية الثاء

قافية الجيم

قافية الحاء

قافية الدال

قافية الضاد

قافية العين

قافية الفاء

قافية القاف

قافية الكاف

قافية اللام

قافية الميم

قافية النون

قافية الياء

٢ - فهرس المحتويات